

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجليات الفكرية لمبادئ

نهج البلاغة

في

تورة الامام الحسين عليه السلام



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد 3009 لسنة 2018م

- مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC : BP39.5 .K37 2018
المؤلف الشخصي : كريم، مسلم زغير، مؤلف.
العنوان : التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الامام الحسين عليه السلام /
بيان المسؤولية : تاليف مسلم زغير كريم ؛ تقديم السيد نبيل الحسني.
بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
بيانات النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج الباغة، 2018 /
1439 للهجرة.
الوصف المادي : 285 صفحة ؛ 24 سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 438).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 159).
سلسلة النشر : (سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية ؛ 32).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (253-280).
موضوع شخصي : علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – كلمات قصار.
موضوع شخصي : الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام الثالث، 61-4 للهجرة – كلمات قصار .
مصطلح موضوعي : واقعة كربلاء، 61 للهجرة – تأثير.
مصطلح موضوعي : اهل البيت (عليهم السلام) – فضائل.
مصطلح موضوعي : الصحابة والتابعون – فضائل.
مؤلف اضافي : الحسني، نبيل قدوري، -1965، مقدم.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة – جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية (٣٢)

وحدة الدراسات التاريخية

التجليات الفكرية لمبادئ

نصح البلاغة

في

توبة الإمام علي بن الحسين

المدرس المساعد

مسلم زغير كرم

إصدار

مؤسسة علوم نصح البلاغة

في عتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع: www.inahj.org

Email: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

الى ...

من لبوا نداء المرجعية

الى ...

من وقفوا وقفة مشرفة للدفاع عن العراق

الى ...

من ضحوا بأنفسهم من أجل الوطن ومقدساته

الى ...

شهداء الحشد الشعبي المقدس

أهدي هذا الجهد المتواضع

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوقفون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية) والتي يتم عبرها طباعة هذه الكتب واصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين واعانتهم على تبيين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوقها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في التاريخ إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية في الإثراء المعرفي والتأصيل العلمي في حقل المعارف التاريخية.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره.

السيد نبيل الحسيني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

تمثل الدراسات التي ترتبط بالمفاهيم والمبادئ والمنطلقات الفكرية مصدرا "مهماً" للوعي التاريخي، ومورداً تعبويّاً متجدداً في صناعة الحياة، وهو ما يترجم فلسفة التاريخ بمعناها المنتج الذي رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وفكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالتعامل البحثي الذي ينطلق من هذا الاتجاه هو تعامل منهجي هادف يؤسس لمسألة السعي نحو التكامل في الطرح اعتماداً على تكامل المصداق ومبدئيته، ومن ثم محاولة الوصول إلى الأهداف المتوخاة وهي أهداف اصلاحية تقويمية تتناغم مع الهدف الأساس الذي جسده تلك المبادئ والأفكار القرآنية التي نادى بها الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

إن دراسة أي توجه وفكر لأئمة أهل البيت عليهم السلام له مبررات عقلائية تعود بالنتيجة لتحقيق مفاهيم بناءة تكتسب الصفة المعنوية، بيد أنها تبني الأطر المادية أيضاً، فالبحث فيهم عليهم السلام يجمع بين الجانبين النظري والعملي أي الفكر ومصداقه، ولا يختلف اثنان أن أصح وأصدق المصداق في البحث التاريخي هو ما يتعلق بطرح الأئمة عليهم السلام، دون التقيد بالجزء الديني من شخصياتهم عليهم السلام وإنما ترسيخ ما يمثلونه ويقصدونه من مثل وقيم وأفكار تبني الإنسان والمجتمع الإنساني عموماً.

وعلى هذا الأساس فإن التماثل والتواءم في طروحات الأئمة (عليهم السلام) حسب هذا المنطق هو أمر مفروغ منه بسبب وحدة الهدف والنتيجة وربما باختلاف الآليات التي ترتبط بالبيئة الزمانية والمكانية إلا أن هذه الآليات لا تتناقض أو تتعارض في الفكر والمبدأ، وهذا الهدف وهذه النتيجة هما مبتغانا في هذه الدراسة فضلاً عن الآليات المختلفة وبما فيها من أهداف.

ومن هنا جاء اختيار دراسة ذلك الاشتراك المعنوي والمادي (وما فيه من هدف تقويمي بنائي) بين الأفكار والمبادئ التي طرحها الإمام علي (عليه السلام) منهجاً وسلوكاً في نهج البلاغة من جهة، وبين المبادئ والأفكار التي طرحت في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) منهجاً وسلوكاً أيضاً والتي جسدت المنطلقات الفكرية التي أشار إليها الإمام علي (عليه السلام) وطبقها عملياً بنفسه وبولده الشهيد (عليه السلام)، وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)).

وقد وقع الإختيار على طرح الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بالذات؛ لما يمثله هذا الطرح من شهرة وسعة وشمولية موضوعية حتى أنك لا تكاد تطرق طرقاً معيناً إلا ووجدت له صدى في النهج، فضلاً عما يميزه تخريج مادته مصدرياً وسندياً على السيد عبد الزهراء الحسيني في كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده في أربع مجلدات^(١) وهو ما أحرص الألسن عندما اثبت سند مادته بطرائق سبقت الشريف الرضي جامع كتاب نهج البلاغة.

وعلى العموم أردنا من هذه الدراسة أن نحقق جملة أهداف علمية يمكن أن نجملها بما يأتي:

(١) ينظر: الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، صفحاته جميعاً.

إبراز البعد التربوي الثقيفي في فلسفة التعامل القرآني الذي جسده أئمة أهل البيت عليهم السلام مع التحديات التي تواجه المكلف على المستويات كافة وهو بعد شمولي من الناحية الزمنية، فضلاً عن أنه شمولي من حيث امتداد أفكاره، فالثورة الحسينية عكست جوانب دينية وسياسية وعسكرية وأخلاقية وغير ذلك، وهي دروس مستقبلية أيضاً.

اعتبار هذا الاشتراك هو المصداق العملي للرد على الفكرة القائلة باختلاف الأئمة عليهم السلام في درجة تصديهم للتحديات وتقسيمهم إلى حسنين وحسينين، إذ إن هذا الطرح يثبت وحدة الفكر والمبدأ وتعدد الآليات المتأثرة بالزمن والبيئة. بيان ذلك الصدى الواضح في شخصية الإمام الحسين عليه السلام من أبيه الإمام علي عليه السلام وهو صدى يجسد الدين عموماً.

إثبات إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام بدلالة التكامل الديني بينهم والاشتراك المعنوي الفكري وربما في بعض الاحيان اللفظي أيضاً حسب ما ثبت في النصوص.

إبراز صورة القدوة للناس بما يمثله من شخصية اعتبارية مثالية جسدها الإمام علي وابنه الحسين عليهما السلام فيما طرحاه عن القائد والمربي والشجاع والبطل والمؤمن وغيرها، فضلاً عن صور الشخصية الكاملة للمرأة المضحية والعاملة والمربية والقائدة والشجاعة والمؤمنة وغير ذلك.

تسليط الضوء مرة أخرى على ذلك الأسلوب البلاغي الراقى لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام علي عليه السلام، ولا يعني هذا الخوض في تفاصيل لغوية خارجة عن تخصص الدراسة إلا أن المحصلة النهائية للطرح توحى على سبيل الاجمال لذلك البيان وتلك البلاغة من سادة البيان والبلاغة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إعادة النظر في فلسفة التاريخ بمفهومها الذي طرحه الأئمة عليهم السلام وليس بشكلها الشائع وهو شكل تقليدي روائي وإنما بما يؤكد على التشخيص وإيجاد العلاج فيما بعد وهو الأمر الذي تحقق ويتحقق بفضل ما طرحه الإمام علي عليه السلام. في الوقت الذي هو اثبات المبدئية وشرعية المرحلة في الثورة الحسينية فهو اثبات صدقية نهج البلاغة ونسبته للإمام علي عليه السلام للرد على القائلين بعكس ذلك. وغير ذلك من الأهداف التي ربما تتضح باستقراء أفكار الدراسة وطياتها والتي قسمت إلى عدة فصول سبقها تمهيد في إستحقاق الإمامة والمطالبة بالحق وتلتها خاتمة. فكان الفصل الأول في فلسفة القيام ومقدماته وشروطه، فتضمن المبحث الأول فلسفة القيام وأهدافه، أما الثاني مقدمات القيام وشروطه.

وكان الفصل الثاني في المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل، وهو لبيان صفات كل من أنصار القيام وهو ما عكسه المبحث الأول، وصفات أنصار جبهة الباطل في المبحث الثاني.

وعنون الفصل الثالث بالمرحلة في القيام وبرزت فيه بشكل جلي شخصية القائد سواء في تجذير ثقافة الثورة أو في إلقاء الحججة على الناس أو بالتضحية والدفاع المقدس في خيار المواجهة والإعداد لها بفكره العسكري الكبير.

وبما ان لكل ثورة آثاراً ودروساً كان الفصل الرابع في آثار القيام ودروسه، فقد عالج المبحث الأول آثار القيام من خلود ونفس ثوري ضد الطغاة والظلمة إلى الإعداد المستقبلي والثواب المستحصل نتيجة التضحيات، أما المبحث الثاني فكان في دروس القيام الأخلاقية والوعظية في التعاطي مع صفة الغدر وغيرها. وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة ولعل أبرزها كتاب نهج البلاغة وهو العمود الفقري للمبحث، كونه يحتوي على خطب

الإمام علي عليه السلام ورسائله وحكمه التي جمعها الشريف الرضي.

وتأتي شروح النهج بالمرتبة الثانية بالنسبة للأهمية، إذ رجعت الدراسة إلى مجموعة من الشروح القديمة أبرزها بحسب الاستعمال الأكثر والإضافة للبحث كتاب شرح نهج البلاغة للبحراني (ت ٦٧٩هـ)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، ومنهاج البراعة للراوندي (ت ٥٧٣هـ)، ومعارج نهج البلاغة لليهقي (ت ٥٦٥هـ) وغيرها من الشروحات.

هذا فضلاً عن الشروح الحديثة التي أغنت البحث مثل منهاج البراعة للخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، وتوضيح نهج البلاغة للحسيني الشيرازي (ت ١٤٢٢هـ)، وفي ظلال نهج البلاغة لمغنية (ت ١٤٠٠هـ)، ومفتاح السعادة للخرساني وغيرها من المراجع الحديثة.

ومن المصادر الأخرى كتب التاريخ العام التي استعملها الباحث بكثرة لاسيما في توثيق القضايا الخاصة بالثورة الحسينية ومن أهمها: تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، وأنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

وكذلك وظّفت الدراسة كثيراً من المعاجم اللغوية لخدمة البحث مثل لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)، والصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ)، والعين للفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وغيرها من المعاجم اللغوية المهمة التي استخدمت في الدراسة.

استعملت المراجع الحديثة المتخصصة بالثورة الحسينية وبالجوانب الأخرى والتي أثرت وأغنت البحث ومنها حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي، موسوعة

١٦التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

أنصار الإمام الحسين عليه السلام لالبو هلاله، إِبصار العين للسماوي (ت ١٠٧٣هـ)،
ومستدركات سفينة البحار للنمازي (ت ١٤٠٥هـ).

هذا فضلاً عن كثير من المصادر والمراجع الأخرى المتنوعة التي وضعنا ثبناً
بها في نهاية الرسالة.

ولله الكمال وحده إنه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

التمهيد
استحقاق الإمامة
والمطالبة بالحق

التمهيد

استحقاق الإمامة والمطالبة بالحق

أ/ استحقاق الإمامة

الإمامة حق ثابت في أئمة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وهو ما ثبت بالعقل والنقل بالأدلة التي ألفت فيها المؤلفات ^(١)، ولسنا بصدد شرح تفصيلي لتلك الأدلة وإنما بقدر تعلق الأمر بموضوع دراستنا المرتبط بإمامتهم عليهم السلام، التي حاول بعضهم التطفل عليها على الرغم من قول الرسول صلى الله عليه وآله:

(إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ^(٢).

وهنا أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى إلى وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام لمن يريد النجاة في الدنيا والآخرة، فقد جعلهم قرائن القرآن الكريم وانهما لن يفترقا عن بعضهما

(١) ينظر: محمد السند، الإمامة الإلهية، صفحاته جميعاً؛ زهير بيطار، الإمامة تلك الحقيقة القرآنية، صفحاته جميعاً؛ جلال الصغير، الإمامة ذلك الثابت الاسلامي المقدس، صفحاته جميعاً.

(٢) روي حديث الثقلين بطرق عديدة وبصيغ مختلفة، يُراجع: ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/١٤؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٥/٣٢٨؛ النسائي، فضائل الصحابة، ص ١٥؛ الكليني، الكافي، ٢/٤١٥؛ الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٨٠؛ الطوسي، الخلاف، ص ٢٧.

٢٠ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

البعض، أي مثلما على المسلمين التمسك بالقرآن فعليهم التمسك بهم عليه السلام، ثم نجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة أخرى يشير وبصراحة إلى تولي الإمام علي عليه السلام أمور المسلمين من بعده، وذلك بموجب حديث الغدير:

(من كنت مولاه فعلي مولاه) (١).

أي من كنت أنا وليه فعلي كذلك من بعدي فهو عليه السلام خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين والمنصب من قبله، بموجب هذا الحديث الذي كان فيه الإعلان الرسمي لهذا التنصيب، ونجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لا يقتصر على ذكر الإمام علي عليه السلام وإنما يشير إلى عدد الأئمة من بعده حينما قال مخاطباً الإمام علياً عليه السلام:

(الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها) (٢)، وهذا نص مباشر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من بعده اثني عشر إماماً من أهل البيت عليه السلام.

أشار الإمام علي عليه السلام إلى تلك الأحقية في أكثر من مناسبة، وإنه لا يقاس أحد بأئمة أهل البيت عليه السلام ومن ذلك قوله:

(لا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٨٤؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١/ ٤٥؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٢٩٧/٥؛ النسائي، فضائل الصحابة، ص ١٤؛ الكليني، الكافي، ١/ ٢٨٧.

(٢) ابن بابويه، الإمامة والتبصرة، ص ١؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١/ ٦٧؛ وروي ما يشابه هذا الحديث في كتب الصحاح بطرق مختلفة منها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش). وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم (يكون من بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش) وغيرها. ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٨٧؛ البخاري، صحيح البخاري، ٨/ ١٢٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ٦/ ٣؛ أبو داود، سنن أبي داود، ٢/ ٣٠٩؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ٢٤٠.

عليه أبدا. هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة^(١).

وهنا أشار الإمام عليه السلام إلى فضل آل محمد عليهم السلام على سائر الأمة، فإن أحداً من المسلمين لا يشبههم في فضلهم ونبلهم وسائر مكارمهم، ولعل الإتيان من هذه الأمة لأجل إنه إذا لم يقس بهم أحد من الأمة فعدم قياس غير الأمة بهم بطريق أولى لأنها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢)، (ولا يسوى بهم) أي لا يعادل بهم من أنعموا عليه، فإن المتفضل لا يعادل بمن تفضل عليه وإن اليد العليا خير من اليد السفلى، لذلك فإن لهم عليهم السلام (خصائص حق الولاية) بمعنى الرئاسة والسلطة، أي للكامل العادل ولاية على الناقص بحكم العقل والواقع، وأهل البيت عليهم السلام أفضل وأكمل خلق الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبهذا فيهم الوصية من الله والوراثة من النبي صلى الله عليه وآله^(٣).

وهذا تأكيد على أن الإمامة حق ثابت في أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم الخلفاء الشرعيون للرسول صلى الله عليه وآله حتى وإن انقلبت الأمة على الأعقاب وحاولت إبعادهم عن حقهم في تولي أمور المسلمين فهذا لا ينفي الإمامة عنهم، وقد تجلى كلام الإمام علي عليه السلام هذا في كتاب الإمام الحسين عليه السلام الذي أرسله إلى أهل البصرة من أجل طلب نصرتهم وكان مما جاء فيه:

(أما بعد: فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله من خلقه وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢.

(٢) آل عمران / ١١٠.

(٣) ينظر: مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٨٢؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٥٧؛

الخرساني، مفتاح السعادة، ٢/ ١٠٤.

٢٢التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحق الناس بمقامه، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا مما تولاه^(١).

ألقت هذه الرسالة الأضواء على الخلافة فهي حسب تصريح الإمام حق لأهل البيت عليهم السلام لأنهم أولى الناس بالرسول ﷺ وأكثر وعياً برسالته إلا أن القوم استأثروا بها فما كان من العترة الطاهرة إلا الصبر على ذلك الحق، حفاظاً على الإسلام والرسالة المحمدية، ففي هذه الرسالة إشارة مباشرة إلى النص والوصية وكذلك الإشارة إلى انقلاب الأمة على الأعقاب.

إن كلام الإمام الحسين عليه السلام في هذه الرسالة متناغم مع كلام الإمام علي عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية التي أشار فيها إلى أحقيته بالإمامة دون غيره ممن لا يستحقها إذ قال:

(أما والله لقد تقمصها فلان [ابن أبي قحافة] وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا. ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء^(٢) [جد]، أو أصبر على طخية [ظلمة]^(٣) عمياء... فرأيت أن أصبر^(٤)).

بين الإمام عليه السلام في هذا النص حقه في الخلافة وأفضليته على من اغتصبها،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٧٠.

(٢) الجذاء: المقطوعة. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/٢٥٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/٤٧٩.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، ٤/٢٩٤؛ الجوهري، الصحاح، ٦/٢٤١٢.

(٤) نهج البلاغة، ص ٣٣.

إذ إنه أراد بفلان أبا بكر، واستعار لفظ التقمص لتلبسه بها، ومثل نفسه عليه السلام بالقطب من الرحي لأنها لا تستقيم بدونه، ولما كان قطب الرحي هو الذي به نظام حركتها وبه يحصل الغرض منها فكان هو عليه السلام الناظم لأمر المسلمين على وفق الحكمة الإلهية والعالم بكيفية السياسة الشرعية، وأكد ذلك بالكناية عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم عنه بوصفين من أوصاف الجبل المنيع العالي وهما كونه ينحدر منه السيل ولا يرقى إليه الطير^(١).

وبعد أن أشار الإمام عليه السلام إلى اغتصاب الخلافة الظاهرية ممن لا يستحقها، نبه إلى إعراضه عنها ويأسه منها بهذا الشكل وقال (فسدلت) أي أرخيت دونها ثوباً وضربت بيني وبينها حجاباً، فعل الزاهد فيها والراغب عنها، أي انه عليه السلام صبر على حقه المعتصب لما في ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين^(٢).

وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام فعلاً في كتابه لأهل البصرة كما أسلفنا، إذ إن محصلة القول تقوم على:

أحقية أهل البيت عليهم السلام الثابتة بالإمامة دون غيرهم بموجب التنصيب عليهم من الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

انقلاب أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أعقابها بعد استشهادها وسلب أهل البيت عليهم السلام حقهم في الإمامة وتولي أمور المسلمين.

صبر أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام علي عليه السلام على حقهم المعتصب من أجل المحافظة على الإسلام والرسالة المحمدية، لاسيما وانها كانت في بدايتها لذلك نجد أن الإمام علياً عليه السلام صبر كثيراً على حقه المسلوب من أجل الدين ولكنه

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/٢٥٤؛ اختيار مصباح السالكين، ص ٩١.

(٢) ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ٣/٤٤.

واصل تكليفه كإمام مفترض الطاعة.

ب- المطالبة بالحق

قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهنا أمر الله سبحانه بعدم خلط الحق بالباطل وضرورة إظهاره^(٢)، ومن هذا فإن الاسلام يؤكد على المطالبة بالحق مهما كانت الآثار المترتبة على ذلك، ووجوب الوقوف بوجه الظلم والنطق بالحق، لذلك قال الرسول ﷺ:

(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)^(٣).

وهذا الحديث يدل على أهمية إظهار الحق والمطالبة به إلى درجة إعطائه الأفضلية في الجهاد، وهذا أيضاً من باب التحفيز للوقوف بوجه الظلم لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، ومن هذا نجد الرسول ﷺ يقول:

(قل الحق وإن كان مرّاً)^(٤). أي وإن كان صعباً ومؤثراً لأن الهدف لله تعالى،

فالمطالبة بالحق وإظهاره من أجل مرضاة الله سبحانه أولاً والوقوف بوجه الظالم

(١) البقرة/ ٤٢.

(٢) ينظر: التستري، تفسير التستري، ص ٣١؛ الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ١١٥؛ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١/ ١٨٨؛ الكاشاني، زبدة التفسير، ١/ ١٣٨.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٩؛ النسائي، سنن النسائي، ٧/ ١٦١؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٨/ ٢٨٢؛ القضاي، مسند الشهاب، ٢/ ٢٤٨.

(٤) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٢/ ٧٩؛ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٣٥؛ الخصال، ص ٥٢٦؛ البيهقي، شعب الإيثار، ٤/ ٢٤٣؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، ٢/ ٣٩٠؛ الهيثمي،

موارد الظمان، ١/ ١٩٥.

ثانياً، وهذا ما أمر به الإسلام.

لذلك نجد الإمام علياً عليه السلام ربط بين الصدع بالحق والجهاد عندما قال:

(إن الحق أحسن الحديث، والصادع به مجاهد) ^(١)، وهذا امتداد لحديث الرسول ﷺ في إعطاء الحق الأفضلية بالجهاد، وهو يدل على وجوب تبني الحق والنطق به وهو أمر شرعي وواجب من أجل إصلاح الأمة.

ان الذي يتبنى الحق سيجد التوفيق الإلهي في ذلك المسعى وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

(من جاهد على إقامة الحق ووقّ) ^(٢)، أي أن هناك إذناً شرعياً بضرورة الجهاد من أجل الحق والمطالبة به لكي يسود العدل بين الناس وترجع الحقوق المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين، ويقول الإمام علي عليه السلام:

(ان أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه- وإن نقصه وكرهه ^(٣) - من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده) ^(٤)، ان في هذا الكلام جذباً إلى الحق وإن أدى إلى الغاية المذكورة وتنفيراً عن الباطل وإن استلزم الغاية المذكورة بذكر الأفضلية عند الله، فإن حبيب الله هو الذي يتبع الحق وإن خسر دنياه وتراكت عليه المصائب والكوارث ولا يتبع الباطل وإن زاده في ماله

(١) المفيد، الأمالي، ص ٥؛ الطوسي، الأمالي، ص ٦٢٦؛ الحلي، المحتضر، ص ٦٣.

(٢) اللبشي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٤٠.

(٣) كرهته: ساء واشتد عليه وبلغ منه المشقة. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ١/ ٢٩٠؛ ابن فارس،

معجم مقاييس اللغة، ٥/ ١٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٨٠.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٦٧.

وجاهه^(١).

ونتيجة أهمية الحق نجد الإمام علياً عليه السلام يجعله ضمن مسؤولية الإمام الحسن عليه السلام حينما أوصاه قائلاً:

(وخض الغمرات للحق حيث كان)^(٢)، أي ادخل الشدائد وتحمل المصائب من أجل الحق^(٣)، ولذلك نجد مصداق هذه الوصية في قيام الإمام الحسين عليه السلام الذي جعل أحد أهداف قيامه إحقاق الحق.

فبعدما رأى الإمام الحسين عليه السلام الإنحراف عن الدين الإسلامي والسنة المحمدية على أشده واغتصاب حق أهل البيت عليهم السلام في الإمامة، جعل من ضمن قيامه إحياء معالم الحق والمطالبة بالحقوق الشرعية، والوقوف بوجه الظالم، وأكد ذلك في كتابه لأهل البصرة عندما قال:

(فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع)^(٤).

وذكر في خطبة له أمام أصحابه وأهل بيته:

(ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً)^(٥)، أي تجميد الحق وعدم العمل به من أغلب المسلمين وابتعاد أهل البيت عليهم السلام وهم الحق عن حقهم الشرعي في الخلافة، ومن هذا المنطلق كان

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/١٢٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/٢٣٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٩٣.

(٣) ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ٢٠/٦؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/٤٥.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١.

(٥) الطبري، التاريخ، ٤/٣٠٥. ينظر: الحراني، تحف العقول، ص ٢٤٥؛ الحلواني، نزهة الناظر،

ص ٨٨؛ الأربلي، كشف الغمة، ٢/٢٤٢؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص ٢١٦.

من ضمن أهداف القيام هو المطالبة بالحق في الإمامة وتولي أمور المسلمين وهو حق شرعي للحسين عليه السلام، لأنه أراد اصلاح شأن الأمة عن هذا الطريق بعد أن تغير حالها وابتعدت كثيراً عن الشرع الإسلامي، فرأى الإمام عليه السلام أن من واجبه أن يتصدى لتلك الانحرافات، وهذه مسؤوليته الشرعية والأخلاقية، فهو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وإمام مفترض الطاعة، فنهض عليه السلام بقيامه المقدس وقدم في سبيل ذلك من التضحيات كل ما يستطيع تقديمه.

الفصل الأول

فلسفة

القيام ومقدماته وشروطه

المبحث الأول فلسفة القيام وأهدافه

أولاً- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعد الأمر بالمعروف^(١) والنهي عن المنكر^(٢) احد أهم المبادئ التي وجدت في الاسلام وهو فرع من فروع الدين، إذ إن العمل به يترتب عليه كثير من الآثار وإن تركه أيضاً يترتب عليه كثير من الآثار، وقيل عن المعروف هو اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر بهما^(٣)، أي كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسانه فتحكم بقبحه الشريعة^(٤). لذلك صرح القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية

(١) المعروف: ما يستحسن من الأفعال وكل ما تعرفه النفس من خير وتطمئن إليه، (ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٢٣٩).

(٢) المنكر: هو ضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وكرهه فهو منكر، ينظر (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٥/ ١١٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٢٣٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ٧/ ٥٥٨).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٣١.

(٤) ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٠٥.

بخصوص هذا المبدأ المهم.

ومنها قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وأيضاً قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)، وهذه الآيات واضحة الدلالة في توضيح الأثر المترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣).

دعت السنة النبوية الشريفة أيضاً إلى هذا المبدأ ومنها قول الرسول ﷺ:

(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) (٤).

وقد جسّد الإمام علي عليه السلام هذا المبدأ بمعانيه وأشكاله كلها وأعطاه المعنى الحقيقي من ناحية التطبيق والممارسة، فضلاً عن أنه عليه السلام أخذ يثقف الرعية بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وذلك بقوله عليه السلام:

(١) آل عمران / ١٠٤.

(٢) التوبة / ٧١.

(٣) ينظر العياشي، تفسير العياشي، ١ / ١٩٥؛ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ٥ / ٨٧.

(٤) ابن نصر الكشي، منتخب مسند عبد بن حميد، ص ٢٠٢. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي،

٢١٦ / ٣؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٢ / ٢٠٣.

(وإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لخلقاً من خلق الله سبحانه، وإنما لا يقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق)^(١)، وهنا يبين الإمام عليه السلام أن الله سبحانه لم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب إلا لأجل هذين الأمرين، ولا يعتقد أحد أنه إن أمر ظالماً بالمعروف، أو نهى ظالماً عن منكر أن يكون ذلك سبباً لقتل ذلك الظالم المأمور أو المنهي إياه، أو يكون سبباً لقطع رزقه من جهته فإن الله قدر الأجل، وقضى الرزق ولا سبيل لأحد أن يقطع على أحد عمره أو رزقه^(٢).

وقد أشار الإمام عليه السلام في هذا النص إلى عدة أمور مهمة منها:

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الأحوال والظروف ومهما كانت الصعاب.

إن الآجال بيد الله سبحانه فعلى الإنسان أن يقوم بهذا الواجب دون خوف أو وجل ليزرع الثقة في قلوب الرعية ويحررهم من الخوف لكي يمارسوا هذا المبدأ المهم.

إن الإمام عليه السلام أراد الحيلولة دون أن يؤدي عنصر الخشية من الجوع أو نقص الأرزاق بفعل آثار التصدي للعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الامتناع عن الأخير وهو ما يطرأ في ذهن المتصدي أو من يرغب في ذلك.

ومن ثم أخذ الإمام عليه السلام بالتدرج أكثر بهذا المبدأ مبيناً مراتبه العليا من أجل حث الرعية على القيام به دون تردد أو خوف، فقد جعله عليه السلام أهم مقومات الجهاد حينها قال:

(١) نهج البلاغة، ص ٣٢٠.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٠٦/١٩؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،

(والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر رغم أنوف الكافرين [المنافقين] (١)).

وهنا جعل الإمام عليه السلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أنواع الجهاد لأنه إلقاء النفس في التعب، والجهاد من الجهد لأنه التعب من الأمر، وفي القيام بهذا الواجب تقوية للمؤمنين، وفيه إذلال للمنافقين الكافرين (٢).

وقد بين الإمام عليه السلام آثاراً مهمة مترتبة على القيام بهذا المبدأ منها:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدمة من مقدمات التصدي المادي للعدو فهو يترك الأثر الذي يمثل حلقة من حلقات الإعداد للجهاد بمعناه الشرعي.

إن منعة وقوة المؤمنين وتماسكهم مقرونة بالقيام بهذا الواجب، فهو أداة لتأمين جوانب معنوية كثيرة قد تهدد بخطرها سير المؤمنين واتجاههم نحو الكمال.

القيام بهذا التكليف فيه إذلال وخسران للمنافقين والكافرين لأنه يمثل جبهة مباشرة في إحباط المخططات والتصدي لها.

وهذه كلها أمور في السياق نفسه الذي ذكرناه وهو تشجيع الناس على القيام بهذا التكليف لما فيه من آثار مهمة في الحفاظ على بيضة الإسلام ووجوده واستمراره نتيجة إدراكه لما سوف تكون عليه الأمور والأوضاع فيما بعد، لذلك استمر الإمام في الحث على هذا التكليف وأخذ الإمام عليه السلام يشخص ويجدد العلاج

(١) نهج البلاغة، ص ٧٢٣.

(٢) المجلسي، مرآة العقول، ٧/ ٣٢١؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٧٢.

في الوقت نفسه وبشكل متوازن، أي انه حدد صنف وشكل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبعاً للنوع والبيئة وتبعاً للمتصدي نفسه.

ومن هنا أخذ الإمام عليه السلام يقسم طرائق وأشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ما يبدو حسب إيمان الشخص المكلف بهذا الأمر، وحسب طبيعة المرحلة الزمنية، فلذلك يقول عليه السلام:

(أيها المؤمنون، انه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من أصحابه، ومن أنكره بالسيف فتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وأقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين)^(١).

ويمكن القول ان كلام الإمام عليه السلام هذا هو ترجمة وتفسير متناغم مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور:

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٢)، أو هو بيان للمقامات التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصدها في حديثه.

وهذه الصور والأشكال التي بينها وترجمها الإمام عليه السلام تلقي الحجة وترفع العذر الذي قد يظهر هنا وهناك من الخوف والخشية والتردد وما إلى ذلك، ونستطيع القول وبثقة ان هذه الصور والطرائق والأشكال والمبادئ التي حددها الإمام عليه السلام للقيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تمثلت

(١) نهج البلاغة، ص ٨١٦.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/٤٩؛ مسلم، صحيح مسلم، ١/٥٠؛ البيهقي، السنن الكبرى،

٦/٩٥؛ النووي، رياض الصالحين، ص ١٤٩.

٣٦ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

بكل أشكالها وصورها في قيام الإمام الحسين عليه السلام، إذ أصبح هذا المبدأ أحد أهم دوافع الثورة الحسينية وأهدافها، وكيف لا يكون ذلك والحسين عليه السلام هو القائل عند قبر جده عليه السلام:

(اللهم وإني أحب المعروف، وأكره المنكر)^(١).

وهذا الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعلق بالجانب العاطفي وإنما بالجانب الشرعي، ومثل بأنه حب للتشابه مع العشق الإلهي الذي يقود إلى العبادة الحقة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو عبادة أيضاً، لذلك كان أهم أهداف القيام في فكر الإمام الحسين عليه السلام وهذا ما يؤكد عليه حينما يرد على المتقولين:

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٢).

أي ان الإمام الحسين عليه السلام بعد أن شخص الإنحراف عن السيرة المحمدية ووجد عدم أهلية المتولين لأمر المسلمين، رأى أن من واجبه وتكليفه الخروج والقيام، لاسيما وإن هناك وصية مباشرة من الإمام علي له ولأخيه الحسن عليه السلام، وذلك لما حضرته الوفاة إذ كان من ضمن وصاياه لهما عليه السلام:

(لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم

(١) ابن أعثم، الفتوح، ١٩/٥. ينظر: المجلسي، البحار، ٤٤/٣٢٨؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٧.

(٢) المجلسي، البحار، ٤٤/٣٢٩. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/٢١؛ ابن شهر آشوب، المناقب،

٣/٢٤١، البحراني، العوالم، ص ١٧٩.

تدعون فلا يُستجاب لكم^(١).

وهنا يبين الإمام عليه السلام آثاراً مهمة مترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تولي الأشرار على الرعية، وعدم استجابة دعاء الداعين منهم. هذه الوصية المباشرة حددت الآثار لترك هذا المبدأ، وقد وعى الإمام الحسين عليه السلام ذلك المبدأ وتلك الآثار إذ كانت في ذهنه عند الخروج، ويمكن أن نحدد هذه الآثار بما يأتي:

تولي شرار القوم أمور المسلمين، وهي النتيجة التي شخصها الإمام الحسين عليه السلام بسبب تواني الناس عن التصدي للانحراف.

البعد عن الله تعالى وقطع العلاقة الروحية والبعد المعنوي في العبادة فلا تترتب الآثار المبتغاة عليها، حتى يصبح الدعاء خالياً من الروح لعدم وجود مقدماته الصحيحة وأهمها أداء الفرائض ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل أبرز أهداف قيام الامام الحسين عليه السلام، ولكن طبيعة المرحلة اقتضت أن يقوم عليه السلام بأحد أعلى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي حددها الإمام علي عليه السلام وهي القيام بالسيف وذلك بعد استيفاء المرحلة السابقة دون أن يرتدع المنحرفون، ولأن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يستكمل خصال الخير جميعاً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أن يقوم بها بقلبه ولسانه ويده، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

(فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال

الخير^(١)، أي أدى ما عليه كاملاً وافيةً وقام بالواجبات الثلاث، ولم يترك واحداً منها، فقد أنكر بكل قواه، وأتم أسباب الخير التي يطمح إليها^(٢).

وقد تجلّى هذا في موقف الإمام الحسين عليه السلام بعدما لم يجد آذانا صاغية فرأى ان الموقف يحتاج إلى هزة للضمير ودم مثل دمائه عليه السلام وآل بيته الأطهار، لذا كانت البيئة تتواءم مع ذلك النوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو القيام والثورة.

وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام ذلك الاختيار بتشخيصه لموارد الخلل وآثار عدم معالجتها مبيناً الطريقة التي يجب أن تتبع مستشهداً بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العامل المشترك لإلقاء الحجّة على الناس حينما قال:

(أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)^(٣).

يلاحظ على النص أعلاه انه لم يشر إلى الإنكار بالقلب فقط وإنما بالقول وبالفعل، لأنه تحصيل حاصل أولاً، ولأن القيام بالمرحلة التي تطابق الواقع تشمل من باب أولى المرحلة السابقة ثانياً، وذلك نتيجة خطورة هذا السلطان على الإسلام والمسلمين، ومن هذا المنطلق اختار الإمام الحسين عليه السلام هذا المبدأ وجعله

(١) نهج البلاغة، ص ٨١٦.

(٢) ينظر الراوندي، منهاج البراعة، ٣/٤١٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/٤٣٦؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/٤٤٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٠٤. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ٤/٤٨؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤١٩.

الهدف الأساس في القيام، إذ إن الإمام عليه السلام باستشهاده بحديث الرسول صلى الله عليه وآله، كان يريد الإشارة إلى تحقيق شروط الخروج التي أشار إليها النبي محمد صلى الله عليه وآله وهي:

جور السلطان على الناس، أي بالحكم بغير ما أراد الله تعالى.

استحلال هذا السلطان لحرم الله تعالى، من قتل وانحرافات وغير ذلك.

نكث عهد الله تعالى على المستوى العام مع الناس والخاص مع الإمام الحق، سواء باتفاق الهدنة مع الإمام الحسن عليه السلام بخصوص الخلافة أو بخصوص أتباع أهل البيت عليهم السلام.

مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وآله بجوانبها كلها والإدعاء بنسبه كل الأفعال لتلك السنة، ومن هنا فقد شخّص الإمام عليه السلام هذه الأمور ومن ثم أراد أن يبرر ويحشد للخروج عليها.

وكانت الصورة التي رسمها الإمام علي عليه السلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توطر لذلك، ومنها وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

(وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك)^(١)، وهنا أشار الإمام عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام بأن يأمر بالمعروف وأن يتعد عمّن يفعل المنكر بكل ما يقدر عليه من جهد وأن يكون من أهل المعروف لأنهم الأبرار الصالحون^(٢).

في النص أعلاه أيضاً جاءت الإشارة إلى اليد واللسان دون القلب، وكما قلنا فهو تحصيل حاصل، لأن أعلى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل

(١) نهج البلاغة، ص ٥٩٢.

(٢) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٦٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،

٤٠التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

المراتب الأدنى، وإذا ما أردنا ذكر ذلك الانعكاس بخصوص هذا المبدأ الذي ذكره الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة وتجلياته في قيام الإمام الحسين عليه السلام أمكن تحديده بما يأتي:

جعل الإمام الحسين عليه السلام أحد أهم أهداف قيامه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لإصلاح شأن الأمة من ناحية، ولأن الإمام علياً عليه السلام جعل أحد أنواع الجهاد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قام ذلك على أساس توفر الشروط الموجبة للخروج كما مرّ.

اختيار الإمام الحسين عليه السلام أعلى مرتبة من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي حددها الإمام علي عليه السلام، وذلك من أجل تصحيح الانحراف الذي حدث في تطبيق السنة المحمدية أولاً، ومن أجل أن ينال القائم بالسيف في هذا المبدأ الأجر العظيم من عند الله سبحانه ثانياً.

إن استعمال الإمام الحسين عليه السلام هذا المبدأ في قيامه لعلمه بالآثار المترتبة على تركه والتي بينها الإمام علي عليه السلام في النهج، ولمعرفته ان العمل بهذا المبدأ لا يقرب أو يؤخر من أجل، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام أيضاً.

ثانياً

إحقاق الحق وطلب الإصلاح

أ- إحقاق الحق

الحق هو نقيض الباطل، وجمعه حقوق، وحقاق أيضاً وليس له بناء أدنى

عدداً^(١)، وهو المطابقة والموافقة أيضاً ويأتي على وجوه متعددة. يستعمل استعمال الواجب واللازم والجدير، وأما حق الله فهو بمعنى الواجب واللازم، وأما حق العباد فهو بمعنى الجدير من حيث ان الإحسان إلى من لم يتخذ رباً سواه مطابقاً للحكمة^(٢).

وقد ورد الحق في العديد من الآيات القرآنية ولعل منها قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وهذه الآية واضحة الدلالة في عدم خلط الحق بالباطل وذلك لما له من تأثير في العمل بهذا الواجب^(٤).

والحق هو منهج واتجاه وليس مفهوماً مجرداً، لذا مثل هذا المنهج الدين كله عندما قال الرسول ﷺ بحق الإمام علي عليه السلام:

(علي مع الحق والحق مع علي)^(٥)، فهو منهج يتجسد في مبدأ وصورة، فقد مثل هذا المبدأ الإمام علي عليه السلام كما يفهم من الحديث السابق، وهو بمعنى أثر يمثل الإيمان، فلو طابقنا بين هذا الحديث وحديث آخر عن الرسول ﷺ بحق

(١) الفراهيدي، العين، ٦/٣؛ الجوهرى، الصحاح، ٤/١٤٦٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤٩/١٠.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين، ١٤٨/٥.

(٣) البقرة، ٤٢.

(٤) ينظر الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ١١٥؛ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ١/١٨٨.

(٥) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١١٣؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ١/٢٠٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/٣٢٢؛ ابن جبر، نهج الإيمان، ص ١٨٧.

الإمام علي عليه السلام أمكننا فهم هذا المعنى، وهو قوله ﷺ حينما برز الإمام علي عليه السلام يوم الخندق لعمر بن عبد ود العامري^(١)، (برز الإيمان كله إلى الشرك كله)^(٢)، وهنا يتضح المطابقة بين الإيمان والحق، وهذا المفهوم الموحد تجسّد في الإمام علي عليه السلام، لذا لا نستغرب أن يترجم ذلك في نهج البلاغة بشكل يبين حرص الإمام عليه السلام عليه، فقد قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يخصف نعله^(٣) فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! قال: (والله هي أحب الي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)^(٤).

وقد بيّن الإمام عليه السلام في هذا القول عدة أمور منها:

ضرورة العمل باتجاه الحق ممّن يتولى أمور المسلمين في الأحوال والظروف كلها.

درس في الزهد بالحكم والمنصب ما لم تتحقق الفلسفة المبتغاة منه، وهي فلسفة قائمة على الإصلاح وإقامة الحق ودحض الباطل.

التأكيد على الإطار المعنوي في التعامل مع الآخرين حتى لا يكون المقياس هو البناء المادي المختل بل ان ذلك درس في العدالة والمساواة التي دعا إليها الإسلام.

(١) ينظر اليعقوبي، التاريخ، ٥٠/٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٩/٢؛ البلخي، البدء والتاريخ، ٢١٨/٤؛ الذهبي، العبر في خبر من خبر، ٧/١.

(٢) الكراجكي، كنز الفوائد، ص ١٣٧؛ الديلمي، ارشاد القلوب، ٢٤٤/٢؛ المجلسي، البحار، ٢١٥/٢٠.

(٣) يخصف نعله: أي كان يخرزها، وظاهر بعضها على بعض وخرزها، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٨/٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ٧١/٩.

(٤) نهج البلاغة، ص ٨٣.

كان الإمام عليه السلام حريصاً أشد الحرص على إتباع هذا الطريق وهو القائل (ولعمري ما علي من قتال من خالف الحق، وخابط^(١) الغي^(٢))، من إدهان^(٣) ولا إيهان^(٤)^(٥). إذ أشار عليه السلام في هذا القول إلى أنه لا يصانع أو ينافق على حساب دينه من يخالف الحق على غير طريق الدين كائناً من كان، فإنه عليه السلام لا يجابي على ذلك وهو الشديد الإيهان^(٦).

يبدو في كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى وجوب صلابة العامل بمنهج الحق، لما سوف يلاقه من صعوبات وشدائد، ومن هنا كان قول الإمام عليه السلام الشهير (لا تستوحشوا من طريق الحق لقلته سالكيه)^(٧)، في إشارة إلى تلك المصاعب فالمعلوم ان القلة هي التي تعمل بالحق لقوله تعالى:

﴿أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٨)، بغض النظر عن نوعه سواء كان المنهج أو

(١) خابط: الخبط، كل سير على غير هدى أو غير اتساق. ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، ٤/٢٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٠/٢٣٠.

(٢) الغي: الضلال والفساد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٥/١٤٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٠/٣٢.

(٣) الإدهان: اللين والمصانعة، والمداهنة إظهار خلاف ما يبطن أي لا يخلو من النفاق والغش. ينظر: الفراهيدي، العين، ٤/٢٧؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٣٠٨.

(٤) الإيهان: من الوهن، وهو مصدر أو هنته أي أضعفته. ينظر: البدري، نزهة النظر، ص ٢٨٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ٦٤.

(٦) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/٣٣١؛ البحراني، اختيار مصباح السالكين، ص ١٢٤؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٥/١١٢.

(٧) الرضوي، مع رجال الفكر، ٢/١٦٩.

(٨) الزخرف، ٨٧.

الموت أو ما إلى ذلك^(١).

بدأ الإمام عليه السلام يبين أفضلية ومكانة الشخص العامل بالحق وذلك بقوله عليه السلام:
(إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه- وإن نقصه
وكرهه- من الباطل وإن جر إليه فائدة وزاده)^(٢)، وهنا أشار الإمام عليه السلام إلى
أفضلية الذي أثر العمل بالحق عند الله حتى وإن يوجب ذلك نقصانه ويوقعه
في الشدة ويبلغ منه المشقة لكنه يعمل بهذا الواجب على حساب الباطل الذي
قد تكون فيه منفعة ذاتية له^(٣).

ومن هنا أوضح الإمام عليه السلام في هذا القول بعضاً من الأمور التي تترتب على
القيام بهذا الواجب وهي دروس مجانية تتحدد بما يأتي:

ان العامل بالحق له فضل كبير عند الله سبحانه، وهو مبدأ تشجيعي للناس
من أجل القيام بهذا الفرض.

إنه درس في الصبر والتحمل للمصاعب والآثار الناجمة عن اتباع الحق
وهي قد ينظر إليها بعضهم على إنها صورة منقصة إلا أنها ضريبة لها نتائج وآثار
دنيوية وأخروية.

إنه درس في ترك الآثار الايجابية من حيث الشكل التي تنجم عن إتباع
الباطل وهي آثار مؤقتة ويغلب عليها الجانب المادي وهي تتعارض مع الآثار
المعنوية التي تمتاز بالدوام.

(١) ينظر: السمعاني، تفسير السمعاني، ٥/١١٧؛ البغوي، تفسير البغوي، ٤/١٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦٧.

(٣) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨/١٠٦؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٢/٢٦٢؛ الخوئي،

منهاج البراعة، ٨/١٨٠.

وقد رسم الإمام عليه السلام في ذلك صورة مهمة للشخص العامل بالحق ومستقبله نتيجة قيامه بهذا الواجب ومخالفته أهواء أكثر الناس ممن انحرفوا عن الحق، وهو الأمر الذي شخصه الإمام عليه السلام في المجتمع الذي عاشه، لذلك استمر الإمام عليه السلام بالحث على العمل بالحق حتى قال:

(رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً أفرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه)^(١)، وهنا تشجيع وفتح باب الوقوف بوجه الظلم والجور عن طريق الحق، بل وضرورة إعانة الحق وصاحبه مهما كان توجهه، وهذا الأسلوب التدريجي الذي أوجده الإمام عليه السلام في طرح قضية الحق والعمل به والصورة التي رسمها لصاحب الحق تبين التثقيف الكبير لهذا الواجب.

يمكن أن نقول بأن تلك الصور التي رسمها الإمام عليه السلام قد تجلت وانعكست في شخص الإمام الحسين عليه السلام في هذا الجانب -الحق- فليس بالغريب أن نرى أن الإمام الحسين عليه السلام قد جعل أحد أهم أهداف قيامه هو إحقاق الحق، وهو الأمر الذي ظهر في الصور التي رسمها الإمام عليه السلام بالتثقيف للقيام بهذا الفرض فقد تجلت وظهرت في قيام الإمام الحسين عليه السلام، ولكن بأسلوبه الخاص الذي اقتضته طبيعة المرحلة الزمنية، لاسيما وأنه قد شرع له من الإمام عليه السلام وذلك بوصيته للإمام الحسن عليه السلام:

(وخض الغمرات للحق حيث كان)^(٢).

يبدو في قول الإمام عليه السلام أعلاه تكليف بضرورة أن يخوض الإمام في ميدان الحق مهما كانت الشدائد والنتائج المترتبة على القيام بهذه الوظيفة، وقد استعمل

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٩٣.

٤٦ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

لفظ الخوض وهو مستعار لمعاناة الشدائد والدخول فيها لطلب الحق، حيث خاض ذلك الإمام الحسين عليه السلام مع قلة الناصر ورغم الشدائد التي اعترضت طريقه ^(١).

لذلك كان الحق شعاراً للحسين عليه السلام وفي وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية، إذ يظهر ذلك حين قال له:

(فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين) ^(٢)، لقد حدد الإمام عليه السلام خروجه بآئنه من أجل الحق وإماتة الباطل ودعا الأمة باسم الحق إلى الالتفاف حوله لتحمي حقوقها وتصون كرامتها وعزتها التي انهارت على أيدي الأمويين، إذ جعل عليه السلام قبول الناس له ليس لأجل العلاقات الشخصية أو مصلحة أو عصبية أو غير ذلك وإنما انطلاقاً من الحق وانسجاماً معه ^(٣).

نجده عليه السلام في مناسبة أخرى في كتابه لأهل البصرة يقول:

(فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع، فإن تجميعوا تهتدوا سبل الرشاد) ^(٤)، ويبدو في قول الإمام عليه السلام ان الحق طمست معالمه أبان الحكم الأموي، ولذلك كان شعار وهدف الإمام الحسين عليه السلام هو إحقاق الحق، ولا سيما ان الإمام علياً عليه السلام قد أمر وبوصية مباشرة إلى الإمامين الحسن والحسين عليه السلام

(١) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/٦٥؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/١١.

(٢) المجلسي، البحار، ٤٤/٣٣٠. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/٢١؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/٢٤١؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٩.

(٣) ينظر: القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢/٢٦٥؛ العامل، مختصر مفيد، ١/٧٠.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١.

بضرورة العمل والقول بالحق وذلك حينما أوصاهما قائلاً:

(قولا بالحق، واعملا للأجر [للآخرة] وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)^(١).

يظهر في قول الإمام علي عليه السلام توصية ألا يقولوا عليهم السلام إلا الحق، وهو ما ينبغي قوله من أوامر الله ونواهيه وأن يعملوا لأجر الآخرة أي تكون أقوالهما وأعمالهما ملازمة قول الحق والعمل به بدون خوف أو خشية من أحد^(٢)، إلا أن الإمام عليه السلام قد ترك الباب مفتوحاً للأئمة عليهم السلام في اختيار الأسلوب الذي يناسب طبيعة المرحلة بالقيام بوظيفة الحق، لذلك وعندما وجد الإمام الحسين عليه السلام انه ينبغي القيام بهذا الواجب قام به ولكن بأسلوب السيف لابتعاد الناس عنه بشكل كبير، بل وقد حورب من ينطق بالحق وهو أمر أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بخطبته يوم عاشوراء أمام أصحابه وأهل بيته قائلاً:

(ألا ترون أن الحق لا يُعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً)^(٣).

كان هذا الخطاب لأصحابه عليهم السلام لا ليستدر عواطفهم، ولا ليستجلب نصرهم، فماذا يغنون عنه بعدما أحاط به الأعداء، وإنما قال ذلك ليشاركوه المسؤولية في إقامة الحق، الذي آمن به واختاره قاعدة صلبة لنهضته الخالدة،

(١) نهج البلاغة، ص ٦٤١.

(٢) ينظر البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢١؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٢٠/ ١٣٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٠٥. ينظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٥٠؛

الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٥/ ١٥٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٥/ ١٢؛ الزرندي، نظم درر

السمطين، ص ٢١٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٢.

٤٨ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وقد بيّن عليه السلام في هذا الخطاب شرعية هذا الواجب ووقته المناسب الذي قام به بعدما جمد الحق وابتعد الناس عنه ^(١).

وبذلك مثل الإمام الحسين عليه السلام صورة الشخصية الحقيقية التي رسمها الإمام علي عليه السلام للقائم بالحق، وقد جسد كل المبادئ التي ذكرها الإمام علي عليه السلام للحق ولصاحب الحق ولمبررات القيام والنطق به.

ب- طلب الاصلاح:

لا يخفى عن المتتبع للتاريخ الإسلامي كيف أصبح حال المسلمين وما هي الانحرافات التي وجدت بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد أشار عليه السلام بقوله:

(.. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً) ^(٢)، وهذا الحديث يكفي لبيان الإنحراف الذي حدث خاصة وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ^(٣).

وعندما نقلت صفحات التاريخ لا نجد أحداً قد تصدى للإنحراف عن السنة المحمدية والإصلاح في الإسلام غير أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان المتصدي الأول لذلك هو الإمام علي عليه السلام، إذ كرس كثيراً من جهده عليه السلام من أجل إصلاح حال الإسلام والمسلمين، وقد أشار إلى ذلك في عدة مواضع من نهج البلاغة منها قوله:

(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس

(١) ينظر: المهتدي البحراني، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ص ١٩٦.

(٢) الكليني، الكافي، ٥/ ٥٩. ينظر: الطبراني، المعجم الأوسط، ٩/ ١٢٩؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٦٨٨/٣.

(٣) النجم / ٣.

شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك،
فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك^(١).

أشار الإمام عليه السلام في قوله أعلاه إلى أنه لم يكن قصده من توليه الخلافة الظاهرية
من أجل زخارف الدنيا وزينتها، فعندما نتبع النص بعناية تظهر لنا جملة أمور
من أبرزها:

إن الإمام عليه السلام وكما هو واضح لم يكن طالباً لخلافة دنيوية وإنما كان همه
الإصلاح سواء تولى الخلافة الظاهرية أم لم يتولها.

يظهر النص مدى الانحراف الذي وصل إليه المسلمون بابتعادهم عن معالم
الدين الصحيح والسنة المحمدية الشريفة.

كان هم الإمام عليه السلام هو إعادة حدود الله سبحانه المعطلة نتيجة لما أصبح
عليه حال الخلافة بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فيه إشارة إلى كثرة المظلومين في الأمة الإسلامية، وهذا نتيجة تولي الخلافة
من لم يستحقها.

لذلك رأى الإمام عليه السلام ومن موقع المسؤولية أن يقوم بوظيفة الإصلاح
لأنه واجب مكلف به وقد أشار إلى ذلك في أكثر من مناسبة، إذ قال عليه السلام:

(وما أردتُ إلا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه
أنيبُ^(٢))^(٣). أي أردت الإصلاح بقدر استطاعتي وما ذلك إلا بتوفيق من

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٦.

(٢) هود / ٨٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٨٦.

الله سبحانه في أموري (١).

وهنا أيضاً تأكيد بأن الإمام عليه السلام لم تكن غايته من الخلافة من أجل إمارة المسلمين أو الخلافة الدنيوية وإنما الإصلاح الديني، وإعادة السنة المحمدية الصحيحة إلى ما كانت عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله بعد ابتعاد المسلمين بشكل كبير عنها.

إن هذه الصورة تجلت عند الإمام الحسين عليه السلام في قيامه عندما رأى أن الانحراف على أشده عن السنة المحمدية والابتعاد عن معالم الدين الإسلامي نهض بالواجب المكلف به، وجعل أحد أهداف قيامه هو طلب الإصلاح، وقد أشار إلى ذلك بقوله عليه السلام:

(إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام) (٢).

ونجد ان الإمام الحسين عليه السلام قد أشار إلى عدة أمور في هذا النص ومنها:
وجود الانحراف عن الإسلام والسنة المحمدية، ومن ثمَّ فإنَّ الأمر الذي تولى الإمام علي عليه السلام الخلافة من أجله وهو الإصلاح، خرج من أجله الإمام الحسين عليه السلام بالسيف.

فيه إشارة إلى الامتداد في الرسالة الإلهية وان سيرة كل إمام هي استمرار وتكملة لما قبله وذلك بقوله عليه السلام: وأسير بسيرة جدي وأبي.

(١) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣٣/٤.

(٢) المجلسي، البحار، ٣٢٩/٤٤. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٢١/٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب،

٢٤١/٣؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٩.

فيه إشارة أيضاً إلى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن طالباً خلافةً دنيوية وإنما هدفه الإصلاح، وهذا تأكيد على منهج ومبدأ الإمام علي عليه السلام في الخلافة والذي انعكس في قيام الإمام الحسين عليه السلام.

وما يؤكد هذا النفس الإصلاحي ما ورد في كتابه عليه السلام لأهل البصرة:

(إن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت ونعشت)^(١)، إذ يذكر القرشي: بأن الحسين قام ليقضي على البدع الجاهلية التي تبناها الأمويون ويحيي سنة جده التي أماتوها، فكان قيامه الخالد من أجل اماتة الجاهلية ونشر راية الإسلام^(٢). أراد الإمام الحسين عليه السلام القضاء على تلك البدع التي كان الإمام علي عليه السلام قد أماتها عندما تولى الخلافة، وعندما وجد الإمام الحسين عليه السلام إعادة إحيائها قرر القيام بالإصلاح وهو الدافع الذي يقع ضمن تكليف الأئمة عليهم السلام. أشار الإمام الحسين عليه السلام أيضاً في مناسبة أخرى إلى كثرة المظلومين في ظل الحكم الأموي وتعطيلهم لحدود الله وإظهارهم الفساد وذلك عندما قال: (إن هؤلاء قد ألزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيري)^(٣).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٧٨/٢. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦٦؛ ابن نما، مشير الأحزان، ص ١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٧٠.

(٢) حياة الإمام الحسين ٢/٢٨٩.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣١٤. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٧١؛ ابن أعثم، الفتوح، ٥/٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ٤/٤٨؛ النويري، نهاية

الإرب، ٢٠/٤١٩.

٥٢التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ان النصوص الواردة في نهج البلاغة تظهر لنا كثيراً من الصور والتجليات التي تؤكد على مصداق منهج إمام بالنسبة إلى إمام آخر من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو رد على من يشكك في ذلك.

المبحث الثاني

مقدمات القيام وشروطه

أولاً- مقدمات القيام:

تولي معاوية الخلافة

إنَّ منصب الخلافة هو منصب مقدس، لأن الذي يتولاه هو خليفة الرسول محمد ﷺ والإمام من بعده، على وفق شروط وضوابط لا يتسنى لأي شخص أن يدعي وجودها إلا في أناس مخصوصين من الله تعالى، لذا كان تولي الأمويين للحكم يمثل أهم الانحرافات التي كانت السقيفة المؤسس الفعلي والمصدر لها، فكان وصول الأمويين للحكم نكبة ما بعدها نكبة، فهم الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك لقوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(١)، فإن بعض التفاسير تشير إلى أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية^(٢).

ولهذا نجد ان الإمام علياً عليه السلام يذكر بني أمية في كثير من المناسبات سواء بما

(١) الاسراء / ٦٠

(٢) القمي، تفسير القمي، ١ / ٢٠؛ الطوسي، التبيين في تفسير القرآن، ٦ / ٤٩٤.

يخص نسبهم أو صفاتهم أو إسلامهم وغير ذلك، بل عدّ تولي الأمويين لمنصب الخلافة فتنة مظلمة للناس إذ أشار إلى ذلك بقوله عليه السلام:

(ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة [وظلمة]: عمّت خطتها، وخصت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس^(١) تعذب بفيها، وتخبط بيدها، وتزين برجلها، وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا [لا يكون] منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم)^(٢).

يشير الإمام علي عليه السلام هنا إلى شدة البلاء في هذه الدولة الطاغية على أهل العلم والاخلاص إذ يصيبهم من عدوانها السهم الأوفر لصدقهم ومعارضتهم، ولا أحد يسلم من جور الأمويين إلا من يبارك أباطيلهم عن جهل وعمى أو عن قصد وطمع، ولا يسلم من شرهم إلا من يعمل لصالحهم نتيجة طمع دنيوي، فإن كل واحد منهم مثل الناب الضروس^(٣).

إذا أمعنا النظر في كلام الإمام علي عليه السلام نجده أشار إلى جملة من الآثار المترتبة على تولي الأمويين للحكم أبرزها:

عدّ تولي الأمويين للحكم فتنة للناس، بل هي أشد الفتن عليهم، كما وصفها عليه السلام.

(١) الناب الضروس: وهي المسنة من النوق السيئة الخلق التي تعض حالبها. ينظر: الجوهري، الصحاح، ١/٢٣٠ و ٣/٩٤٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/٧٧٦ و ٦/١١٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٩٥.

(٣) ينظر الراوندي، منهاج البراعة، ١/٤٢٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/٥٨؛ البدري، نزهة النظر في غريب النهج والأثر، ص ٥٠٠.

الهمجية والعنجهية في تعامل بني أمية مع الناس وتوزيع الظلم عليهم.
شبه الأمويين بالناقة المسنة السيئة الخلق التي تتعدى على الآخرين بالضرب
لتمنع الحليب عنهم، وهذا فيه إشارة إلى الجانب الاقتصادي وذلك أن الأمويين
سوف يستأثرون بالأموال لهم فقط دون غيرهم وهذا على حساب مصالح
الرعية.

وفيه إشارة إلى أن الأمويين سيقتلون ويضطهدون المعارضين لحكمهم إلا
المؤيدين لهم والذين وجدوا مصالحهم معهم.

ان الذي يطلع على التاريخ الأموي سيجد مصاديق كلام الإمام عليه السلام وتحقق
ما أشار إليه من آثار نتيجة توليهم الحكم، إذ إنه عليه السلام أشار وبشكل مباشر في كتابه
إلى معاوية حينما قال له:

(متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاية أمر الأمة؟ بغير قدم سابق ولا
شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء)^(١).

أي أن الإمام عليه السلام يذكر لمعاوية بأنه لا سابقة لكم في الإسلام حتى تستحقوا
تولي شؤون الرعية، ولا شرفاً عالياً رفيعاً يسمح لكم بذلك، وهنا نفي عن
كونهم سادة في الإسلام، فأبو سفيان كان زعيم الشرك والجاهلية والجهلاء
ورئيس البغي والعدوان قاد الجيوش ضد الإسلام ولما قهرهم الإسلام استسلم
وابنه مضطرين، ولما قامت دولة الأمويين باسم الإسلام وسنحت الفرصة لهم
عادوا إلى طبيعتهم وجاهليتهم الأولى، وبناء على هذا يكون مراد الإمام عليه السلام
من السيادة ونفيها عن أمية، السيادة الحققة العادلة، لا سيادة البغي والعدوان
ويومئ إلى ذلك بقوله: (ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء) أي سوابق أهل

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٧.

السوء كزعامة أمية التي هي شر وبلاء^(١).

وهذا يدل على عدم أهلية الأمويين لتولي الخلافة وذلك لعدم انطباق الشروط عليهم، وفي مناسبة أخرى نجد الإمام عليه السلام يشير إلى الفرق بين بني هاشم وبني أمية، وكذلك إلى النسب الأموي حينما قال في رده على معاوية:

(أما قولك: إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق^(٢)، ولا الصريح^(٣) كاللصيق^(٤)، ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل^(٥))^(٦).

وهنا بين الإمام عليه السلام الفرق الشاسع والكبير بين آباءه وأجداده وبين آباء وأجداد معاوية، إذ إن كل واحد من آباء الإمام عليه السلام هو أشرف ممن هو من آباء معاوية، وعلى الرغم من أن معاوية منتسب إلى عبد مناف حسب الظاهر لكن نيات أموره ورذيلات صفاته أخرجته من بيت الشرف حقيقة، وهذا الفرق

(١) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/٨١، مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/٤٠٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٤٤٥.

(٢) الطليق: والجمع الطلقاء، وهم الذين خلى عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وكان فيهم معاوية وأبو سفيان، ينظر: الفراهيدي، العين، ٥/١٠٢، الطريحي، مجمع البحرين، ٥/٢٠٨.

(٣) الصريح: الرجل الخالص النسب، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/٣٤٧؛ الزبيدي، تاج العروس، ٤/١١٨.

(٤) اللصيق: الدعي المنسوب لغير أبيه أي ملصق به. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٨٥٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٤/٢٦١؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٣/٤٢٨.

(٥) المدغل: صاحب مفسدة، أي الذي يخدع الناس ويظهر خلاف ما يبطن. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١/٢٤٤.

(٦) نهج البلاغة، ص ٥٦٥.

الشاسع بيّنه الإمام عليه السلام إذ كما ان هنالك فرقاً ظاهراً ومسافة كبيرة بين صفات الإمام ومعاوية كذلك الحال بين الآباء ^(١).

ان كلام الإمام عليه السلام السابق يبرز جملة أمور منها:

أشار عليه السلام إلى الفرق الكبير والشاسع بين آباءه وأجداده عليه السلام وبين آباء وأجداد معاوية، ورفع مستوى الهاشميين فوق الأمويين.

التشكيك في الإسلام الأموي، وذلك لأنهم الطلقاء الذين لم يعتنقوا الإسلام عن قناعة وإنما استسلاماً.

فيه إشارة إلى النسب الأموي، إذ إنهم اللصحاء المشكوك في نسبهم وليسوا صرحاء ذوي نسب معروف مثلما هو حال بني هاشم.

وهذه الصورة التي رسمها الإمام علي عليه السلام عن الأمويين والصفات التي ذكرها عنهم، تجعل منهم غير مؤهلين لتولي منصب الخلافة، ونجد هذا الأمر قد تجلّى في كلام وأفعال وتصرفات الإمام الحسين عليه السلام إزاءهم، إذ ان الإمام عليه السلام أشار وبشكل مباشر إلى ان الخلافة محرمة على الأمويين نتيجة لصفاتهم وعدم أهليتهم لهذا المنصب، وذلك حينما قال في كلامه مع مروان بن الحكم:

(.. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء، وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه) ^(٢).

بيّن الإمام الحسين عليه السلام حرمة الخلافة على الأمويين بل أشار إلى وجوب قتل معاوية إذا رئي على منبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه الطليق ذو النسب الوضيع المغتصب،

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٣٩٣؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٨/٢٥٨.

(٢) ابن أعمش، الفتوح، ٥/١٧. ينظر: ابن نما، مشير الأحران، ص ١٥؛ ينظر حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في

الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في مناسبة أخرى قائلاً:

(كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك) (١).

وهذا تكرار للصورة التي رسمها الإمام علي عليه السلام عن الأمويين بأنهم ليسوا ذوي انساب صريحة، لذلك استعمل الإمام الحسين عليه السلام المنطق والكلام نفسه مع معاوية، فالإمام عليه السلام يقول له بأنكم لستم من أهل قريش، وهذا على المستوى المادي وهناك مستوى آخر نفهم منه انه حكم بعدم إسلام معاوية وأن الأمة المقصودة هي المسلمة، ومن ثم فإن المصداق النسبي أو الديني يحرم توليهم الخلافة وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

(الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش) (٢)، وبذلك قطع الإمام الحسين عليه السلام الطريق على الأمويين في ادعائهم الخلافة، وأعلنها صراحة بوجه معاوية عندما عدّ خلافته فتنه ورأى من واجبه أن لا يعترف بتلك الخلافة، فقد خاطب معاوية قائلاً:

(وإني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قرب إلى الله، وإن تركته، فإني استغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري) (٣).

(١) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/٢٠٣؛ الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٥٦؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢١؛ المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٤٣٥.

(٢) باختلاف الألفاظ ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/٨٧، البخاري، صحيح البخاري، ٨/١٢٧؛ مسلم، صحيح مسلم، ٦/٣؛ الصدوق، الأمالي، ص ٣٨٧؛ الخزار القمي، كفاية الأثر، ص ٤٧.

(٣) الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٥٧. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ١/٢٠٣؛

وبذلك أعلن الإمام الحسين عليه السلام صراحة عدم خضوعه لحكم معاوية لأنه ليس الخليفة الشرعي، وذلك بناء على الصورة والأثر المترتب على الخلافة الأموية التي أوضحها الإمام علي عليه السلام في النهج، وهنا نجد ان الإمام الحسين عليه السلام أعلن رفضه القطعي لخلافة معاوية، وبهذا يعدُّ تولي معاوية لمنصب الخلافة احد أهم مقدمات القيام، لما ترتب على توليه من آثار وتبعات جرت الولايات على العالم الإسلامي بشكل عام وعلى أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، فكأنها جعلوا اضطهاد أئمة أهل البيت عليهم السلام سنة يتوارثونها واحداً بعد آخر مثلما كان في قضية سب الإمام علي عليه السلام إذ سنّها معاوية وأخذ من بعده ملوك بني أمية يتوارثونها الواحد بعد الآخر (١).

وكان معاوية يؤسس لنظام بعيد عن روح الإسلام يقوم على التوارث السلبي المادي وهو الأمر الذي رفضه الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام وكان لا بد من الوقوف بوجهه، وهي المهمة التي اضطلع بها الإمام المفترض الطاعة آنذاك الحسين بن علي عليه السلام.

٢- توريث الحكم

لم يكن في الإسلام قبل الحكم الأموي مبدأ يسمى الوراثة في الحكم، إذ إنه على الرغم مما حدث في السقيفة من إنحراف عن الخليفة الشرعي وهو الإمام علي عليه السلام إلا أنه لم تكن هناك وراثة بمعناها النسبي وإن كانت هناك وراثة من

الشامي، الدر النظيم، ص ٥٣٤؛ المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٤٣٦؛ البحراني، العوالم، ص ٩٢.

(١) ينظر علي رحيم أبو الهيل، الدعاية الأموية المضادة للإمام علي (دراسة في سياسة السب) صفحاتها جميعاً.

نوع آخر تقوم على المصلحة ورد الدين من جهة والعداء للخط الرسالي من جهة أخرى، إلا ان أول من بايع لولده هو معاوية إذ نصب وأوصى لابنه يزيد بالخلافة من بعده^(١)، وبذلك حوّل معاوية الخلافة إلى ملك دون أن يكون يزيد مؤهلاً لهذا المنصب مثله كمثل أبيه، وقد وضعت الشريعة الإسلامية شروطاً وضوابط لهذا المنصب ترجمها الإمام علي عليه السلام بما ذكره في نهج البلاغة إذ قال:

(وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أمواهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف [الجائف] للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)^(٢).

نجد هنا أن الإمام عليه السلام وضع ضوابط مهمة لمن يتولى أمور المسلمين وأن يكون والياً على الفروج بوصف أمره ونهيه في الحرب يجعله الوالي على الدماء، وأشار عليه السلام إلى رذائل تنافي الإمامة ومنها البخل، فشدّة حرصه على ما في أيدي الناس الرعية يستلزم نفارهم عنه، والجهل، فجهله بقوانين الدين وتدبير أمور العالم يسبب ضلالتهم، وأما الجافي فلأن جفائه يستلزم النفرة والانقطاع عنه، والحائف الذي يحيف ويجور بالمال، والمرتشي فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف فيها على حيف دون المقاطع الحقة، وأما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة

(١) الفلقشندي، مآثر الانافة، ٣/٢٤٢. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٢٤؛ ابن

مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٣٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/٥٠٣.

(٢) ص ٢٧٦.

وإهماله المستلزم لفساد النظام في الدنيا والآخرة وذلك لأنه لا ينفذ أحكام الإسلام لأن في أحكام الإسلام حياة الأمة فإذا عطلت هلكت الأمة ولا يخفى أن الإمام عليه السلام ذكر ابرز الصفات المنافية للأمر، لا كلها، والجامع أن يكون متفهماً في أمور الدنيا والدين، عادلاً - بمعنى الملكة الباعثة على الطاعة - رجلاً طاهر المولد، إلى غيرها مما فصل فيه الفقه، وبرذيلة الجهل وحيث الدول وتعطيل السنة المحمدية خرج معاوية عن الصلاحية لها^(١).

وإذا ما لاحظنا صفات من لا يجوز أن يتولى الحكم الخاص والعام نجد ان أغلب تلك الصفات تنطبق على يزيد بن معاوية ومن قبله أبوه، فلذلك جاء الرفض القطعي من الإمام الحسين عليه السلام لبيعة يزيد عندما انعكست تلك المبادئ التي ذكرها الإمام علي عليه السلام وهو ما يعيه الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ومن هنا رفض البيعة.

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى بعض من صفات يزيد في كلامه مع معاوية حيث قال:

(وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب)^(٢)، بل وقال عنه أيضاً: (يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله)^(٣).

(١) ينظر الراوندي، منهاج البراعة، ٥٢/٢؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٤٩/٣؛ اختيار مصباح السالكين، ص ٢٨٩؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/٢٩٠.

(٢) المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٤٣٦. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢٢/٥؛ الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٥٨؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢١.

(٣) ابن طاووس، اللهوف، ص ١٧. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ١٤/٥؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٣٢٥؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٤.

إن التاريخ مجمع على فسق يزيد، وعلى شربه للخمر وارتكابه للمنكر والموبقات ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا ثلة من الشواذ، أرادوا المكابرة، وتكذيب حقائق التاريخ، ولا ريب في ان مثل هذا الشخص لا يمكن أن يكون هو الأمين على دماء المسلمين فهل يؤمن على أعراضهم وأمواهم؟ ثم على مصيرهم ومستقبلهم ويصبح هو الحاكم المتصرف في ذلك كله وهو لا يملك -سبب معاقرة للخمر- في أوقات كثيرة حتى التوازن العقلي الذي يحمي قراره من الضعف والرعونة، ومن أن يكون قراره مدمراً للأمة، ويلاحظ على قول الإمام عليه السلام انه قال: قاتل، وشارب وذلك دال على سجية يزيد ولم يقل قتل وشرب، لأن ذلك ربما يفسح المجال لادعاء التوبة والعلاج في فترات لاحقة، فضلاً عن انه عليه السلام صرح بحرمة النفس المقتولة كي لا يفسح المجال أيضاً لادعاء أنه قتلها بحق، وبذلك قد أعطى الإمام عليه السلام الميزان والضابطة، والتعليل الواضح لكونه عليه السلام لا يحق له أن يبائع يزيداً^(١).

وطبيعي أن تكون تلك الصفات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام عن يزيد متناغمة ومتطابقة مع المنع الذي حدده الإمام علي عليه السلام وفق شروط شرعية وإنسانية، ولعل ربط تلك الصفات التي حددها الإمام الحسين عليه السلام بالحاكم تبين البعد الشاسع بينهما، هذا إذا ما قلنا بأن هناك ثمة مرشحون أصلاً للخلافة لاسيما مع وجود النص الشرعي الذي نصب الخلفاء من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والصفات التي حددها الإمام الحسين عليه السلام ليزيد كما في الأقوال السابقة تدرج بما يأتي:

انه غلام حدث، ولا يجوز شرعاً وعرفاً تنصيب من ليس أهلاً من ناحية

(١) ينظر العاملي، عاشوراء، ص ٧٤؛ مختصر مفيد، ١/ ٦٤؛ المواسم والمراسم، ص ١٢.

العمر، ويستثنى من ذلك التنصيب الإلهي.

انه شارب الخمر، وهي فضلاً عن حرمتها فإنها تذهب العقل فكيف يكون إمام المسلمين بهذا الوضع!!

يزيد يلعب بالكلاب، وفضلاً عن ذلك تحريمه يكشف عن الطيش.

انه شخص قاتل للنفس ومن ثم القاتل لا يكون خليفة فهو من أهل النار. انه بالمجمل فاسق بل معن و متجاهر بالفسق.

ان مقارنة يزيد بغيره باطلة فكيف إذا كان المقارن به الإمام الحسين (عليه السلام)، لذا قال (عليه السلام): (مثلي لا يبايع مثله)، أي انه سوف يتصدى إلى هذا الانحراف الخطير، وهو التورث من جميع الجهات سواء من حيث المبدأ أو من حيث فسق الشخص المختار.

ثانياً

الشروط

قيام الحجة

من المعلوم ان الدعوة والثورة تعتمد بالأساس على توفر الشروط اللازمة لقيامها إلى جانب اكتسابها البعد الشرعي بفعل قيام الحجة بضرورة الخروج نتيجة توافر الأنصار بغض النظر عن العدد بل بحسابات أخرى، والبيئة الملائمة والصالحة وهو ما يفسر لنا كون دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدايتها محصورة بحيز زماني ومكاني وبشكل معن ثم تطورت لتشمل حيزاً أكبر^(١).

(١) ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، الجزء الأول، صفحاته جميعاً.

كذلك الإمام علي عليه السلام بعد السقيفة^(١) وبعد موت عثمان^(٢)، كان تصديده للخلافة السياسية بناء على قيام الحجة وهو القائل:

(أما والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز^(٣))^(٤).

اختلفت الآراء حول المراد من قول الإمام عليه السلام (لولا حضور الحاضر) إذ قيل المراد به من حضر لبيعة الإمام بالخلافة، وقيل بل المراد بحلول الوقت الذي وقته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتال الإمام من بعده، وقيل ان المراد بحضور الحاضر الوضع الحاضر، وهو الفساد الذي كان سائداً ومنتشراً آنذاك^(٥). وذهب البعض الآخر إلى أن المراد منه نفسه عليه السلام^(٦)، وقيل أراد بها البيعة فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها^(٧).

يبدو إن حضور الحاضر قد عنى منه الإمام عليه السلام هو توفر الناصر فبعد توفر الأنصار سواء الحقيقيين المؤمنين به وبخلافته، أو حتى كثير من الأنصار حسب

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٤٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٣٤٩.

(٢) ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٤٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٣٤٩.

(٣) عفة عنز: الماعز إذا عطست، والعفط نثر الشاة بأنوافها. ينظر: الفراهيدي، العين، ٢/ ١٨؛

الجوهري، الصحاح، ٣/ ١١٤٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٥٣.

(٤) نهج البلاغة، ص ٣٨.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٩٨.

(٦) الخرساني، مفتاح السعادة، ٣/ ٤٦١.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٢.

الظاهر قام الإمام عليه السلام بالأمر، وقد أشار إلى هذا الرأي الراوندي ت ٥٧٣ هـ، وابن أبي الحديد ت ٦٥٦ هـ^(١) في أحد الآراء التي ذكرها حول هذا الموضوع.

وقد أراد الإمام عليه السلام من قوله السابق بأن الغرض تعين عليه وتوجه إليه مع وجود من ينتصر به في الظاهر على دفع المنكر ومنع الباطل وبيّن لكل من لا علم له سبب قعوده في أول الأمر مع نهوضه في حرب الجمل وما بعدها، ان ذلك لفقد الأنصار أولاً وهذا لحضورهم ثانياً، وبذلك ومع توفر الأنصار فإنه لا حجة ولا عذر عند الله لمن يسكت عن الفساد والضلال إذا وجد من يناصره، فأصبح من واجب الإمام عليه السلام أن يقبل الأمر وينهض ويردع المفسدين ويرعى مصالح المسلمين، ولا سيما ان الله سبحانه أخذ على العلماء عهداً أن يكونوا للمظلوم عوناً، وعلى الظالم حرباً، وقد أشار عليه السلام إلى طغيان الظالم وتماديّه (بكظة الظالم) أي تخمته، على العكس من المظلوم الذي أشار إليه (بسغب المظلوم) أي جوعه وبؤسه ولهذا ونتيجة ما أوجب الله سبحانه على الإمام عليه السلام من إنكار المنكر بعدما أوكلوا إليه أمر الخلافة لكان موقفه منها كما كان من قبل^(٢).

وبذلك فإن الإمام عليه السلام قد أكد جملة أمور من أبرزها إن وجود الأنصار الصادقين المؤمنين بإمامهم هو المحفز الرئيس لتصديه إلى الأمر.

أشار إلى أن العلماء يجب أن يقفوا بوجه الظالم فكيف إذا كان المتصدي إماماً، فإن من واجبه العمل بذلك.

أوضح عليه السلام زهده بالخلافة، وهي أزهد عنده من عفتة عنز، وبهذا فإنه لم

(١) منهاج البلاغة، ١/ ١٣٠؛ شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٢.

(٢) ينظر الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ١٣٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠٢؛ مغنية،

في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٩٨؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٣/ ٤٦١.

يكن طالب سلطة دنيوية.

إن مبدأ توافر الناصر الذي كان له الأثر الأكبر في تولي الإمام علي عليه السلام الخلافة كان أحد أهم العوامل المساعدة على قيام الإمام الحسين عليه السلام بعد أن وجد الأنصار الصادقين المؤمنين بالقيام، فأعلن ثورته، وإن التاريخ زاخر بالمواقف المشرفة والبطولية التي لا مثل لها في تاريخ الانسانية لأنصار الحسين عليه السلام (١)، ولو نذكر فقط ما قاله الإمام عليه السلام في حقهم لاتضح الصورة من ان العدد ليس هو المقياس في القيام بل صدق وإيمان الأنصار، وذلك عندما خاطبهم في ليلة العاشر من محرم إذ قال لهم عليه السلام:

(فإني لا أعلم أصحاباً أصلح منكم ولا أهل بيت أبر ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً) (٢).

إن هذا القول يعني في جملة ما يعنيه انهم أفضل من أنصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام لاسيما وإن المعصوم لا يستهويه هوى وإنما نطقه وحي يوحى من الله تعالى وإن قول الإمام الحسين عليه السلام هو الواقع الموجود، وذلك لامتياز أنصاره كمجموعة بصفات لم يتصف بها أنصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام كمجاميع، فلذا استحقوا هذه الأفضلية (٣).

ان توافر مثل هؤلاء الأنصار أسهم بشكل كبير في القيام خاصة وإن الإمام

(١) ينظر: البو هلاله، موسوعة أنصار الحسين عليه السلام صفحاته جميعاً.

(٢) ابن طاووس، اللهوف، ٥٥. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٣؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٤٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ٤/ ٥٧.

(٣) ينظر البو هلاله، موسوعة أنصار الحسين عليه السلام الفصل الأول، المبحث الخامس، صفحاته جميعاً.

الحسين عليه السلام كان أمام مسؤولية للخروج على الأمويين نتيجة ظلمهم ومخالفتهم كل تعاليم السماء، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك وهو يتحدث عن ظلم بني أمية إذ قال:

(والله لا يزالون حتى لا يدعوا الله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا حلّوه، حتى لا يبقى بيت مدر^(١) ولا بر^(٢) إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم [رعيهم] وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه وباك يبكي [يشتكى] لديناه)^(٣).

ان المقصود من كلام الإمام عليه السلام السابق الإشارة إلى طغيان بني أمية وما يصيب المسلمين منهم من الجور والظلم والأذى، إذ لا يجهل أحد مبلغ ما نزل بالناس من ظلم بني أمية وانتهاكهم للحرمات واستهتارهم بالفضيلة، وإنهم لم يدعوا الله محرماً إلا استحلوه أي أعدوه حلالاً واستعملوه استعمال المحللات ولا يباليون به، ويشهد بذلك ما صدر منهم من القتل وإتلاف النفوس التي لا تحصى، فإذا كان حالهم في أعظم الكبائر ذلك، فكيف بغيرها، وإنهم نقضوا كل العهود والعقود بينهم وبين الناس وأول ما وقع من ذلك ما كان من معاوية فقد نقض الهدنة بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام، وأما العهود المأخوذة عليهم من الله تعالى في أحكام الدين وقوانين الشرع، فيكون حلها عبارة عن مخالفتها وعدم العمل بها، وذلك أوجب سوء رعيهم الجفاء والرحيل عنهم نتيجة سوء امارتهم

(١) بيت مدر: وهو الذي يبنى من الطين ويكون في المدن أو الحضر وفي القرى والأمصار. ينظر: ابن

الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤/٣٠٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٥/١٦٢.

(٢) بيت وبر: وهي الخيام التي تبنى في البوادي والمدن والقرى وهي من وبر الأبل. ينظر: ابن الأثير،

النهاية في غريب الحديث، ٥/١٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ٥/١٦٤ و ٢٧١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٠٤.

حتى يقوم الباكيان؛ باك لدينه حيث أن بني أمية يجاربون الدين، وباك لديناه حيث يستبدون بالسيطرة على الدنيا فلا يجعلون لآخر منها نصيباً وهذا يدل على مدى الظلم الأموي الذي لا يسلم منه صاحب دين أو دنيا^(١).

وهذا الظلم والجور الذي ذكره الإمام علي عليه السلام ازداد بازدياد انحراف الأمويين، فقد رأى الإمام الحسين عليه السلام ان من المسؤولية الدينية أن يخرج على يزيد المنحرف، وقد أراد الحفاظ على الاسلام بذلك القيام، وهو ما أوضحه في كلامه مع مروان ابن الحكم الذي طلب منه أن يبايع يزيداً حيث قال له الإمام علي عليه السلام:

(على الاسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد) ثم قال عليه السلام: (ويحك أأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق)^(٢).

وهنا أشار الإمام عليه السلام إلى الخطر المترتب على الاسلام إذا ما تولى يزيد الحكم، لاسيما وأن الإمام الحسين عليه السلام وجد الشرعية في هذا الخروج نتيجة لما ذكر سابقاً من صفات الأمويين فضلاً عن أن الإمام علياً عليه السلام أكد تلك الصفات حينما أشار في كلامه عن ظلم الأمويين قائلاً: (فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عذر)^(٣) أي لا يبقى لهم ناصر أو أثر عندما يبعث الله عليهم من ينتقم منهم^(٤).

(١) ينظر الخوئي، منهاج البراعة، ١٣٥/٧؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١١٨/٢؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ١٨١؛ البدري، نزهة النظر، ٨٠٩.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ١٧/٥. ينظر: ابن نبا، مثير الأحزان، ص ١٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ١٨، البحراني، العوالم، ص ١٧٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٢٦.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢١٨/٩؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣٣٧/٩؛ الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ٣٦١/٢.

إن هذا الغضب من الله عليهم نتيجة ظلمهم وجورهم على العباد، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى ذلك بقوله:

(ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري) (١).

وهذه جملة أمور وانحرافات ذكرها الإمام الحسين عليه السلام عنهم كانت سبباً في قيام الحجة بالخروج ويمكن إجمالها بما يأتي:

إن بني أمية أطاعوا الشيطان ولم يطيعوا الله رب العالمين وما يترتب على ذلك من آثار تدميرية.

إنهم أظهروا الفساد وتجاهروا بالفسق وأشاعوا الفاحشة.

إبطلهم لحدود الله تعالى، لأنها إن طبقت سيكونون أول من يستحق أن تطبق عليه.

سرقوا أموال الفقراء والمساكين والسيطرة على بيت المال والاستئثار به لصالح الأقارب والمرتبطين معهم.

تكليف الإمام عليه السلام وقيام الحجة دفعه إلى أن يقف بوجه هذه الانحرافات ويتصدى لها، لاسيما مع وجود باب الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى.

ومن ثم أصبح هناك سبب وحجة شرعية للقيام ضد الأمويين حتى وإن كانوا أهل قبله، لأن الإمام عليه السلام قد بين شرعية ذلك بعدما وجد أن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٤/٤. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٧١؛ ابن

الأثير، الكامل في التاريخ في التاريخ، ٤/٤٨؛ النويري، نهاية الارب، ٢٠/٤١٩؛ المجلسي،

البحار، ٣٨٢/٤٤.

الانحراف قد أصبح على أشده ولا يقوم ذلك إلا السيف فقد قال:

(وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة)^(١)، وهنا إعلام لأصحابه عليه السلام بحكم البغاة من أهل القبلة على سبيل الإجمال، وأحال التفصيل على أوامره حال الحرب، وقد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال أهل القبلة وكيف السنة فيهم إلى أن علموا ذلك منه عليه السلام ونقل عن الشافعي قوله: (لولا علي عليه السلام ما عرفت شيئاً من أحكام أهل البغي)^(٢).

إن في قول الإمام علي عليه السلام أعلاه إذن شرعي ومباشر لقيام الإمام الحسين عليه السلام ضد بني أمية، وذلك بعد أن وجد الإمام الحسين عليه السلام أن السبب الذي جعل الإمام علياً عليه السلام يأذن من أجله في قتال أهل القبلة قد وجد في زمانه، بل وزاد الأمويين عن ذلك نتيجة لما ارتكبه من موبقات وانحرافات عن الملة الإسلامية، ولهذا وبعد أن تجسدت الصورة التي رسمها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بأطرها نفسها عند الإمام الحسين عليه السلام كان القيام، وقد اتخذ هذا عدة أشكال منها:

توفر الناصر، إذ أنه وبعد أن توفر الناصر للإمام علي عليه السلام قرر أن يتولى الخلافة بعد وفاة عثمان بن عفان، وفي المنهج والاتجاه نفسه فبعد أن توفر الناصر للإمام الحسين عليه السلام قرر القيام.

أصبح الإمام الحسين عليه السلام أمام مسؤولية دينية وشرعية للقيام بعد أن بين الإمام علي عليه السلام في النهج انحرافات الأمويين، وما حدث في زمن الإمام الحسين عليه السلام من تلك الانحرافات وضعت الإمام علي عليه السلام أمام مسؤولية دينية وشرعية للقيام

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/٣٣٩؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/٣٤٢؛ اختيار

مصباح الساكنين، ص ٣٥٨.

ضدهم.

اكتسب الإمام الحسين عليه السلام شرعية للقيام، لأن الدين الإسلامي أجاز ذلك سواء بمحاربة الخارجين عن ملة الإسلام أو بفتح الباب أمام محاربة أهل القبلة المنحرفين.

اتجه الإمام الحسين عليه السلام للقيام بالسيف بعد أن رأى ان هذا هو الطريق الصحيح لإعادة الإسلام أو السنة المحمدية الأصيلة إلى ما كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المبدأ عندما أراد قتال أهل الشام حيث قال:

(لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه فلم أر لي فيه إلا القتال أو أكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم)^(١)، وبذلك أصبح الطريق سالكاً أمام الإمام الحسين عليه السلام للقيام بالسيف ضد الأمويين بعد قيام الحجة بذلك.

هناك عهد الهي ووعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للحسين عليه السلام درجة عالية في الجنة لن يناهها إلا بالشهادة^(٢).

٢- عنصر الزمن

يعد عنصر الزمن ذا أهمية كبرى في أية حركة أو في القيام بأي فعل وذلك لأنه يتحكم بعوامل النجاح والفشل بحسب طبيعة المتوافر من الظروف، لذلك فإن الإمام علياً عليه السلام أخذ ذلك في الحساب وبشكل كبير لعلمه ومعرفته بنوعية التأثير الزمني على القيام، ومن هنا عندما خاطبه العباس بن عبد المطلب وأبو

(١) نهج البلاغة، ص ٩٦.

(٢) ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ١٩/٥؛ الصدوق، الأمالي، ص ٢١٧؛ البحراني، مدينة المعاجز،

٣/٤٨٤؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٣٢٨؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٧.

سفيان في أن يبايعه بالخلافة أيام السقيفة رفض ذلك وقال:

(مجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها، كالزراع بغير أرضه)^(١).

هنا شبه عليه السلام القيام الذي دعوه اليه بالقول السابق لأن الشجر لا يصح لصاحبها اجتناء ثمرتها قبل الوقت أي قبل نضجها، فإن فعل ذلك فإنه دليل على عدم عقله أو قصوره، ثم شبه عليه السلام من كان كذلك بمن زرع في غير أرضه ووجه الشبه فيها عدم الانتفاع من كليهما، أي ان الوقت الذي دعوه اليه للقيام لم يكن مناسباً أما لعدم الناصر أو لغير ذلك^(٢).

إن الإمام عليه السلام يهدف في كلامه لجملة أمور منها:

إن الوقت غير مناسب لتولي الخلافة وذلك لعدم توفر الناصر الذي أشرنا اليه سابقاً.

إن توليه لمنصب الخلافة في هذا الوقت ربما سيسبب فتنة يختارها المناوئون له وسوف يحدث ضرراً على الإسلام أكثر مما لو صبر لاستحصال النتائج بحسب الظرف الزمني الملائم.

ربما لمعرفته بعدم جدية العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان بمبايعته بالخلافة بقدر ما كان همهما - لاسيما أبو سفيان^(٣) - ايقاع الفتنة بين المسلمين.

لذلك رفض الإمام عليه السلام القيام بالأمر ورأى ان الوقت غير مناسب، لأنه كان يعلم مدى تأثير الزمن في أي فعل وقد أشار إلى ذلك في مناسبة أخرى وهو

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢.

(٢) ينظر البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/٢٧٨؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣/١٣٩؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٤/٢٥.

(٣) ينظر البحراني، اختيار مصباح السالكين، ص ١٠٠.

يوجه النصح لأصحابه، إذ قال:

(الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم)^(١).

وهنا أمر أصحابه عليهم السلام بالصبر في مواطنهم وأن يكونوا ساكنين غير محاربين فيما إذا لم تتوفر فيهم شروط المحاربة مع أهل الباطل، وأن يصبروا على البلاء الذي ينزل بهم، فإن الصبر مفتاح الفرج، وليس خطابه عليه السلام هو تشييط لهم عن حرب أهل الشام كيف وهو ما يزال يقرعهم ويوبخهم عن التقاعس والإبطاء في ذلك، وإنما أراد انتظار الوقت المناسب لذلك^(٢).

ان هذه الصورة التي رسمها الإمام علي عليه السلام في تأثير الوقت أو الزمن بأي حركة أو فعل نجدها قد تجلت في قيام الإمام الحسين عليه السلام، فإنه عليه السلام مع عدم رضاه على الحكم الأموي إلا أنه لم يقيم بأي حركة إزاء معاوية تتجاوز المراتب الأولى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاسيما بعد توقيع الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية، وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام أيضاً لم يعلن قيامه ضد معاوية لأنه لم ير مناسبة الزمان، على الرغم من ان كثيراً من الأنصار قد طلبوا منه ذلك، وقد جاءت كتب أهل العراق ومنها رسالة من جعدة بن هبيرة^(٣)، يطلب منه القدوم إلى الكوفة إلا أنه عليه السلام أجابهم بقوله:

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢١.

(٢) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١٣/١٣؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٩٧/٣؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١٦٥/٣؛ البدري، نزهة النظر، ص ٧٥٦.

(٣) جعدة بن هبيرة: بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أمه أم هانئ بنت أبي طالب، ولي خراسان زمن الإمام علي عليه السلام. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب،

(فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً، فإن يحدث الله به حدثاً وأنا حي كتبت إليكم برأيي والسلام)^(١).

يتضح من هذا النص ان الإمام الحسين عليه السلام أشار إلى عدة مبادئ ودروس مهمة منها:

التزام العهود والمواثيق وذلك بعد أن وقع الإمام الحسن عليه السلام الهدنة مع معاوية فإن الإمام الحسين عليه السلام التزم تلك الهدنة.

رأى ان الوقت غير مناسب للقيام نتيجة لما بيناه في النقطة الأولى، وربما لعدم توفر الأنصار الحقيقيين الذين يؤمنون بالقيام بعد، فضلاً عن معرفته عليه السلام بشدة تسلط معاوية على الناس وخداعه لهم بالكثير من الأساليب الدعائية ومن ثم فإن قيامه لن يترك أثراً مثلما لو أجل فيها بعد وهو الذي حدث عندما كان زمن يزيد بن معاوية.

ان الإمام الحسين عليه السلام يعطي درساً مهماً في كيفية إطاعة الإمام، وذلك أنه على الرغم من ان بعضهم اعترض على الهدنة واعتبر الإمام الحسن عليه السلام مذلاً للمؤمنين^(٢)، إلا أن الإمام الحسين قد أعطى درساً مهماً في كيفية إطاعة إمام الزمان، وحتى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام لم يحرق الإمام الحسين عليه السلام تلك الهدنة على الرغم من انه كان إماماً مفترض الطاعة إلا أنه بقي محافظاً على ما رآه إمام زمانه في وقته، حتى نقضها الطرف الآخر معاوية بتولية ابنه الفاسق يزيد.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٢. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٥٢/٣.

(٢) ينظر: المفيد، الاختصاص، ص ٨٢؛ ابن طاووس، اليقين، ص ٢٦.

الفصل الثاني

المعادلة التشخيصية

لأنصار الحق وأنصار الباطل

من المهم جداً معرفة صورة وصفات كل من أنصار جبهة الحق وأنصار جبهة الباطل، وبيان الصفات التي ميزت كلاً منهما، والتي جعلتهم ينالون الخلود كلاهما ولكن بشكل متعاكس، فبينما نال أنصار الحق الخلود الأبدي في جنات الخلد مع الشهداء السعداء، بما امتازوا به من صفات جعلتهم ينالون تلك الدرجة الرفيعة التي لا ينالها إلا المتقون والشهداء العارفون، نجد أنصار جبهة الباطل أيضاً نالوا الخلود ولكن في نار جهنم مع الكافرين والخارجين عن دين الله، وذلك لما اتسموا به من صفات جعلتهم مبعدين عن الرحمة الإلهية ومجردين من معنى الإنسانية فارتكبوا ما ارتكبه من جرائم بشعة بحق أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسها قتلهم لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المبحث الأول

تشخيص صفات أنصار القيام

أولاً: نكران الذات:

ان من مقومات نجاح أي ثورة وجود الأنصار المؤمنين بها حقاً أشد الإيمان وعلى يقين تام بأنهم أصحاب حق، فإذا ما توفر مثل هؤلاء فمن المؤكد الحكم بالنجاح لتلك الحركة أو الثورة مادياً أو معنوياً، إلا أنه عندما نقلب صفحات التاريخ لم نجد أنصاراً على درجة عالية من اليقين والإيمان بقائدهم وثورتهم مثلما وجدنا أنصار الإمام الحسين عليه السلام، فعلى الرغم من الصعوبة المترتبة على قيام الإمام عليه السلام والفشل المحتمل من الناحية المادية والحسابات العسكرية وحسب الظاهر، إلا أن هؤلاء الأنصار قد آمنوا بقائدهم وثورتهم واتبعوه، بنكران ذات يحتذى به ^(١).

لذلك نجد كثيراً من الصور المعبرة التي أوضحها وأوجدها الإمام علي عليه السلام في النهج عمن يمتلك نكران الذات ومواصفات الأنصار المؤمنين بقضيتهم،

(١) ينظر البوهاللة، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام صفحاته جميعاً.

وقد تجلت تلك الصور إلى حد بعيد على أنصار القيام، ومن ذلك قول الإمام عليه السلام:
(ان أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان،
ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة)^(١).

ان الإمام عليه السلام يشير إلى صعوبة أمر أهل البيت عليهم السلام أي انه صعب بذاته، ويستصعبه الناس في قبالة الصعاب التي لا يستصعبها الإنسان، لما يرى لها من النتائج فإن النفس مجبولة على استسهال ما يرى الإنسان نتائجه الراححة وإن كان صعباً بذاته، لا يحمله أي ذلك الأمر إلا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، بمعنى أن الإيمان بالغ من قلبه مركز فيه، لأن الإيمان اذا صار ملكة الإنسان يتحمل الصعاب في سبيله^(٢).

أوضح الإمام عليه السلام صعوبة أمر أهل البيت عليهم السلام في حد ذاته، فكيف إذا كان الأمر فيه قيام ومواجهة عسكرية؟ وكل المعطيات تشير وكما بين ذلك الإمام الحسين عليه السلام ان تلك المواجهة سوف تكون غير متكافئة عسكرياً وهو ما بدا ظاهراً للعيان، على الرغم من ذلك نجد ان أنصار القيام قد اتبعوا قائدهم وبذلوا أرواحهم دونه فالإيمان قد خالط أرواحهم وأبدانهم وصفاتهم فوصلوا إلى أكمل درجات الإيمان^(٣).

من هذا الباب استسهلوا الصعاب ونالوا وسام شرف الشهادة مع إمامهم، ووصلوا إلى أعلى الدرجات الرفيعة في سلم الايمان بقيامهم فكان قول الإمام

(١) نهج البلاغة، ص ٤١٧.

(٢) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/١٥٦.

(٣) ينظر البوهاللة، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، الفصل الخامس (المبحث الرابع) صفحاته جميعاً.

الحسين عليه السلام:

(لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي) ^(١)، ولهذا القول دلالات كبيرة لاسيما وإنه صادر من إمام معصوم، إذ انه يعني في جملة ما يعنيه إنهم أفضل الأنصار والأصحاب على مر تاريخ البشرية جمعاء.

ان قول الإمام الحسين عليه السلام في حق أصحابه ما هو إلا تجسيد لما ذكره الإمام علي عليه السلام عن أنصار القيام وذلك عندما مر الإمام عليه السلام بأرض الطف وسأل عن اسم الأرض قيل له كربلاء، قال عليه السلام:

(يقتلها هنا قوم أفضل شهداء على وجه الأرض) ^(٢).

هناك كثير من الشواهد ^(٣) التي تشير إلى المكانة التي حصل عليها أنصار القيام، ولم يحصلوا على تلك المكانة والدرجات الرفيعة لولا انهم قد أنكروا ذواتهم وتغلبوا على أهوائهم وباعوا الدنيا بالآخرة واتبعوا إمام زمانهم عليه السلام، وكل ذلك كان عن قناعة ورضا تامين، وإيمان بما سيقومون به، بل إنهم وصلوا إلى درجة اليقين بقيامهم وما سينالونه مع إمامهم.

تجلت وانطبقت عليهم صفات المتقين التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في النهج،

(١) المفيد، الإرشاد، ٩١/٢. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٧/٤؛ الطبرسي، أعلام الوري، ٤٥٥/١؛ ابن نما، مشير الأحران، ص ٣٨.

(٢) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٤٩. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٢١/١٤؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣٤١.

(٣) أيضاً قال الإمام علي عليه السلام في أرض كربلاء: (وأها لك من تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب). ينظر: ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣٤٣؛ ابن العديم، بغية الطلب،

٢٦١٩/٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٤١١/٦؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠١/٢.

إذ يصف الإمام عليه السلام المتقين بقوله:

(نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون)^(١).

هنا بين الإمام عليه السلام صفات المتقين وما ينتظرهم من أجر عظيم، فأشار عليه السلام إلى أنهم في البلاء كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء، أي نزلت أنفسهم في البلاء اختياراً وطوعاً دون إكراه، ويطيّبون فيه قلباً مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرخاء، أي رجاؤهم لثواب الجنة لاستقراره وثباته بدرجة ثواب من دخل الجنة ورآها وتنعم فيها^(٢).

نجد ان هذه الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام للمتقين قد انطبقت في أنصار القيام، وقد اتخذت عدة أشكال وصور من أبرزها:

لم يسجل لنا التاريخ ولا أية إشارة أو موقف يشير إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أخذ أحداً بالقوة لنصرته، وإنما جميع الأنصار الذين اتبعوه عليه السلام كانوا عن عقيدة وإيمان منهم بالقيام لذلك، فإن أنفسهم نزلت في البلاء عن رضا ويقين دون إكراه أي اختياراً.

إنهم كانوا ونتيجة إيمانهم بالقيام وبقائدهم عليه السلام مطمئنين أشد الاطمئنان وكأنما هم ذاهبون لغير الموت بل كأنهم كانوا في حال الرخاء ومن هذا نجد وفي

(١) نهج البلاغة، ص ٤٥٤.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ٢٧٥.

ليلة العاشر من محرم الحرام بريراً^(١) يمازح عبد الرحمن^(٢) رغم ما ينتظرهم في الصباح^(٣)، فأَي اطمئنان هذا وأي يقين كانوا عليه؟!

كانوا يتلهفون إلى الموت ويسارعون إليه ويودون سرعة استشهادهم، ودليل ذلك قول برير لعبد الرحمن وهو يتكلم عن الأعداء:

(ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيا فهم)^(٤)، أي أنهم كانوا في شوق إلى الموت من أجل نيل الدرجات الرفيعة التي وعد بها المتقون، ولأن الخالق قد عظم في أعينهم فصغر ما دونه أمامهم.

(١) برير بن خضير الهمداني المشرقي (بنو شرق بطن من همدان) كان برير شيخاً تابعاً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القراء، وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشرف الكوفة من الهمدانيين، له كتاب القضايا والأحكام يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، وله في يوم الطف قضايا ومواعظ تدل على قوة إيمانه وكماله منها قوله للإمام الحسين عليه السلام: والله يا ابن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك فتقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة، لذلك تقدم بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ونال شرف الشهادة معه. ينظر: ابن طاووس، اللهوف، ص ٤٨؛ السماوي، ابصار العين، ص ١٢١؛ النمازي، مستدركات، ٢/ ٢٠.

(٢) عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري الخزري وهو صحابي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من مخلصيهم، علمه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ورباه وهو أحد الذين شهد له عليه السلام في حديث غدِير خم بعد أن أنكره المسلمون، وهو أحد رواة الحديث، التحق مع الإمام الحسين عليه السلام ونال شرف الشهادة بين يديه. ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٧٦؛ السماوي، ابصار العين، ص ١٥٧؛ النمازي، مستدركات، ٤/ ٤٠٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٢١. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٢١. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٣.

كانوا في شوق وحنين إلى الثواب من الله سبحانه وتعالى وتجدد هذا في كلام برير أيضاً مع عبد الرحمن في قوله:

(والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين حور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيا فهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيا فهم)^(١).

أما اللجنة التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام وكان المتقين قد رأوها، فإن أنصار القيام قد رأوا اللجنة بالفعل وذلك قبل أن ينالوا شرف الشهادة، وعلى هذا الأساس ومن الممكن أن نقول بأنهم من أفضل المتقين؛ لأن المتقين الذين أشار إليهم الإمام علي عليه السلام بالقول كأنهم رأوا اللجنة أي أنهم لم يروها بالفعل، بينما أنصار القيام قد رأوها بأعينهم بعد أن أراهم إياها الإمام الحسين عليه السلام، والدليل على ذلك أن الإمام عليه السلام وبعد أن امتحن أنصاره الامتحانات والاختبارات المتتالية قال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان وهذا قصرك يا فلان وهذه درجتك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدرة ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة^(٢).

هناك كثير من الأدلة والشواهد التاريخية وأقوال مأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام^(٣) تشير إلى أن أنصار القيام قد رأوا منازلهم في الجنة قبل استشهادهم،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢١. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٦٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٩٣.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ٢/٨٤٨. ينظر: المجلسي، البحار، ٤٤/٢٩٨.

(٣) إذ سئل الإمام الصادق عليه السلام عن أنصار الإمام الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت فقال: (إنهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة). ينظر: الصدوق، علل الشرائع، ١/٢٢٩.

وهذه المكانة لم ينالوها لولا أنهم تحملوا الصعاب وآمنوا بالقيام وأهدافه ومبادئه، لأنهم صفوة الأصحاب والإمام الحسين عليه السلام قد اختبرهم في أكثر من موضع لمعرفة مدى إيمانهم وعقيدتهم بالقيام.

وكان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يحمل معه الأنصار المؤمنين بالقيام دون سواهم، وهذا الأمر متناغم تماماً مع كلام الإمام علي عليه السلام في هذا المجال، إذ أرسل الإمام عليه السلام في أحد الأيام كتاباً إلى أحد القادة يقول فيه:

(واستغن بمن انقاد معك عنمن تقاعس عنك، فإن المتكاره مغيبه خيرٌ من مشهده [شهوده] وعوده أغنى من نهوضه)^(١).

هنا يبين عليه السلام الفلسفة وراء عدم الاستعانة بالكاره للقتال وهي ضرر وليس نفعاً لهم، إذ أشار عليه السلام إلى أن المتكاره عدم حضوره خير من حضوره لأنه لا يقاتل عن جد واهتمام، وربما انهزم وولى الدبر في أثناء الحرب، وقتها عمله هذا يوجب التخاذل والوهن والضعف في العسكر، وإن حضوره يوجب المفسدة العظيمة التي هي تخاذل العسكر ووهنهم، وذلك أن الجهاد الحق لا يكون ولن يكون إلا بالإيمان والعقيدة، فقرة الإيمان وحدها تسوق الإنسان إلى الجهاد والاستشهاد، أما مع المشكك والمتناقل فإنه يفرق الآراء ويصدع الصفوف والنتيجة الفشل والخسران، فعدم حضور الكاره خير من وجوده وغيابه خير من حضوره^(٢).

تجسد هذا في موقف الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره إذ إنه عليه السلام أجرى العديد من الاختبارات لأنصاره والذين اتبعوه، لأنه لم يكن يريد العدد وإنما النوع، أي

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥١.

(٢) ينظر: الخوئي، منهاج البلاغة، ٧/ ١٧١؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٨٧؛ الحسيني

الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٣٤.

انه عليه السلام يريد أن يحمل معه فقط المؤمن بالقيام عن عقيدة ثابتة وإيمان راسخ لا من أجل مصلحة ذاتية دنيوية، فيسجل لنا التاريخ كثيراً من الخطب الاختبارية التي ألقاها عليه السلام على من اتبعه من الأنصار، فمنذ أن خرج الإمام عليه السلام من مكة المكرمة وبعد أن اتبعه كثير من الأنصار والمؤيدين حسب الظاهر قام الإمام عليه السلام خطيباً إذ قال: (خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات^(١) بين النواويس^(٢) وكرباء فيملآن مني أكراشاً جوفاً^(٣)).

وكلام الإمام الحسين عليه السلام عن الموت متوائم مع كلام الإمام علي عليه السلام إذ قال:
(وأنتم طرداء الموت إن أقمت له أخذكم، وإن فرتم منه أدركم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم)^(٤).

(١) عسلان الفلوات: الذئب، وعسلان كما يعسل الذئب إذ مشى مسرعاً وهز رأسه. ينظر:

الفراهيدي، العين، ١/٣٣٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٧/٩٣.

(٢) النواويس: جمع ناووس أي مقبرة النصارى. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦/٢٤٥؛ الزبيدي،

تاج العروس، ٩/٢٦. ويبدو ان كل مقبرة من مقابرهم تسمى بذلك ومنها المقبرة التي أشار

إليها الإمام الحسين عليه السلام والتي لم تحدد المصادرات الجغرافية القديمة غير ان بعض المراجع حاولت

تحديدها بالمنطقة الواقعة في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى. ينظر: الموسوي، مرقد الإمام

الحسين عليه السلام، ص ٢٦.

(٣) الحلواني، نزهة الناظر، ص ٨٦. ينظر: ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٩؛ ذوب النصار، ص ٣٠؛

ابن طاووس، اللهوف، ص ٣٨؛ الأربلي، كشف الغمة، ٢/٢٣٩؛ الزرندي، معارج الوصول،

ص ٩٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٧٨.

إن كلام الإمام الحسين عليه السلام عن الموت متناغم مع كلام الإمام علي عليه السلام عنه من أجل تركيز المطلب الذي يريده من الأنصار وهو الإيمان بالقيام - كما أشير سابقاً - وأهدافه ومبادئه، وقد استمر عليه السلام في اختباراته، فإنه وبعد أن وصله خبر استشهاد ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام في منزل زباله^(١) قال لمن اتبعه:

(خذلنا شيعتنا فمن أحب الانصراف فليصرف ليس عليه منا ذمام)^(٢)،
فتفرقوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة^(٣).

وهذا ما أراده الإمام عليه السلام من خطابه وإخباره للذين اتبعوه عما جرى لمسلم ابن عقيل، فإن الذين تفرقوا عنه في الاختبار الثاني هم أنفسهم سمعوا الاختبار الأول ولكن لم يأخذوا الاختبار بالجدية، إلا أنه في هذا الاختبار صار له واقع بتضحية مسلم بن عقيل وشهادته، وخابت ظنونهم وهذا مما لا يرغبه أهل الدنيا إذ قد يئسوا من المنصب والوجاهة الدنيوية فتفرقوا يميناً وشمالاً^(٤).

ومن هذا كانت تلك الخطب الاختبارية المستمرة للإمام الحسين عليه السلام التي

(١) زباله: بضم أوله، وهو منزل معروف في طريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة فيها أسواق بين واقصة والثعلبية، فيها حصن جامع لبني غافرة من بني أسد، وسميت زباله بزبلها الماء أي بضبطها له وأخذها منه. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٢/٦٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/١٢٣.

(٢) ذمام: الحرمة أو كل حرمة تلزمك، أي إن الإمام عليه السلام يعني بأنه ليس عليه حرمة إذا ما انصرف وتركنا. ينظر: الفراهيدي، العين، ٨/١٧٩؛ الجوهري، الصحاح، ٥/١٩٢٦؛ ابن منظور، لسان، العرب، ١٢/٢٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٤٣. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٠٠؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٧٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/٤١٥.

(٤) ينظر البوهلاله، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ص ٤١٨.

ألقاها على أصحابه من أجل حمل الصفة المؤمنة من الأصحاب، كما بين الإمام علي عليه السلام لأحد قاداته، إذ إن كلام الإمام علي عليه السلام كان واضحاً ومتجلياً في كثير من مراحل القيام ومبادئه، إذ نجد في بعض الأحيان أن التجلي مباشر كما في بعض خطب الإمام الحسين عليه السلام وهذا ما حدث في الخطبة التي ألقاها الإمام علي عليه السلام على أصحابه في كربلاء بعد أن رأى اختلال الميزان العسكري ورجحانه للعدو، إذ قام عليه السلام بين أصحابه خطيباً:

(قد نزل ما ترون من الأمر وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت وولت حتى لم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء)^(١).

وهذه إشارة من الإمام عليه السلام إلى تغير حال الدنيا وكيف أصبح حالها وهو كلام مباشر وهو معنى كلام الإمام علي عليه السلام نفسه الذي وصف فيه الدنيا قائلاً:
(ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء [جدا] فلم يبقَ منها إلا صباية كصباية الإناء اصطبها صابها)^(٢)، يبين الإمام عليه السلام هنا تغير حال الدنيا ولم يبقَ منها إلا الصباية أي بقية الماء في الإناء^(٣).

هنا إشارة إلى قلة الأولياء والأخيار الذين تقوم الدنيا بهم إلا نفر قليل وذلك لأنهم كانوا بمنزلة الماء في الإناء فكما أن قيمة الظرف بقيمة المظروف فكذلك الدنيا بقيمة ما فيها من أخيار^(٤).

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٥٠. ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ١١٤؛ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ٣١٤؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٤٢؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص ١٤٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٢؛ سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٩٥.

(٣) ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٦٨.

(٤) الخرساني، مفتاح السعادة، ٦/ ٣٦١.

كان هذا المعنى واضحاً في كلام الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره، إذ إن الإمام عليه السلام أشار إلى تغير حال الدنيا ولم يبق فيها إلا القليل من الأخيار وفي جملة ما يعنيه هم أصحابه الذين كانوا معه، إذ انه عليه السلام وبعد أن قام باختبارهم في أكثر من موضع ومكان أطلق هذا الكلام بحقهم لأنهم يمثلون صفوة الأصحاب وأفضلهم، وقد نجحوا في جميع الاختبارات التي اختبرها إياهم إمامهم وعندما نجحوا بها كان هذا كلام الإمام عليه السلام بحقهم.

استحقوا ذلك كيف لا وهم الذين انعكست وانطبقت عليهم كثير من الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام عن أتباع أهل البيت عليهم السلام وصفات المتقين الذين ذكرهم الإمام عليه السلام لذلك نالوا أعلى الدرجات الرفيعة عند الله تعالى، ومكانة لا يضاهيها مكانة عند أهل البيت عليهم السلام وإن هذا لم يأت من فراغ وإنما نتيجة التضحيات الكبرى التي قدموها وتغلبهم على أهوائهم ونكران ذواتهم في سبيل إمامهم، لذلك نالوا هذا الشرف العظيم، ويكفيهم شرفاً نيلهم الشهادة مع الإمام الحسين عليه السلام وهم يأنسون بالموت بين يديه.

ثانياً

الأنس بالموت

إن الموت هو سر الحياة وهو الذي يعطيها معناها ومغزاها وقيمتها وهو غاية المؤمن، الذي يكون في استعداد دائم لهذه اللحظة، لأنه وطن نفسه على ذلك، ولأنه قد عمّر لآخرته أكثر من دنياه، فهو في استعداد دائم لها، ويعدّ خروجه من الدنيا إلى الآخرة هو السعادة الأبدية والاطمئنان وذلك امتثالاً

لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^(١).

والسعادة تتحقق عند المؤمن بالموت ولقاء الله سبحانه لذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام عندما ضربه ابن ملجم^(٢) قال:

(فزت وربّ الكعبة)^(٣)، أي أن الإمام يعني في جملة ما يعنيه هو أن خروجه من هذه الدنيا ولقاءه الله تعالى هو الفوز العظيم والسعادة الأبدية التي كان الإمام عليه السلام في استعداد دائم لها، لهذا نجده عليه السلام لا يهاب الموت إذ قال لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

(يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت)^(٤).

(١) الفجر / ٢٧-٢٨.

(٢) ابن ملجم: عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، ادرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب ثم صار من كبار الخوارج وهو أشقى هذه الأمة بالنص الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الإمام علي عليه السلام وكان في البدء من شيعة الإمام عليه السلام وشهد معه صفين، ثم خرج عليه، فاتفق مع البرك بن عبد الله وعمرو بن بكير في مكة المكرمة على قتل الإمام علي عليه السلام ومعاوية وعمر بن العاص، وقد تكفل هو بقتل الإمام عليه السلام، وفعلاً قام بذلك في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٣؛ ابن حجر الإصابة، ٥/٨٥؛ الزركلي، الأعلام، ٣/٣٣٩.

(٣) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٢/٤٤٢؛ الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص ٦٣؛ ابن طاووس، الطرائف، ص ٥١٩.

(٤) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ١/١٣٠. ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١/٢٩٧؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، ١/٧٤؛ المدني الشيرازي، رياض السالكين، ٥/٣٥٢.

إن الإمام عليه السلام كان يأنس بالموت وقد أشار إلى ذلك في النهج حينما قال:

(والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه) ^(١)، وهنا شبه الإمام عليه السلام حبه وأنسه بالموت بأنه أحب إليه من أنس الطفل بثدي أمه، فكما ان الطفل لا يصل إلى لذته إلا بثدي أمه فكذلك الإمام عليه السلام أشار إلى انه لا يصل إلى السعادة إلا بالموت، فكيف لا يأنس بالموت وهو سيد العارفين ورئيس أولياء الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وان حب الموت والأنس به متمكن من نفوس أولياء الله تعالى لكونه وسيلة لهم إلى لقاء أعظم محبوب والوصول إلى أكمل مطلوب، وإذا كان آنس بالموت من الطفل بثدي أمه لأن محبة الطفل للثدي وأنسه به وميله إليه غريزة حيوانية في معرض الزوال، فميله عليه السلام إلى لقاء ربه والوسيلة اليه عقلي باق فأين أحدهم من الآخر ^(٢).

امتد هذا الأمر في كلام الإمام الحسين عليه السلام وهو يصف أصحابه وثباتهم، وذلك بعدما سأله السيدة زينب عليها السلام عن ثباتهم وعزيمتهم على الموت إذ قالت: (هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة) ^(٣)،

(١) ص ٤٢.

(٢) ينظر: البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٨٧؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٧٩؛ اختيار مصباح السالكين، ص ١٠١.

(٣) يبدو ان السيدة زينب عليها السلام، وبما أنها أحد أهم أركان القيام، قد تجلّى لديها ما ذكره الإمام علي عليه السلام عن غدر أهل الكوفة وذلك إذا ما حميت الحرب بقوله عليه السلام: (يا أهل الكوفة.. لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا أخوان ثقة عند البلاء.. والله لكأني بكم فيما أخال أن لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها)، نهج البلاغة، ص ٢٠٣؛ وهنا أشار الإمام عليه السلام إلى شدة انفراجهم عنه ورغبتهم في التفرق، فإن المرأة في حال المخاض أحب إليها من الطلق الانفراج فإذا طلقت استراحت ورجعت إليها نفسها، وهذا ما شبه به الإمام عليه السلام

٩٠ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

فقال لها: والله لقد بلوتمهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس (١) الأقعس (٢) يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه (٣).

تلاءم ما ذكره الإمام علي عليه السلام عن أنسه وحببه للموت مع كلام الإمام الحسين عليه السلام، وقد أراد عليه السلام من هذا الوصف لأصحابه على ما يبدو عدة أمور وغايات منها:

عدم رهبة أنصار القيام من الموت لما كانوا يحملونه من عقيدة وإيمان راسخ، ولأنهم كانوا واثقين من دخول الجنة، فهم في اشتياق إليها لذلك كانوا مسرورين بما سوف يلاقون، ودليل ذلك هو أن حبيب بن مظاهر (٤) مزح فقيل له ليست هذه بساعة ضحك، قال: فأبي موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو إلا أن

أهل الكوفة، وهو ما وعته السيدة زينب عليها السلام لذلك خشيت منه، فكلمت الإمام الحسين عليه السلام عن أصحابه وثباتهم. ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ١٢١/٧

(١) الأشوس: الجريء على القتال الشديد. ينظر: ابن سيدة، المخصص، ١/٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١٦/٦.

(٢) الأقعس: الرجل المنيع والثابت من العز. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٣/٩٦٤؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/١٠٩؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٢٤١.

(٣) المقرم، موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٤٠.

(٤) حبيب بن مظاهر: بن رثاب بن الأشر بن جحوان الأسدي الكندي، تابعي من القادة الشجعان نزل الكوفة وصحب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه حروبه كلها، وكان من خاصته وحمله علومه، ثم كان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، وبعد هلاك معاوية كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام وأعلن رفضه البيعة ليزيد، ولما ورد مسلم بن عقيل الكوفة استقبله حبيب، وثم التحق بالإمام الحسين عليه السلام ونال شرف الشهادة بين يديه، وزاده شرفاً إلى شرفه هو سلام الإمام المنتظر (عج) في زيارة الناحية المقدسة. ينظر: ابن طاووس، اقبال الأعمال، ٣/٧٨؛ الزركلي، الأعلام، ٢/١٦٦؛ الكوراني، قبيلة بني أسد، ٥/٣٧.

تميل علينا هذه الطغام بسيو فهم، فنعانق الحور العين^(١).

ليس من أخلاقهم الغدر بإمامهم لكونهم الصفوة من الأصحاب، ولأنه عليه السلام كان واثقاً بهم كما أسلفنا.

عبر الإمام عليه السلام عن حب أصحابه للموت بما عبر به الإمام علي عليه السلام عن نفسه، وليس هم مثل الإمام علي عليه السلام وإنما دليل حبههم للتضحية واستئناسهم بالموت وهم يضحون بأنفسهم دون إمامهم.

وبما ان كلام الإمام الحسين عليه السلام متجلاً من كلام الإمام علي عليه السلام عن حبه للموت، فإن حب الأصحاب للموت حب عقلي ومعرفي باق وليس حباً غريزياً كما أسلفنا في حب واستئناس الإمام علي عليه السلام بالموت.

هناك كثير من المواقف لأهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره تعبر عن حبههم للموت والسعادة بالشهادة، فعندما خاطب الإمام الحسين عليه السلام القاسم ابن الحسن عليه السلام قائلاً له: يا ابن أخي كيف الموت عندك؟ قال يا عم أحلى من العسل^(٢)، وهنا تعبير غاية في الروعة فكيف يكون الأُنس بالموت إذا كان عند القاسم عليه السلام أحلى من العسل؟!!

اتبع هؤلاء الأنصار الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من الصعوبات والمخاطر التي كانت تعتري طريق قيامه عليه السلام، طلباً للعاقبة ودار الآخرة فقد خفت عليهم جميع الصعاب، إذ أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

(والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم

(١) الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٩٣. ينظر: الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ١/١٣٠؛ الأردبيلي،

جامع الرواة، ١/١٧٨؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٩٣.

(٢) الخصبي، الهداية الكبرى، ٢٠٤. ينظر: البحراني، مدينة المعاجز، ٤/٢١٥.

ووثقوا بصدق موعد الله لهم^(١).

أشار الإمام عليه السلام إلى ان الله تعالى يجعل الحق خفيفاً على أقوام يطلبون العاقبة المحمودة في الآخرة، ويصبرّون أنفسهم على اقتراف الآثام، وإنهم صدقوا بما وعدهم الله سبحانه من الجنان والثواب^(٢)، ولهذا فإن أنصار القيام كانت كل تصرفاتهم بهذا الاتجاه، وقد صبرّوا أنفسهم وتحملوا الصعاب من أجل الوصول إلى السعادة الأبدية وجنات الخلد، وإنهم عدّوا كل ما نزل بهم من بلاء خيراً من عند الله، وقد أشار إلى ذلك برير عندما سئل كيف ترى صنع الله بك؟ فقال: (صنع الله والله بي خيراً)^(٣)، ولذلك كانوا يأنسون بالموت أنس الطفل بمحالب أمه.

ثالثاً

موقعهم من قلب الإمام عليه السلام

عندما يقدم انسان لإنسان آخر بشكل عام أية تضحية حتى وإن لم تكن كبيرة، فإن هذا الأمر يترك انطباعاً خاصاً لدى الإنسان الآخر، فكيف إذا كانت التضحية كبيرة وفيها نكران ذات وتقديم أعلى ما يملك الإنسان وهي النفس، وهذا حال أنصار القيام، فإنه من المؤكد أن هذا الأمر يترك أثراً كبيراً في قلب الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنهم قدموا أعلى ما يملكون في سبيله عليه السلام، فلا بد أن يكون

(١) نهج البلاغة، ص ٦٧١.

(٢) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/١٨٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٨. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٦٦.

رده عليه السلام مضاعفاً لما قدموه وهو الجواد الكريم.

حظي هؤلاء الأنصار بمكانة كبيرة في قلب إمامهم وقائدهم عليه السلام، فكيف لا وهم الذين تميزوا بصفات جعلت مكانتهم تزداد لديه عليه السلام، فهم المتقون الذين تجلت وانطبقت فيهم كثير من الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في النهج عن المتقين كما أسلفنا حينما قال:

(نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون)^(١).

أشار هنا الإمام عليه السلام إلى بعض صفات المتقين الذين هم في البلاء كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء، أي نزلت أنفسهم في البلاء اختياراً وطوعاً دون اكراه، ويطيّبون به قلباً مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرخاء أي رجاؤهم لثواب الجنة واستقراره وثباته بدرجة ثواب من دخل الجنة ورآها وتنعم فيها^(٢).

أنصار تلك صفاتهم كيف لا يأخذون مكانة من قلب قائدهم، وهو القائل بحقهم كما أسلفنا (لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي)^(٣)، ولهذا نجد أنّ الإمام علياً عليه السلام يشير إلى صفات قوم يود اللحاق بهم، وقد انعكست تلك الصفات في أنصار القيام عندما قال الإمام عليه السلام وهو مخاطب أصحابه:

(١) ص ٤٥٤.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ٢٧٥.

(٣) -المفيد، الارشاد، ٢/ ٩١. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٧؛ الطبرسي، أعلام

الورى، ١/ ٤٥٥؛ ابن نهار، مثير الأحران، ص ٣٨.

(ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحق بي منكم قوم والله ميامين الرأي مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي مضوا قدماً، على الطريقة وأوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبة الدائمة والكرامة الباردة) (١)، على الرغم من أن الإمام عليه السلام وحسب ما يشير النص يخاطب أقواماً قد مضوا، أي أنه يخاطب الماضي إلا إننا نجد تناغم تلك الصفات وتجلياتها تنعكس كثيراً على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لأن أغلب تلك الصفات تتوفر فيهم، ومما يؤيد ذلك هو أن الإمام علياً عليه السلام قد أشار إلى هذا المعنى وكيف شهد فعله في وقته الحاضر به أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء لم يأتوا إلى الدنيا بعد، وذلك حينما ظفر عليه السلام بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السلام:

(أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم. قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوامٌ (قوم) في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان) (٢).

أراد الإمام عليه السلام أن محبته قائمة مقام حضوره والشهود من كان بعد في الإمكان أن يشهد نصرته إذ هو بمنزلة الحاضر، أي من كانت محبته ونيته (٣) معه، كانت غيبته تنوب عن حضوره، وأنه عليه السلام أكد حضور أخ القائل بالإشارة إلى من سيوجد من أنصار الحق الذايين عنه وعباد الله الصالحين الشاهدين

(١) نهج البلاغة، ص ٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧.

(٣) وهذا يتناغم مع قول الرسول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات). ينظر: البخاري، صحيح البخاري،

٢/١؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١٤/٢؛ أبي داود، سنن أبي داود، ٤/١؛ البيهقي، السنن

الكبرى، ٤١/١.

معه عليه السلام أيضاً، واستعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من أنف الانسان ونسبه إلى الزمان لكونه من أسباب وجودهم، أي سيوجد الزمان كما يوجد الأنف بالرعاف، وإنه سوف يأتي بهم على غير انتظار^(١).

ان الإمام عليه السلام تمنى أن يبدله الله بأحسن من أصحابه وذلك حينما دعا الله سبحانه قائلاً: (فأبدلني بهم خيراً منهم)^(٢)، ويجوز أن يكون ذلك في الدنيا، بأن يهيء الله قوماً صلحاء يجتمعون إليه^(٣)، وهنا تمنى الإمام عليه السلام بأن يبدله الله سبحانه أفضل من أصحابه، وقد أشار عليه السلام بنفسه إلى أفضلية أنصار القيام في قوله عليه السلام سالف الذكر عندما مر في كربلاء (يقتلها هنا قوم أفضل شهداء على وجه الأرض)^(٤). وهذا تصريح مباشر من الإمام عليه السلام يصف فيه أنصار القيام بأنهم أفضل الشهداء فكيف لا يود عليه السلام أن يكون معهم وربما كوجود معنوي، لأن فكرة انصار القيام مترسخة حتى لدى أصحاب الإمام علي عليه السلام ومنهم مثلاً سلمان المحمدي رضي الله عنه إذ قال عن كربلاء: (هذه مصارع أخواني، هذا موضع رحالهم، هذا مناخ ركابهم وهذا مهراق دمائهم)^(٥).

يدل وصف سلمان رضي الله عنه لهم بالأخوة على مكانتهم العظيمة ولا سيما ان

(١) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٩٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٨٨؛ اختيار مصباح

السالكين، ص ١٠٥؛ محمد عبده، نهج البلاغة، ١/ ٤٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٦.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٠٢.

(٤) ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٤٩. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٢١؛ ترجمة

الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣٤١.

(٥) الطوسي، رجال الكشي، ١/ ٧٤؛ المجلسي، البحار، ٢٢/ ٣٨٦.

سلمان الذي قال في حقه الرسول ﷺ: (سلمان منا أهل البيت) ^(١)، لذلك فإن هؤلاء الأنصار يكون من النادر وجودهم، وإنه من الطبيعي أن تكون لهم مكانة كبيرة في قلب قائدهم، ومن هذا الباب نجد أن الإمام علياً عليه السلام عندما فقد ثلثة من أصحابه الخلفاء يتأوه عليهم ويسمئهم بأسمائهم بعدما لم يجد توفر أمثالهم وصفاتهم لدى كثير من أتباعه ولهذا قال:

(أين اخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار ^(٢)؟ وأين ابن التيهان ^(٣)؟ وأين ذو الشهادتين ^(٤)؟... أوه على أخواني الذين تلووا القرآن

(١) الثقفى، الغارات، ٢/ ٨٢٣؛ المفيد، الاختصاص، ص ٣٤١.

(٢) عمار: ابن ياسر بن كناية بن قيس، وأمه سمية بنت خياط، كان عمار وأمه ممن عذب في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوه بلسانه وأطمأن قلبه بالإيمان، لذلك قال الرسول ﷺ بحقه (حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحمه أذنه إيماناً)، وهو من المهاجرين الأولين وصلى القبلتين ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتواترت الآثار عن النبي ﷺ قوله: (تقتل عمار الفئة الباغية) وقد صحب أمير المؤمنين عليه السلام حتى استشهد معه في صفين سنة ٣٧هـ، ودفنه الإمام في ثيابه ولم يغسله. ينظر: ابن خياط، طبقات خليفة، ص ٥٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٣٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٤٣.

(٣) ابن التيهان: مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم أبو الهيثم البلوي، وهو مشهور بكنته، بايع الرسول ﷺ وشهد معه المشاهد كلها، ومن ثم صحب أمير المؤمنين عليه السلام وانكر تقدم أبي بكر عليه وشهد للإمام عليه السلام بحديث غدير خم، وهناك خلاف في وفاته ببعض المصادر فبعضهم يذكر انه توفي سنة ٢٠هـ أو ٢١هـ أو انه استشهد مع الإمام عليه السلام في صفين سنة ٣٧هـ، وهو الراجح والصحيح، وإلا لما ذكره الإمام عليه السلام مع من استشهد في صفين، أما المشكوكون في شهادته فإنهم فعلوا ذلك لأنه صحابي جليل فأرادوا أن يبعده عن من استشهد مع الإمام في صفين. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١٣٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٣١٨؛ المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٣٢١.

(٤) ذو الشهادتين: هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه، وأم خزيمة كبيشة بنت أوس، كان من أصحاب

فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، ودعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه^(١).

استفهم الإمام عليه السلام عن السلف الصالحين من أصحابه الذين ركبوا جادة الشريعة ومضوا على الحق، أي المعرفة والولاية ثم يستفهم الإمام عليه السلام عن بعضهم بعينه وسماه بخصوصية لكونه من أعيان الصحابة، وأكابرهم مثل عمار وذي الشهادتين وابن التيهان، ومن ثم يتأوه عليهم لأنهم مضوا وهذا يدل على مكانتهم في قلبه، ويتوجع على تلك الصفوة من الصحابة الأخيار الذين عملوا بالكتاب واستسنوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهدوا في صفين ووثقوا بالقائد، يعني نفسه الشريفة، فاتبعوه وافتدوه بأرواحهم مغتربين مسرورين^(٢).

وإذا ما أمعنا النظر في كلام الإمام علي عليه السلام، نجد ان هذا الأمر قد تجلى إلى حد كبير في موقف وكلام الإمام الحسين عليه السلام وهو ينادي أصحابه بعد الاستشهاد، وذلك بعد أن استغاث وعندما لم يجد التأثير في قلوب الأعداء لذا فإن الإمام عليه السلام توجه إلى الأجساد الطاهرة لأصحابه قائلاً: يا حبيب بن مظاهر،

الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين في قصة معروفة، وذلك بعد أن شهد للرسول صلى الله عليه وسلم في صدقه بحادثة دين مع يهودي دون أن يكون حاضراً تلك الحادثة، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تشهد ذلك ولم تحضره وتعلمه، قال يا رسول الله، نحن نصدقك على الوحي من السماء فكيف لا نصدقك على إنك قضيت، لذلك أنفذ شهادته وسماه بذلك، وشهد المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحب الإمام علياً عليه السلام إلى أن استشهد معه في صفين. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٤/ ٣٧٨؛ البخاري، التاريخ الكبير، ٣/ ٢٠٦؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٢/ ٤٦٠.

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٣.

(٢) الخوئي، منهاج البراعة، ١٠/ ٣٦٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٧؛ الحسيني الشيرازي،

توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٠٣.

يا زهير بن القين^(١)، ويا مسلم بن عوسجة^(٢)، وسمى كثيراً من أصحابه، ثم قال: يا أبطال الصفاء، ويا فرسان الهيجاء، مالي أناديكم فلا تسمعون؟ وأدعوكم فلا تجيبون؟ وأنتم نيام أرجوكم تنتبهون، فهذه نساء آل الرسول عليه السلام فقد علاهن بعدكم النحول فقوموا عن نومكم أيها الكرام وادفعوا عن آل الرسول عليه السلام الطغاة اللثام^(٣).

(١) زهير بن القين: بن قيس الأنباري البجلي، كان رجلاً شريفاً في قومه نازلاً بالكوفة، شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة، انظم إلى الإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء، واستشهد معه في يوم العاشر من محرم بعد صلاة الخوف، وزاده شرفاً إلى شرفه هو تخصيصه من الإمام المنتظر عليه السلام بالسلام في زيارة الناحية إذ قال: (السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن لهم في الإنصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله عليه السلام أسيراً في يد الأعداء وأنجو لا أراني الله ذلك اليوم). ينظر عن أخباره: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/١٩٨؛ ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣/٧٧؛ السامري، ابصار العين، ص ١٦١.

(٢) مسلم بن عوسجة: بن سعد بن ثعلبة، كان رجلاً شريفاً عابداً، وكان صحابياً ممن رأى رسول الله عليه السلام، وكان فارساً شجاعاً وهو من أبطال العرب في صدر الإسلام، وهو ممن كتب للإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة ووفى معه إذ التحق به مع أهله في كربلاء، وهو أول شهيد من الأنصار، وزاد شرفاً إلى شرفه تخصيصه بالسلام من الإمام المنتظر عليه السلام في زيارة الناحية إذ قال له: (السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له بالإنصراف: (أنحن نخلي عنك وبم نعتذر عند الله من أداء حقلك لا والله حتى أكسر في صدورهم رمحي هذا واضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتل به لقدفنتهم بالحجارة ولم أفارقك حتى أموت معك،... لعن الله المشتركين في قتلك). ينظر: ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣/٧٦؛ السامري، ابصار العين، ص ١٠٧؛ الزركلي، الأعلام، ٧/٢٢٢.

(٣) منفرد، قصة كربلاء، ص ٣٦٩. ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ط ١، ص ٩٣.

يتبين من كلام الإمام الحسين عليه السلام انه وبعد خذلان الناصر قد دعا أصحابه وناداهم بأسمائهم لذلك فإن التجلي قد اتخذ محورين في هذا الاتجاه:

المحور الأول- التجلي في شخص وموقف الإمام الحسين عليه السلام:

اتخذ التجلي في هذا المحور عدة صور وأشكال في موقف الإمام الحسين عليه السلام وهو ينادي أصحابه ومنها:

إن الإمام علياً عليه السلام أخذ يستفهم عن أخوانه وأصحابه بعد أن رأى خذلان القوم وقلة الأصحاب الحقيقيين، لأنه في مناسبة أخرى وهو يدعوهم للجهاد قال لهم:

(أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم)^(١)، وذلك بعد أن رأى عليه السلام تتخاذل أنصاره عن مساندة الحق فيما يناصر الآخرين الباطل بالسلاح والأرواح، تألم وشكى ووبخ وأتب وكان كلامه هذا بحق أصحابه^(٢)، أي انه كان يشكو من قلة الناصر ومن هذا الباب أخذ يستفهم عن أصحابه الخالص الحقيقيين، ونجد في الاتجاه نفسه أن الإمام الحسين عليه السلام وبعد قلة الناصر وحين استشهد أصحابه أخذ ينادي عليهم، إذ ان الموقف متشابه، ولكن حسب الظاهر ان هنالك أنصاراً متواجدين مع الإمام علي عليه السلام، أما مع الإمام الحسين عليه السلام فكانوا مستشهادين، لكن الموقف نفسه لأن أنصار الإمام علي عليه السلام الذين كانوا معه كانت أهواؤهم مختلفة وكان وجودهم من عدمه لا يغني شيئاً، أي حضور جسدي فقط، لذلك كان الإمام علي عليه السلام يشكو من قلة الناصر أيضاً.

إن الإمام علياً عليه السلام قد سمي أسماء بعينها من أصحابه، كذلك نجد الإمام

(١) نهج البلاغة، ص ٧٥.

(٢) جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ١٦.

الحسين عليه السلام قد سمي أسماء محددة من أصحابه، وهذا لا يعني ان الآخرين الذين لم يسمهم ليس لديهم مكانة مهمة عند الإمام عليه السلام وإنما نادى الإمام عليه السلام بعضاً من أصحابه كأنموذج عن بقية الأصحاب.

ان استفهام الإمام علي عليه السلام عن الثلاثة من أصحابه يدل على عظمة الذين مضوا ومكانتهم في قلب الإمام عليه السلام مثلما نجد هذا التناغم أيضاً في موقف الإمام الحسين عليه السلام وهو ينادي أصحابه، بما يدل على مكانتهم في قلبه عليه السلام ومدى حبه لهم لذلك أخذ يناديهم حتى بعد استشهادهم.

إن استفهام الإمام علي عليه السلام عن أصحابه وتأوّهه عليهم يعطي درساً مهماً في وفاء القائد لأنصاره وعدم نسيانهم مهما كان الموقف، وهو ما نجده في موقف الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره، إذ إنه في آخر اللحظات من حياته، وكيف يكون حال الإنسان في تلك اللحظات، فإنه عليه السلام لم ينس أنصاره وأخذ يناديهم بأسمائهم وهذا قمة الوفاء لهم من قبل قائدهم، وإبراز مدى مكانتهم وتضحيتهم لإمامهم.

المحور الثاني - التجلي في أنصار القيام:

إذا ما تتبعنا نص الإمام علي عليه السلام رأينا بعض الإشارات التي أشار فيها عليه السلام إلى أصحابه الذين مضوا، ولربما كانت السبب الرئيس في تأوّه الإمام عليه السلام عليهم، ولم يجد توفرها في أغلب الأصحاب الذين كانوا معه في الواقع، فعندما نتابع تلك الصفات لأصحاب الإمام علي عليه السلام نجد في كثير منها ملامح أنصار القيام، ولربما هي التي دعت الإمام الحسين عليه السلام لمناداتهم بعد استشهادهم ومنها:

إن الإمام علياً عليه السلام يتأوّه على أصحابه الذين تلو القرآن وأحكموه، وأنصار القيام كانوا من القراء وهم مواظبون على قراءة القرآن الكريم والعمل به (١)،

(١) ينظر: البوهالة، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، الفصل الخامس، المبحث الأول، صفحاته جميعاً.

الفصل الثاني المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل..... ١٠١

وكيف كان حالهم في ليلة العاشر من محرم، إذ إنهم قضوا الليل كله مع إمامهم، يصلون ويسجدون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون واستمروا في ذلك حتى الصباح^(١).

يشير الإمام علي^{عليه السلام} إلى أن أصحابه تدبروا الفرض فأقاموه أي تفكروا في علل الواجبات وأسرار العبادات فواظبوا عليها وقاموا بها، تحصيلاً للغرض الأقصى منها، وهو الزلفى إلى الله سبحانه والقربى إلى رضوان الله تعالى وهو أشرف اللذات وأعلى الدرجات^(٢)، فإن هذه الصورة تجلت أيضاً في أنصار القيام وكيف إنهم مواظبون على فروضهم ولو فقط موقفهم في تلبية واجب الجهاد لكفى، إلا إنهم كانوا مواظبين في جميع اتجاهات العبادة، فمثلاً الصلاة التي استشهدوا من أجلها، فقد صلّوا يوم العاشر مع إمامهم في ساحة الحرب وذلك بعدما قال أبو ثمامة الصائدي^(٣) للإمام الحسين^{عليه السلام} أحب أن ألقى الله وقد صليت فقال له الإمام^{عليه السلام}:

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٥٩؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/٤٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٩٢.

(٢) الخوئي، منهاج البراعة، ١٠/٣٦٣.

(٣) أبو ثمامة الصائدي: عمرو بن عبد الله بن كعب الصائدي، كان تابعياً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة وأصحاب أمير المؤمنين^{عليه السلام} الذين شهدوا معه المشاهد كلها، ثم صحب الإمام الحسين^{عليه السلام}، وخرج إليه بعد مقتل مسلم بن عقيل ولقيه في الطريق وأتى معه إلى كربلاء واستشهد بين يديه، وزاد شرفاً إلى شرفه تخصيصه بالسلام من الإمام المنتظر عجل الله فرجه في زيارة الناحية المقدسة. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٥؛ ابن طاووس، اقبال الأعمال، ٣/٧٩؛ القمي، الكنى والألقاب، ١/٣٣؛ السهوي، إِبصار العين، ص ١١٩.

ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها^(١)، وقد تقدم أمام الإمام الحسين عليه السلام سعيد بن عبد الله الحنفي^(٢)، فأخذوا يرمونه بالسهام وكان يصدها عن الإمام الحسين عليه السلام وهو يصلي فلما فرغ الإمام من صلاته سقط سعيد إلى الأرض شهيداً^(٣)، ألم يكن هذا إحياء لأهم فرض من فروض الإسلام؟ بل هو أوجبها، لذلك عندما يزار الإمام الحسين عليه السلام يقال له: (أشهد أنك قد أقيمت الصلاة)^(٤).

أشار الإمام علي عليه السلام إلى أصحابه الذين استفهم عنهم بأنهم أحيوا السنة وأماتوا البدعة، فإن هذا تجلي أيضاً في أنصار القيام وذلك لأن - كما بينا سابقاً - احد أهم أهداف القيام هو إحياء السنة وإماتة البدعة، فكان الأنصار ضمن هذا المشروع الإصلاحية.

يشير الإمام علي عليه السلام إلى أن أصحابه الذين مضوا دعواً للجهاد فأجابوه أي

(١) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٧٠.

(٢) سعيد بن عبد الله الحنفي: كان من وجوه الشيعة في الكوفة وذوي الشجاعة والعبادة، فبعد أن جاء مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة ونزل دار المختار كان سعيد ممن خطب بالناس فحلف انه وطن نفسه على نصرته الإمام الحسين عليه السلام، ثم بعثه مسلم بكتاب إلى الحسين عليه السلام فبقي معه حتى استشهد في العاشر من محرم، وقد زاده شرفاً إلى شرفه تخصيصه بالسلام من الإمام المنتظر عليه السلام في زيارة الناحية المقدسة. ينظر: ابن طاووس، اقبال الأعمال، ٣/ ٧٧؛ السهوي، إِبصار العين، ص ٢١٦.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٧٠؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٦.

(٤) الكليني، الكافي، ٤/ ٥٧٤؛ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٣٧٨؛ الطوسي، مصباح المتعجب، ص ٧٢٠؛ ابن البراج، المهذب، ١/ ٢٨٥.

الفصل الثاني المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل..... ١٠٣

أجابوا دعوة الجهاد ومنهم عمار بن ياسر الذي قال وهو خارج إلى صفين:
(اللهم وإني أعلم مما أعلمتني أني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد
هؤلاء الفاسقين ولو أعلم اليوم أرضى لك منه لفعلته)^(١).

أي انه كان واثقاً من أنه على الحق مع إمامه، أيضاً فإن أنصار القيام قد أجابوا
دعوة الجهاد والتحقوا بإمامهم وقال سعيد بن عبد الله للإمام الحسين عليه السلام:

(والله لا نخليك حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك)^(٢)،
أي أنه أيضاً كان عارفاً، كما هم جميع الصحابة، إن الإمام على الحق لهذا رفض
أن يتركه ونال جميع الصحابة شرف الشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام.

ذكر الإمام علي عليه السلام ان الصحابة وثقوا بالقائد فاتبعوه، أي اتبعوا الإمام عليه السلام
فهذا الأمر أيضاً قد تجسد في أنصار القيام فقد اتبعوا قائدهم الإمام الحسين عليه السلام
رغم انه عليه السلام قد أجرى عليهم الاختبار تلو الاختبار وقد نجحوا في تلك
الاختبارات ووطنوا أنفسهم على الشهادة لنيل الدرجات الرفيعة في جنة الخلد.
إن أنصاراً تلك صفاتهم كيف لا يناديهم إمامهم وقائدهم بعد استشهادهم؟!،
ولهذا جعل الإمام الحسين عليه السلام قتلهم بمستوى قتل النبيين وأولادهم وذلك
عندما كان يضع بعضهم إلى جنب بعض، ثم يقول: (قتلانا قتل النبيين وآل

(١) المنقري، وقعة صفين، ص ٣٢٠. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦؛ ابن الأثير،
الكامل في التاريخ، ٣/٣٠٨؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/٢٥٣؛ الأربلي، كشف
الغمة، ١/٢٦١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣١٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/٣٣٨؛ ابن كثير، البداية
والنهاية، ٨/١٩١؛ الدمشقي، جواهر المطالب، ٢/٢٨٣.

النبين) ^(١)، فكانوا خيرة الأنصار ولهم مكانة كبيرة في قلب الإمام عليه السلام، فهم مسنده وهم العشيرة التي اتكل عليها بعد الله سبحانه، مع أهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين لم يستغن عنهم ولا يستغنون عنه لأن الشخص لا يستغني عن عشيرته مهما كان الظرف، أشار الإمام علي عليه السلام إلى أهمية العشيرة بقوله:

(أيها الناس انه لا يستغني الرجل - وإن كان ذا مال - عن عترته [عشيرته]، ودفاعهم عنه بأيديهم وألستهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمهم لشعته، واعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به) ^(٢).

أوضح الإمام علي عليه السلام في هذا النص أهمية العشيرة وكيف هم سند الرجل في جميع الظروف والأحوال، إذ هم أعظم الناس حفظاً له وهم أعظم الناس في جمع أمره، فضلاً عن أنهم أعطف الناس له عند نازلة أي حادثة إذا نزلت به، فإنهم سوف يكونون السند الداعم له ^(٣).

نجد ان توافر هذه الصورة التي أوضحتها الإمام علي عليه السلام عن أهمية العشيرة ودورها في حفظ كيان الرجل ووقوفها معه في أي شدة واضح في تصرفات وتضحيات أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره في كربلاء، فهم كانوا من خيرة المساندين لقائدهم وضحووا بأنفسهم دونه من أجل حفظ كيانه.

هناك كثير من المواقف التي تعبر عن مدى إخلاصهم لإمامهم عليه السلام وإنهم خير من ساندته في موقفه هذا، فعندما نأتي لأهل بيت الحسين عليه السلام ولو نأخذ مثلاً

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/٨٠؛ البحراني، العوالم، ص ٣٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٣.

(٣) ينظر: المجلسي، مرآة العقول، ٨/٣٧٧؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣/٣٣٩؛ الخراساني، مفتاح

فقط موقف أبي الفضل العباس عليه السلام وإخوته، وذلك عندما رفضوا أن يتخلوا عن الإمام الحسين عليه السلام عندما جاءهم شمر بن ذي الجوشن ^(١) وآمنهم إذا ما تخلوا عن الإمام عليه السلام إلا ان أبا الفضل العباس عليه السلام قال له: تبت يداك وبئس ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله! أأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين ابن فاطمة عليه السلام وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟ فرجع الشمر إلى معسكره مغضباً لما سمعه من كلام أبي الفضل عليه السلام ورفضه لأمانه ^(٢) فأبي سند هذا وأي تضحية؟ فالعباس عليه السلام وأخوته رفضوا الأمان الذي كان من الممكن أن يكتب لهم الحياة في واقعة الطف من أجل الوقوف مع الإمام الحسين عليه السلام في أصعب الظروف.

وفي موقف الأنصار وأهل البيت عليهم السلام نجد الإمام الحسين عليه السلام قد جمعهم في ليلة العاشر ثم أقبل عليهم فقال: (أما بعد فياني لا أعلم أصحاباً أصلح منكم

(١) شمر بن ذي الجوشن: اسم أبيه شرحبيل ابن قرط الضبابي الكلابي، وهو من كبار قتلة الإمام الحسين عليه السلام، كان أول أمره من ذوي الرياسة في هوازن، وكان في يوم صفين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، إلا انه انقلب فيما بعد لأنه ابن زنا وذلك لأن امرأة ذي الجوشن خرجت من جبانة السبيع إلى جبانة كندة، فعطشت في الطريق فلقيت راعياً يرعى الغنم فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلا بالإصابة منها فمكثته فواقعها الراعي فحملت بشمر، وقد أشار إلى ذلك الإمام الحسين عليه السلام وهو يخاطب الشمر في يوم العاشر إذ قال له: (يا ابن راعية المعزى)، وكان الشمر أبرصاً أخذه المختار الثقفي وأغلى له دهناً في قدر وقذفه فيها فتنسخ، وهناك من يقول قتله أبو عمرة أحد رجال المختار في خوزستان ورمى جثته إلى الكلاب. ينظر: الجاحظ، البرصان والعرجان، ص ١٢٩؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٤٥٨؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٢/ ٢٥٩؛ النهازي، مستدركات، ٤/ ٢٢٠؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٧٥.

(٢) باختلاف الألفاظ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٨٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٥؛ ابن أعثم، الفتوح، ٥/ ٩٤؛ المفيد، الارشاد، ٢/ ٨٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣١٧.

١٠٦ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ولا أهل بيت أبر ولا أفضل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري) (١).

وعلى الرغم من ذلك فإنهم رفضوا جميعاً أن يتركوا الإمام الحسين عليه السلام (٢)، مع وجود الموت المحقق وربما قد يعتقد أنهم يلقون أنفسهم في التهلكة (٣)، إلا أنهم رفضوا أن يتركوا إمامهم وقائدهم عليه السلام، فأى سند هذا وأي عشيرة تصل إلى هذا الحد من التضحية وقد قال لهم الإمام الحسين عليه السلام إنكم تقتلون غداً جميعاً فقالوا بأجمعهم الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أو لا ترضى

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٥. ينظر: المفيد، الارشاد، ٢/ ٩١؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٣؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/ ٤٥٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٨٤؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٣٨؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/ ١٩١.

(٢) -ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/ ٧٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٥٨؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ ٨/ ١٩١.

(٣) لم يترك أنصار الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام إمامهم على الرغم من أنهم قد يلقون أنفسهم في التهلكة وحرمة إلقاء النفس في التهلكة، فكان على الأقل الهرب عن مثل هذا السبب، فلا شك أنهم عملوا مع الإمام الحسين عليه السلام حتى لو أذن لهم بالتفرق، فإنه لم يكن يأذن لهم إلزاماً، وإنما أذن لهم جوازاً وإذا عرفوا منه وهو أميرهم وإمامهم ومصدر شريعتهم جواز البقاء والتعرض للقتل، إذن فقد سقط تكليفهم بذلك أمام الله سبحانه، فلم يبق أمامهم إلا البقاء وتحصيل المقامات التي ينالونها بالشهادة، وإن أذن الإمام عليه السلام لهم كان من باب الامتحان لمعرفة درجة همتهم في نصرته، واستعدادهم للفداء من دونه. ينظر: الصدر، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ص ٢٣٢.

أن نكون معك في درجتك (١)؟

ولهذا كانوا خير من انطبق عليهم كلام الإمام علي عليه السلام في النهج عن دور العشيرة ومساندتها للرجل، بذلك استحقوا ما نالوه من مكانة كبيرة في قلب الإمام الحسين عليه السلام لما امتازوا به من صفات جعلتهم يستحقون تلك المكانة.

(١) الخصبي، الهداية الكبرى، ص ٢٠٤. ينظر: البحراني، مدينة المعاجز، ٤/ ٢١٥.

المبحث الثاني

تشخيص صفات أنصار جبهة الباطل

أولاً- التبعية للشيطان:

ان الشيطان من أشد أعداء الإنسان وهو السبب الرئيس في انحرافه، والذي تكبر على الإنسان، وعلى الرغم من ذلك هناك كثير من البشر يتبعون خطوات الشيطان رغم أن الله تعالى قد نهى عن ذلك في كثير من الآيات القرآنية ومنها قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١).

وكذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وهنا نجد ان أحد الأسباب التي نهى من أجلها الانسان عن اتباع خطوات

(١) البقرة/ ١٦٨.

(٢) النور/ ٢١.

الشیطان أنه يأمر بالفحشاء والمنکر یعنی القبائح والمنکر من الأفعال^(١).

إن اتباع الشیطان یعنی الانحراف بكل صورته، لذا نجد التوصیف الدقیق من الإمام علی عليه السلام لأتباع الشیطان فی قوله عليه السلام:

(اتخذوا الشیطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ فی صدورهم ودب ودرج فی حجورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألستهم، فركب بهم الزلل وزین لهم الخطل، فعل من قد شركه الشیطان فی سلطانه، ونطق بالباطل علی لسانه)^(٢).

أوضح الإمام عليه السلام فی هذا النص حال اتباع الشیطان إذ يشير عليه السلام إلى أن هؤلاء اتخذوا الشیطان فی جمیع أمورهم مالکاً لها يأمرهم بها ویأتمرون، واتخذهم اشراكاً أي شركاء وجعلوا وسواسه قواماً لأمرهم فوضع البيض فی صدورهم، هذا کنایة عن استیطان الشیطان فی قلوبهم، فإن الطیر إذا باض وفرخ فی مكان اتخذه وطناً لنفسه ومأوی يأوی إليه، وفرخ فی صدورهم أي دعاهم إلى الذنوب فأجابوه وتمکن ورسخ وسواسه فی قلوبهم ومشى مشياً رویداً ثم كثيراً فیما بینهم، ولشدة اتحادهم وامتزاجه صار کمن ینظر بأعينهم وینطق بألستهم، أي صار الإثنان كالواحد، ولأن جمیع أحواله معروفة فی الفواحش، لذلك فهم لا ینظرون إلا إلى المحرمات ولا ینطقون إلا بالباطل فلسانهم یتکلم ولكن بإیحاء من الشیطان وإلقاء منه إليهم^(٣).

(١) ینظر: الطوسي، التبیان فی تفسیر القرآن، ٧/٤٢٠؛ الطبرسي، تفسیر مجمع البیان، ٧/٢٣٤؛

الکاشاني، زبدة التفاسیر، ٤/٤٨٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٤.

(٣) ینظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/١٥٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/٢٢٨؛

هذه بعض من صفات اتباع الشيطان التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في النهج، إذ نجد في كثير من تلك الصفات تجلياً وانطباقاً على أنصار جبهة الباطل، وذلك لأنهم انحرفوا عن الدين الاسلامي الصحيح وعمّا يريد الله تعالى في تصرفاتهم كلها وقاموا بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وان أغلب تصرفاتهم وكلامهم كان من عمل الشيطان بهم، فلذلك أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى استحواذ الشيطان عليهم عندما خاطبهم عليه السلام قائلاً:

(لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعداً للقوم الظالمين)^(١).

أشار الإمام عليه السلام إلى استحواذ الشيطان عليهم مما أدى إلى كفرهم، وهذا متناغم مع تلك الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام عن اتباع الشيطان الذين أصبح للشيطان الحاكمة عليهم في جميع تصرفاتهم وأفعالهم، ولهذا فإن أنصار جبهة الباطل هم أيضاً في المنهج والاتجاه نفسه من حيث التبعية للشيطان لأنهم اتبعوه فاستزلمهم عن الدين الصحيح وهم بذلك حزب الشيطان، وكلام الإمام الحسين عليه السلام مصداق لقوله تعالى:

﴿سَتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

إن أنصار جبهة الباطل هم حزب الشيطان الذين جعل الشيطان لهم أفعالهم

الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ٨٧.

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٤٩؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ٦؛ البحراني، العوالم، ص ٢٥٠.

(٢) المجادلة/ ١٣

١١٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وحسنها لهم، فلو نأخذ موقف قائدهم العسكري في المعركة وهو عمر بن سعد^(١)، فهو خير دليل على ذلك، فعندما نهض لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام أخذ ينادي يا خيل الله اركبي وأبشري!! فركب الناس وزحفوا نحو الحسين عليه السلام^(٢)، ألم يزين الشيطان فعل عمر بن سعد هذا؟ فعلى أي شيء تركب خيل الله؟! هل على ابن بنت نبيه ﷺ؟! أم يجب أن تركب على من يرتد عن الدين الاسلامي ويخرج عن الأمة المحمدية؟! لكن إنما نطق بذلك لأن الشيطان قد زين له فعله وسوّغ له عمله.

ان هذا الموقف وهذا الكلام لم يأت من فراغ أو محل صدفة وإنما فكرته وتشخيصه ورد في كلام الإمام علي عليه السلام في النهج وهو يحذر من الشيطان، فقد أشار عليه السلام إلى ذلك قائلاً:

(واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنوداً وأعواناً، ورجلاً وفرساناً)^(٣).

أشار الإمام عليه السلام في كلامه هذا إلى أن للشيطان من كل أمة جنوداً وأعواناً يتخذهم لمحاربة المؤمنين وهم رجال وفرسان أي جنود راجلون ورجلون

(١) عمر بن سعد: بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف، وأمه مارية بنت قيس، أمره عبيد الله بن زياد بقتال الحسين عليه السلام بعد أن أطمعه بملك الري، أطاع بالخروج على الإمام الحسين عليه السلام وكان قائد الجيش أي أحد القتلة الرئيسيين الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام ولما غلب المختار بن أبي عبيدة على الكوفة قتل عمر بن سعد وبعث برأسه إلى الإمام السجاد عليه السلام الذي فرح كثيراً بقتله وخر لله ساجداً. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٦٨؛ الراوندي، الدعوات، ص ١٦٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٤. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٥؛ المفيد، الارشاد، ٢/ ٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٠.

(٣) ص ٤٣٢.

اتصفوا بصفته واستشعروا شعاره (١).

وبفعل حاكمية الشيطان عليهم قال عمر بن سعد يا خيل الله اركبي، فإنه من حيث يعلم أو لا يعلم هو من جنود الشيطان وأتباعه، وهم رجاله الأدميون الذين جندهم لمحاربة المؤمنين المتقين وأي مؤمنين ومتقين قد قاتلوهم هم الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره الذين يمثلون صفوة المتقين وأنصار الدين الإسلامي الحنيف.

إن أنصار جبهة الباطل وبعدهما تين لنا بأنهم أتباع الشيطان فقد اتصفوا بالكثير من الصفات التي لا تمت للإسلام بصلة، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى بعض تلك الصفات عندما خاطبهم عليه السلام قائلاً:

(فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء) (٢). إذ شخّص الإمام الحسين عليه السلام في كلامه عن أنصار جبهة الباطل بعض صفاتهم، ومنها:

انهم من طواغيت الأمة وشذاذ الأحزاب، ومن المعلوم ان شذاذ الأحزاب هم بقايا الذين كانوا على غير دين الإسلام وقد تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٥٧؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/١٨٦.

(٢) المجلسي، البحار، ٤٥/٨. ينظر: ابن اعثم، الفتوح، ٥/١١٦؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢٤؛ ابن حمدون، التذكرة، ٥/٢١١؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين، ٣١٨؛ تاريخ دمشق، ١٤/٢١٩؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/٢٥٨٨؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٨؛ الأربلي، كشف الغمة، ٢/٢٢٩.

وحاربوه^(١)، أي انهم بعيدون كل البعد عن الإسلام ولذلك فإن من السهولة السيطرة عليهم من الشيطان والتحكم بأفعالهم وتصرفاتهم وفي كل ما قاموا به ضد الإمام الحسين عليه السلام.

بما انهم بعيدون عن الإسلام فمن المؤكد نبذهم للكتاب يعني القرآن الكريم بفعل سيطرة الشيطان عليهم ولأنه يتقاطع مع مصالحهم الدنيوية الضيقة ولهذا كان هذا التشخيص من الإمام عليه السلام لهذه الصفة عندهم.

ومن أهم صفاتهم هي تحريف القرآن عن معانيه وتحويلها عن مقاصدها الأصلية بضروب من التأويلات الباطلة والوجوه الفاسدة^(٢)، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

(وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده فهم يروونه ولا يراعونه)^(٣).

ومن صفاتهم إنهم مطفئو السنن أي السنن المحمدية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله والتي - كما بيّنا سابقاً - كان من ضمن أهداف القيام هو إحيائها بعد أن أماتها هؤلاء، لأنهم ابتعدوا أصلاً عن الدين الإسلامي، ولأنهم انطبقت عليهم صفات أتباع الشيطان التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام في النهج، وبما ان الشيطان عدو الدين فإن أتباعه يكونون ضمن هذا الاتجاه العدائي للدين والرسالة المحمدية الأصيلة.

(١) ينظر: العاملي، مختصر مفيد، ٨/١٢٢.

(٢) العاملي، حقائق هامة حول القرآن الكريم، ص ٥٥.

(٣) الكليني، الكافي، ٨/٥٣؛ الكاشاني، المحجة البيضاء، ٢/٢٦٤؛ المجلسي، مرآة العقول،

الفصل الثاني المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل..... ١١٥

بينت صفات أنصار جبهة الباطل أنهم بعيدون كل البعد عن القيم الإنسانية والأخلاقية، لذلك فإن هؤلاء كانوا عبيداً للشيطان ولم يكونوا أحراراً وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام هذا المعنى عندما خاطبهم قائلاً:

(يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم) (١).

وهذه الصفات التي اتصف بها أنصار جبهة الباطل تندرج كلها ضمن صفات أتباع الشيطان التي بيّنها الإمام علي عليه السلام في النهج، والتي انطبقت بوضوح على أنصار يزيد بن معاوية، مثلما انطبقت على سيدهم معاوية، إذ وصفه الإمام علي عليه السلام قائلاً:

(فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله) (٢).

أليس هذا هو الشيطان بعينه؟! وقد عبر الشيطان عن نفسه بهذا الكلام عندما خاطب رب العالمين أن يبقيه إلى يوم القيامة مبيناً سبب ذلك بقوله:

﴿لَا تَبْتَئُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٣).

أي إفساد أمر دينهم بتزيين الضلال وتحسينه الشبهة ومن ثم تهوين أمر

(١) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٧. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٧٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/٢٠٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٤٤؛ ابن اعثم، الفتوح، ٥/١١٧؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٧٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٧٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٢٩.

(٣) الأعراف/ ١٧.

الآخرة وتغليب الشهوات على القلوب^(١).

إذا ما قارنا كلام الشيطان عن نفسه مع أوصاف معاوية التي ذكرها الإمام علي عليه السلام لا نجد فرقاً بين الطرفين -معاوية والشيطان- ومن هذا كان أنصار جبهة الباطل بحق أتباع الشيطان وأعوانه، الذين اجتمعوا على باطلهم وأرادوا من ذلك الدنيا يقابله ضياع الآخرة، وذلك عن طريق قتل ابن بنت نبيهم ﷺ للحصول على ما وعدوا الحصول عليه من جوائز، وبذلك لم يتعضوا بواعظ ولم ترأف قلوبهم لآل النبي ﷺ وكانت قلوبهم كالحجارة فاجتماع الباطل يولد إماتة القلب.

أشار الإمام علي عليه السلام إلى أحد أسباب موت القلوب وهو الاجتماع على الباطل عندما وصله خبر غزو مدينة الأنبار^(٢) بجيش معاوية، فقد قام خطيباً عليه السلام:

(والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم)^(٣)،
وهنا بين الإمام علي عليه السلام باطل معاوية وأتباعه، وان اجتماعهم هذا على الباطل وادعاءهم ما ليس لهم مثل الخلافة والاستقلال في الإمارة وسائر أعمالهم قد

(١) ينظر الطبري، جامع البيان، ١٧٩/٨؛ النحاس، معاني القرآن، ١٧/٣؛ الجصاص، أحكام القرآن، ٣٩/٣؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣٦٥/٤؛ ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفة، ١٩/١.

(٢) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، كان أول من عمرها سابور ذو الأكتاف ثم جددها أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، وكان يقال لها الأهرام ولما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار، وقد فتحت عام ١٢ هـ في خلافة أبي بكر. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ١٩٧/١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٥٧/١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٧١.

أما قلوبهم (١).

نجد هذا الأمر قد ظهر على أتباع الشيطان ممن وقفوا ضد الإمام الحسين عليه السلام فقد اجتمعوا على باطلهم وهو قتال الحسين عليه السلام مع انه عليه السلام يمثل الحق والشرعية في كل شيء، ولكن قلوبهم قد قست إذ أخذوا لا يفقهون شيئاً ولا يتعظون بواعظ، وهذا أحد الآثار المترتبة نتيجة الاجتماع على الباطل كما بينها الإمام علي عليه السلام في النهج، ونجد هذا الأمر في أنصار جبهة الباطل ضد الإمام الحسين عليه السلام فقد كان يخاطبهم ويقولون ما ندري ما تقول (٢).

فلم يكونوا يفقهون ما يقول الإمام عليه السلام نتيجة موت قلوبهم، ومن صفاتهم في هذا المجال:

طبع على قلوبهم نتيجة اجتماعهم على الباطل واتباعهم الشيطان الذي أعمى بصرهم وبصيرتهم وهذا متلائم مع صفات أنصار واتباع الشيطان التي بينها الإمام علي عليه السلام في النهج، ويؤكد ذلك كلام حبيب بن مظاهر الأسدي (رضوان الله عليه) مع شمر بن ذي الجوشن عندما كلم الإمام الحسين عليه السلام القوم، قال له شمر: وهو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله اني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد انك صادق ما تدري ما يقول قد طبع على قلبك (٣).

(١) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/١٥٣.

(٢) اليعقوبي، التاريخ، ٢/٢٤٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٣. ينظر: المفيد، الإرشاد، ٢/٩٨؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/٤٥٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ١/٣٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،

أكلهم الحرام وهذا كان له أثر وضعي في عدم تقبلهم للوعظ من الإمام الحسين عليه السلام لذلك خاطبهم قائلاً:

(فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم) (١)، إذ انه على الرغم من الخطب الكثيرة التي ألقاها عليه السلام في يوم العاشر إلا أنها لم تؤثر فيهم كثيراً. مثل هؤلاء الامتداد الطبيعي لأتباع الشيطان الذين أشار إليهم الإمام علي عليه السلام في النهج، وكذلك أصحاب القلوب الميتة الذين اجتمعوا على الباطل، لتطابق صفات أولئك مع أنصار جبهة الباطل.

ثانياً- عصيان الله تعالى

إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على الانسان بشتى أنواع النعم التي جعلته مميزاً عن سائر المخلوقات الأخرى، من أهم تلك النعم هي نعمة العقل التي وهبها الله تعالى إلى الانسان مما جعله يميز بين مختلف الأشياء، وهناك كثير من الناس كالأنعام خرجوا من عز عبادة الله سبحانه إلى ذل عبادة المخلوق فهم كالأنعام كما أشار الله عز وجل إلى ذلك في قوله جل جلالته:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢).

إن مثل هؤلاء قد عصوا الله بعبادتهم التي عمت بصيرتهم وبصرهم وباعوا آخرتهم بدنياهم، ونجد توصيفاً دقيقاً لحال هؤلاء ولدنياهم من الإمام علي عليه السلام، إذ يقول:

(أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/٨؛ البحراني، العوالم، ص ٢٥٢.

(٢) الفرقان/ ٤٤.

شيئاً أعشى [أعمى] بصره، وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سمعية، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولت عليها نفسه، فهو عبد لها، ولمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ^(١).

هنا وصف دقيق للدنيا ولمن يتبعها على حساب آخرته، إذ يظهر من كلام الإمام عليه السلام كثير من صور ومعاني الدنيا وأتباعها الذين عصوا الله منها: وضاعة الدنيا وخساستها وإلا كيف تكون لها قيمة وقد وصفها الإمام عليه السلام بالجيفة، في بيان حالها^(٢).

أوضح الإمام عليه السلام ان الذي يحب الدنيا ويعشقها سوف تترتب عليه كثير من الآثار والسلبيات التي تؤدي إلى الخروج عن طاعة الله ومعصيته. إن أهل الدنيا لكثرة حبه لها وفرط رغبتهم فيها قصرت أبصارهم عن النظر إلى آخرهم، ومرضت قلوبهم عن التوجه إلى عقابهم، ونتيجة حبه لها فهم ينظرون بعين غير صحيحة ويسمعون بأذن غير سمعية لغفلتهم عن سواها^(٣).

بين الإمام عليه السلام إن هؤلاء عبید الدنيا عصاة لله تعالى قد خرقت الشهوات عقولهم، وبين ان الثوب زينة الانسان وهو الذي يحميه من الحر والبرد فكذلك العقل يحميه من حر الجحيم إلا إن هؤلاء قد خرقت عقولهم، وأماتت الدنيا قلوبهم^(٤).

(١) نهج البلاغة، ص ٢٣١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٢٠٧؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/٦٢.

(٣) الخوئي، منهاج البراعة، ٧/٢٣١.

(٤) ينظر: الخوئي، منهاج البراعة، ٧/٢٣٢.

١٢٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

أشار الإمام عليه السلام أيضاً إلى أنّ هؤلاء قد وهوا بالدنيا وفتنوا بها فهم عبيد لها ولمن في يديه شيء منها، لذلك فهؤلاء يزيلون مع الدنيا حيث زالت، ومن هذا الباب فهم لا يتعظون بواعظ لأن عقولهم ممزقة وقلوبهم ميتة وأهواءهم مع الدنيا حيث ما كانت يكونون.

إن هذه الصورة التي بينها الإمام علي عليه السلام عن الدنيا وأتباعها وما حالهم وكيف انهم يخرجون من طاعة الله وعبادته إلى طاعة الدنيا وعبادتها على حساب دينهم وبيع آخرتهم بديانهم، نجدها قد انطبقت على أنصار جبهة الباطل ممن قتلوا الحسين عليه السلام، فقد أطاعوا أهواءهم وعبدوا الدنيا على حساب عبادة الله تعالى، وهذا الانطباق في عدة أشكال وصور منها:

انهم عبيد الدنيا وأتباعها ولعل الإمام الحسين عليه السلام أشار إلى هذا المعنى بقوله عليه السلام:

(الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطنونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء، قلّ الديانون) ^(١)، وهذا ينسجم مع قول الإمام علي عليه السلام في ذم أصحابه إذ قال: (وصار دين أحدكم لعقة على لسانه) ^(٢)، أي يصبح الدين عندكم مجرد شعارات وانه في اللسان لا في القلب، وقد استعار عليه السلام لفظ اللعقة وهي الشيء القليل الذي يأخذ بالملعقة من الإناء ليصف فيها دينهم بالنزرة والقلة كتلك اللعقة ^(٣)، وهذا ما وجده الإمام الحسين عليه السلام عند أنصار جبهة

(١) الحرائي، تحفة العقول، ص ٢٤٥. ينظر: الحسين، التحفة العسجدية، ص ٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/٦١٣؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٣٨٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٤٥.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٢٤٩؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٥/٢٣٣؛ مغنية،

الباطل فضلاً عن عبادتهم الدنيا التي أشار إليها الإمام عليه السلام.

إن هؤلاء قد أقبلوا على الدنيا التي عبر عنها الإمام عليه السلام بالجيفة، وباعوا آخرتهم واتبعوا أهواءهم من أجل طاعة الدنيا على حساب طاعة الله تعالى، ويوضح موقف قائدهم العسكري عمر بن سعد من قتل الحسين عليه السلام ذلك، فعندما كلف بمهمة قتله أخذ يخيّر نفسه بين الجنة والنار أي بين معصية الله سبحانه بقتل الإمام عليه السلام أو إطاعة الدنيا والحصول على الجائزة التي وعد بها، وجسد ذلك بقوله (١): (٢)

فوا الله ما ادري وإني لواقف أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
ففي مثله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرّة عيني

وعلى الرغم من معرفته بمصير من يقتل الإمام عليه السلام عصى الله عز وجل وقام بقتله عليه السلام من أجل ملك الري.

ان الصورة التي بينها الإمام عليه السلام عن ان هؤلاء عصاة الله سبحانه قد

في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ١٨٣؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢١٣.

(١) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن وهي محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبل، بناها فيروز بن يزيد وسأها رام فيروز، ثم ذكرت باسم الري، وليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها، وهي قريبة إلى خراسان ولها مدن كبرى كل واحدة أكبر من مدينة. ينظر:

البكري، معجم ما استعجم، ٢/ ٦٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ١١٦.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٤٨. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/ ٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٥٣؛ الشافعي، مطالب السؤل، ص ٤٠١؛ الحلي، منهاج الكرامة، ص ٣٥؛

اليافعي، مرآة الجنان، ١/ ١٠٧.

خرقت عقولهم نتيجة حبهم للدنيا نجدها انطبقت على أنصار الباطل، فأى عقول لهم وهم يقتلون مثل الإمام الحسين عليه السلام؟! والأشد من ذلك كانوا يرون أنفسهم أصحاب حق والإمام عليه السلام - حاشاه - هو صاحب الباطل فأى عقول تلك التي لديهم، وهناك مواقف تدل على خفة عقولهم منها انه في ليلة العاشر من محرم أقبل شمر بن ذي الجوشن في منتصف الليل ومعه جماعة من أصحابه، حتى تقارب من عسكر الإمام الحسين عليه السلام والإمام عليه السلام قد رفع صوته وهو يتلو هذه الآية:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ.....﴾^(١) إلى آخر الآية فصاح أحد أصحاب الشمر نحن ورب الكعبة الطيبون وأنتم الخبيثون! وقد ميزنا منكم، لذلك رد عليه برير رداً جميلاً بقوله:

(ما أنت إلا بهيمة لا تعقل فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم)^(٢).

أشار الإمام علي عليه السلام إلى ان عصاة الله عبيد الدنيا لا يتعظون بواعظ فإذا ما أخذنا ظاهر كلام الإمام عليه السلام نجد انه ينطبق على قتلة الحسين عليه السلام، لأن الإمام الحسين عليه السلام كثيراً ما وعظ هؤلاء إلا إنهم لم يتعظوا من الله بواعظ، على الرغم من انه عليه السلام قد ألقى العديد من الخطب الواعظة يوم العاشر من أجل إلقاء الحجّة عليهم، ومنها قوله عليه السلام:

(١) آل عمران / ١٧٨-١٧٩.

(٢) ابن أعمش، الفتوح، ٩٩/٥. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٠؛ المفيد، الإرشاد،

٢/٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٩٢.

(يا أهل العراق - وجلّهم يسمعون- أيها الناس إسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي، وحتى أعذر إليكم)^(١).

ثالثاً- الانتساب السلبي:

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وبيّن له الحق من الباطل وأرسل النبيين مبشرين ومنذرين من أجل هداية الناس إلى الطريق الحق وعبادته عز وجل، ومن ثمّ الوصول إلى مرضاته جلت قدرته لكي ينالوا الدرجات الرفيعة عند الله تعالى، إلا انه على الرغم من ذلك نجد الكثيرين ممن يتعدون عن الطريق الحق في الأمة الإسلامية، فبعد أن استشهد النبي ﷺ بيّن لنا التاريخ كيف انقلبت امته على الأعقاب وخالفوا وصيته بسلب الخلافة من الخليفة الشرعي الإمام علي عليه السلام^(٢) الذي صبر من أجل الحفاظ على الاسلام والكيان الديني ومن أجل الحفاظ على الرسالة المحمدية، فالوضع لم يكن سانحاً للقيام بأي عمل أو حركة ضد المنقلبين على الأعقاب^(٣).

بعد أن تسلم الإمام عليه السلام الخلافة كان هناك كثير من المتمردين ضده، وقد شهد عهده عليه السلام ثلاث حروب وهي الجمل وصفين والنهروان، فأصحاب تلك الحروب ضربت مصالحهم لأن منهج الإمام عليه السلام لا يتوافق معهم، فتمردوا عليه عليه السلام وكان معاوية محرراً لذلك وقد جمع حوله المنافقين وغيرهم من شتى

(١) المفيد، الإرشاد، ٩٧/٢. ينظر: الطبرسي، أعلام الوري، ٤٥٨/١؛ الشامي، الدر النظيم، ص ٥٥٢؛ المجلسي، البحار، ٦/٤٥.

(٢) ينظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣٦٣/١؛ المفيد، الاختصاص، ص ١٨٥؛ المازندراني، شرح اصول الكافي، ٣٢/١٢.

(٣) ينظر: الصدوق، كمال الدين، ص ١٢٥؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٥٣/١؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٤٥/٣.

الأماكن من أجل محاربة الإمام عليه السلام.

نجد الإمام علياً عليه السلام يصف أنصار معاوية بقوله عليه السلام:

(جفأت طغامٌ، وعبيد أقزام، جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب،
ممن ينبغي أن يفقه ويؤدب، ويعلم ويدرب، ويولى عليه، ويؤخذ على يديه.
ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوءوا الدار والايان)^(١).

بيّن الإمام عليه السلام أي اناس خرجت عليه وحاربتة، والمقصود بالدم جيش
معاوية، فقد كانوا أوباشاً رعاغاً تجمعوا خليطاً من هنا وهناك، وهم غلاظ
الطبع قساة القلب أفظاظ، أوغاد الناس وأرذلم وأدانيهم وهم عبيد أي عبيد
الدينار والدنيا، وعبيد الهوى، والإمام عليه السلام شبههم بالعبيد لعدم استقلالهم في
الإرادة وتفهم الأشياء، وإنما هم أتباع يتمثلون أمر معاوية، جمعوا من كل ناحية
وهذه عادة الأشرار دائماً، فإن ذوي البيوتات والشرف لا يتبعهم فيضطرون
إلى جمع الأشرار والتقوية بهم، وهم جهال العلم والدين وينبغي أن يعلموا
ويؤدبوا، فإذا كانت تلك صفاتهم لا يستحقون أن يولوا أمر المسلمين، بل ينبغي
أن يحجر عليهم كما يحجر على الصبي والسفيه لعدم رشده، وان هؤلاء ليسوا
من المهاجرين والأنصار ولا هم من الذين سكنوا المدينة المنورة، فقد جمعهم
معاوية بالمال والقوة^(٢).

جمعهم المصالح الدنيوية الضيقة لدى قائدهم معاوية لذلك انتسبوا اليه

(١) نهج البلاغة، ص ٥٤٠.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٣١٠؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٢٩؛

الخوئي، منهاج البراعة، ١٦/ ٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٦١؛ الحسيني الشيرازي،

توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤١٥.

من أجل الخروج على الخليفة الشرعي وهو الإمام علي عليه السلام نجد كثيراً من تلك الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام في النهج عن أنصار معاوية قد برزت على أنصار جبهة الباطل، إذ إن انتساب أنصار معاوية إليه نتيجة مصلحة دنيوية ذاتية وجدوها عنده، كذلك كان انتساب أنصار يزيد لأجل المصلحة نفسها.

ومنذ الوهلة الأولى لتعيين يزيد ولياً للعهد من أبيه معاوية نجد ان الإمام الحسين عليه السلام قد وصف يزيد وأنصاره وأين يجدهم، في كلامه مع معاوية إذ قال عليه السلام:

(وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة^(١) عند التهارش والحمام السبق لأتربهن، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي تجده باحراً)^(٢).

ان هذه الصفات التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام عن أنصار يزيد إذا ما قورنت مع أنصار معاوية نجدها في الاتجاه نفسه ودون اختلاف فيما بينهم، ومن صور ذلك التشابه والتجلي ما يلي:

إن أنصار جبهة الباطل كانوا من مناطق شتى واتصفوا بالكثير من الصفات الإنحرافية اللاأخلاقية، ولعل كلام الإمام الحسين عليه السلام وهو يخاطبهم يبين بعض تلك الصفات عندما قال عليه السلام:

(فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب،

(١) الكلاب المهارشة: وهو تحريش بعضها على بعض. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٣/١٠٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ٦/٣٦٣؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٥٥.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/٢٠٩.

ونفته الشيطان، وعصبة الآثام، ومخرفي الكتاب^(١).

ان أنصار جبهة الباطل كانوا فظاظ القلب، وعبيد الدنيا فقد باعوا آخرتهم بدنياهم وهذا تلاؤم بين صفات أنصار معاوية التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في النهج، مع صفات أنصار يزيد، ومن أجل الحصول على بعض المناصب قاموا بفعلهم الشنيع مثل حال قائدهم عمر بن سعد، فنتيجة وعده بالحصول على ملك الري فقد قام بفعلته التي يندى لها ضمير الانسانية جمعاء، إذ انه عندما نصح بأن لا يقوم بقتل الإمام الحسين عليه السلام قال: إنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة أكل أو كشرية ماء، وإذا قتلته خرجت إلى ملك الري^(٢)، أفلم يكن هذا عبداً للدينا والدينار؟! وإلا على أي شيء قام بقتل الحسين عليه السلام لولا هذا الملك الذي وعد بالحصول عليه.

أشار الإمام علي عليه السلام إلى أن أنصار معاوية لم يكونوا من أهل المدينة المنورة، فإن هذا الأمر يبرز في أنصار يزيد، فلم يسجل لنا التاريخ أن هناك جيشاً خرج من المدينة ضمن أنصار جبهة الباطل لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام.

من الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام عن أنصار معاوية أنهم لا دين حقيقياً لهم، وهذا ينطبق على أنصار الباطل، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى ذلك عندما خاطبهم بعدما حملوا على الخيام فصاح بهم عليه السلام قائلاً:

(ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنت لا تخافون المعاد

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/٨. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/١١٦؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢٤؛

ابن حمدون، التذكرة، ٥/٢١١؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣١٨؛ تاريخ دمشق،

١٤/٢١٩؛ ابن العديم؛ بغية الطلب، ٦/٢٥٨٨.

(٢) البحراني، مدينة المعاجز، ٤/٦٣؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٣٠٦.

فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً^(١).

فقد نفى الإمام عليه السلام بهذا الكلام أن يكون لهم دين يعتقدون بأحكامه أو يكونوا مسلمين يخافون المعاد الذي يخافه كل مسلم، فيمتنع من ارتكاب الأصغر من تلك الجرائم النكراء البشعة التي ارتكبوها بحق الحسين عليه السلام وأهل بيته^(٢)، فضلاً عن أنه عليه السلام بهذه الكلمات جردهم من الإطار الإسلامي وأضافهم إلى آل أبي سفيان ذلك العدو الأول للإسلام، الذي تزعم من بعده أبناؤه القوى الباغية عليه وما كارثة كربلاء الا امتداد لأحقادهم وأضغانهم على نبي الإسلام^(٣).

وما ذكرناه يفسر لنا اقدامهم على ما قاموا به، لأن الانسان إذا ما انحرف عن الطريق الحق والصراط المستقيم يسلب منه التوفيق الرباني، ويصبح ينظر إلى الأمور وأي شيء من منطلق مصلحة ذاتية حتى وإن كان فيها غضب لله تعالى، فإن المهم في الأمر هو تحقيق غايته حتى وإن كانت على حساب الشرع والدين وإن كانت عند أبغض الخلق إلى الله سبحانه نتيجة انحرافه فإنه يسعى إليه من أجل مصلحته ولعل أحد أولئك مروان بن الحكم، الذي نجده وقف موقفاً سلبياً من القيام وانتسب إلى جبهة الباطل بعدما وجد مصلحته الذاتية الدنيوية معهم.

ان مروان بن الحكم من شيمته الغدر والخيانة فقد عفى الإمام علي عليه السلام عنه

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٧١. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٧٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/٢٠٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٤٤؛ ابن أعمش، الفتوح، ٥/١١٧؛ أبو الفرج، مقاتل الطالبين، ص ١٧٩؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٧٩.

(٢) ينظر: الجلاي، الإمام الحسين عليه السلام سياته وسيرته، ص ١٧٩.

(٣) المهتدي البحراني، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٤٦.

١٢٨ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

في معركة الجمل لكنه غدر، إلا أن الإمام علياً عليه السلام أشار إلى خيانتته لما أسر في البصرة واستشفع له الإمامان الحسن والحسين عليه السلام وقالوا للإمام عليه السلام إنه يبايعك فقال عليه السلام:

(أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته! إنها كف يهودية لو يبايعني بكفه لغدر بسبته) (١) (٢).

وهنا وصف الإمام عليه السلام كف مروان باليهودية، لأن اليهود من طبيعتهم الغدر والخيانة أو لأن أصله يهودي فعلاً وإنه عليه السلام عنى في جملة ما يعنيه انه منافق (٣). ان رجلاً هذه صفته فإنه من المؤكد انتسابه انتساباً سلبياً من حيث الموقف من القيام وقائده عليه السلام، وعلى الرغم من معرفته ان يزيد رجل فاسق شارب الخمر منحرف عن الدين الاسلامي إلا انه كان يطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايعه، وكان جوابه عليه السلام بقوله:

(ويحك يا مروان! أتا أمرني ببيعة يزيد، وهو رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول، لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذين لعنك رسول الله ﷺ وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص) (٤).

(١) سبته: الإسته، والسب جمع السبة وهي الدبر. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ١/١٤٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/٤٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٢٥.

(٣) ينظر: الراوندى، منهاج البراعة، ١/٣٠٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/١٤٧؛ الحسينى الشيرازى، توضيح نهج البلاغة، ١/٢٨٦.

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ٥/١٧.

إن شخصاً ملعوناً فضلاً عن انه وزغ بن وزغ^(١)، فأى شيء يرتجى منه، لذلك فإن ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام من خيانة مروان قد ظهر بالفعل أيضاً في موقفه من القيام.

رابعاً- الغدر:

إن الغدر أحد الصفات المذمومة التي نهى عنها الشرع الإسلامي لما فيها من أثر سلبي على أي مجتمع كان، ولأنها تعبر عن الشخصية الانهزامية لأي شخص يتخلق بهذه الأخلاقية السيئة، ومن ثم فإنها تندرج في إطار النفاق لأنه يظهر خلاف ما يبطن ومن هذا الباب نهى الله تعالى عن الغدر بأشكاله كافة والنكث ومخالفة العهود لأنها ضمن الغدر ولهذا قال الله سبحانه:

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الغدر بأشكاله كلها وصورة ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:

(الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن)^(٣)، ويبدو ان التركيز على نبذ هذه الظاهرة وحرمتها والنهي عن التخلق بها لأنها مستساغة من كثير من الناس ولأنها تحقق أهدافاً سريعة والمصلحة الشخصية ولكن بطريقة غير شرعية،

(١) وهي صفة أطلقت على مروان بن الحكم، والذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: لما ولد مروان وعرضوا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له فأرسلوا به إلى عائشة، فلما قربته من الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أخرجوا عني الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون. ينظر: الكليني، الكافي، ٢٣٨/٨؛ الدميري، حياة الحيوان، ٥٩/١؛ الحلبي، السيرة، ٥٠٩/٢.

(٢) الفتح/ ١٠.

(٣) ابن حنبل، مسند، ١٦٦/١؛ أبو داود، السنن، ١/٦٣١؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٣١٩/١٩.

١٣٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ولهذا أصبحت محببة للكثير ممن يخالفون قوانين الله تعالى وشرائعه وأصبحت منتشرة بشكل كبير بينهم لذلك نجد الإمام علياً عليه السلام في النهج يشير إلى هذه الظاهرة وكثرة انتشارها عندما قال عليه السلام:

(ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ما لهم! قاتلهم الله) ^(١).

أشار الإمام عليه السلام في هذا النص إلى انتشار الغدر عند الناس وهو علامة نفاقهم فالمؤمن لا يغدر، وجهل أهل الزمان بالغدر وثمرته لعدم تمييزهم بين الغدر والكيس، أي الفطنة والذكاء، ولما كان الغدر كثيراً ما يستلزم الذكاء والفطنة لوجه الحيلة وإيقاعها بالمغدور به، إلا أن هناك فرقاً كبيراً بين تفتن الغادر وتفتن الكيس، لأن تفتن الغادر يستعمله في استنباط الحيلة وإن خالفت الشرعية وخانت المصالح الكلية في جنب مصلحة جزئية تخصه، وتفتن الكيس إنما يستعمله في إيقاع رأي أو حيلة تنتظم مصلحة العالم وتوافق القوانين الشرعية، ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضوع الكيس ونسبهم الجاهلون في غدرهم إلى حسن حيلتهم ويتعجب الإمام عليه السلام من هؤلاء فيدعو عليهم ^(٢).

لسهولة الوصول إلى الأهداف الشخصية عن هذا الطريق أصبح الغدر محبباً للكثيرين الذين أدوا دوراً كبيراً في التاريخ الإسلامي بالاتجاه السلبي نتيجة انحرافهم عن جادة الدين الصحيح، ومن أبرز هؤلاء معاوية بن أبي سفيان، إذ

(١) ص ٩٤.

(٢) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٥؛ اختيار مصباح السالكين، ص ١٥؛ الخرساني،

مفتاح السعادة، ٦/ ٣٢٠.

تعد هذه واحدة من أهم أخلاقياته، وهنا قال الإمام علي عليه السلام:

(والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس) (١).

بيّن الإمام عليه السلام بهذا الكلام تحلّق معاوية بهذه الظاهرة الإنحرافية اللاإسلامية وكان معاوية مواظباً عليها لأنه رأى فيها تحقيق مصالحه بأقصر الطرق وهو طريق الغدر، وهو ما أكدّه الإمام الحسين عليه السلام في نظرته لمعاوية عندما أرسل معاوية للإمام كتاباً فردّ عليه الإمام عليه السلام جواباً، بيّن فيه تحلّق معاوية بهذه الصفة عندما أشار عليه السلام إلى من غدرهم معاوية من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بعدما أعطاهم الأمان والعهود والمواثيق فقد كان من ضمن كلامه عليه السلام:

(... ألسنت قاتل حجر بن عدي) (٢) أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم... فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك

(١) نهج البلاغة، ص ٤٧٩.

(٢) حجر بن عدي: بن جبلة بن عدي بن ربيعة، وهو حجر الخير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب أمير المؤمنين عليه السلام وشارك في صفين والنهروان، ولما ولي معاوية زياد بن أبيه العراق ظهر حجر خلعه، لذلك قبض عليه زياد وكتب به إلى معاوية فأمر الأخير أن يبعث به إليه فبعثه مع اثني عشر رجلاً، فقام معاوية بقتله في مرج عذراء في غوطة دمشق وهي التي فتحها حجر، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقتل حجر فيها وذلك بقوله: (سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء) وقال الإمام علي عليه السلام: (يا أهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثّل أصحاب الأعدود) فقتل حجر وأصحابه في هذه المنطقة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢١٧ و ٢١٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٣٢٩؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٩٣؛ المناوي، فيض القدير،

١٣٢..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وبينهم ولا بأحنة تجدها في صدرك عليهم، أولست قاتل عمر بن الحمق (١) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه (٢).

هذا النص وضح فيه الإمام عليه السلام ان الغدر متأصل في نفس معاوية وإلا كيف يغدر بمثل هؤلاء المؤمنين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام ولهذا فإن معاوية يُعدُّ من أشد الناس مخالفة للعهود والمواثيق وعدم الإلتزام بها، وقد بين ذلك الإمام الحسين عليه السلام عندما كلمه قائلاً:

(ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا) (٣).

(١) عمرو بن الحمق الخزاعي: بن الكاهن بن حبيب بن عمرو، من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب أمير المؤمنين عليه السلام. نزل الكوفة وشهد مع الإمام عليه السلام مشاهدته، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بأن يمتعه الله بشبابه حينما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم متعه بشبابه) فمر عليه ثمانون سنة لم ير شعره بيضاء فيه، وقد أشار بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبره أنه يشترك في قتله الأُنس والجن، إذ بعد أن طلبه معاوية هرب منه نحو الجزيرة نهشته حية، ثم أدركته خيل أصحاب معاوية فنزل رجل منهم فقطع رأسه، وكان أول رأس حمل في الاسلام بعثه زياد بن ابيه إلى معاوية. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦/٣٥؛ البخاري، التاريخ الصغير، ١٦/١٣١؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣/٤٩٦.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢٠. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/١٢١؛ الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٥٢؛ الشامي، الدر النظيم، ص ٥٣٣؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ١/٦٢٠؛ المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٣٤٥.

(٣) الطوسي، رجال الكشي، ١/٢٥٧؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٢١٤؛ المدني الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص ٤٣٦؛ البحراني، العوالم، ص ٩١.

يبدو ان ثقافة الغدر التي كان معاوية الرائد فيها والمؤسس الحقيقي لها أصبحت منتشرة بين كثير من الناس، وهذا يدل على الانحراف عن الدين الإسلامي الصحيح الذي جاء به الرسول ﷺ وعدم الالتزام الأخلاقي بالعهود والمواثيق، ونجد أهل الكوفة قد غدروا بالإمام الحسين عليه السلام على الرغم من مكاتبتهم له إلا أنهم وبعد أن جاءهم خالفوا موثقتهم وغدروا به.

ان هذا الأمر ليس غريباً على أهل الكوفة فقد غدروا بالإمام علي عليه السلام، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى تخلفهم بهذه الأخلاقية المنحرفة عندما خاطبهم عليه السلام قائلاً:

(يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا اخوان ثقة عند البلاء!.. والله لكأني بكم فيما أخالكم: أن لو حمس الوغى، وحمي الضراب، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها)^(١).

بين الإمام عليه السلام هنا مدى خذلان أهل الكوفة وحبهم للإنفراج عنه عليه السلام إذا أشار إلى انه بلي من جانبهم بخمس خصال سيئة وإنما فصلها لأن ثلاثاً منهم صفات مثبتة وخصلتين منها منتفيتان، وإنهم لا أحرار صدق أي ليس أحدهم حراً صادقاً، وإنما حريتهم مكذوبة فعملهم عمل العبد عند الحرب، والعبد يفر لأنه لا يهيمه من كان سيده، سيده الأول أو خصمه، أما الحر فإنه يعلم انه إذا غلب يكون عبداً لخصمه، ولذا يصمد أمام الأعداء، ثم شبه عليه السلام انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها وذلك بحال الولادة عندما يأخذها المخاض ووجع الولادة، أو وقت الطعان وملاقة السلاح، وهذا الكلام منه على طريق العرب فإنهم يوردون هذه الكلمة للتفريع فأوردها عليه السلام على سبيل اللوم والتفريع لهم

(١) نهج البلاغة، ص ٢٠٣.

لكونه منضجراً منهم^(١).

فإلى أي مدى وصل خذلان أهل الكوفة حتى انه عليه السلام شبههم بهذا الأمر؟! لذلك فإن هذه الصورة التي أشار إليها الإمام عليه السلام عن غدر أهل الكوفة وخذلانهم قد برزت في موقفهم من القيام، وأشار الإمام الحسين عليه السلام إلى خذلانهم له وإن ذلك من خصالهم عندما خاطبهم عليه السلام قائلاً:

(... وأنتم ابن حرب^(٢) وأشياعه تعتمدون، وإيانا تحاذلون، أجل والله الخذل فيكم معروف وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب وأكله للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها)^(٣).

إن كلام الإمام الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة قد شخص أموراً منها:

إن هؤلاء لم يكونوا شيعة لأبيه، ولا له، بل هم من أتباع بني أمية... وبذلك يتضح أن الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام هم شيعة آل أبي سفيان لا شيعة الإمام علي عليه السلام^(٤).

(١) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٤٣٢/١؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٢؛ الخوئي،

منهاج البراعة، ١٢٢/٧؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١١٤/٢.

(٢) ابن حرب: حرب هو جد الأمويين، لأن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٤١٦/٣.

(٣) المجلسي، البحار، ٨/٤٥. ينظر: البحراني، تحف العقول، ص ٢٤١؛ ابن حمدون، التذكرة،

٢١٢/٥؛ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣١٩؛ تاريخ دمشق، ٢١٩/١٤؛ ابن

العتيم، بغية الطلب، ٢٥٨٩/٦.

(٤) ينظر: العاملي، مختصر مفيد، ١٢١/٨ و ١٢٧/١٣.

أشار الإمام عليه السلام إلى أن هؤلاء - أهل الكوفة - يتبعون ابن حرب جد معاوية وقد بينا أخلاقية معاوية في الغدر مثلما ذكرها الإمام علي عليه السلام في النهج فكيف تكون أخلاقيات أتباع ابنه؟ فإن من المؤكد أن تكون صفة الغدر ونقض العهود من أهم أخلاقياتهم.

ذكر الإمام الحسين عليه السلام في خطابه مع القوم (وإيانا نخاذلون) أي انكم تخذلون وتغدرون بأهل البيت عليهم السلام بالخصوص، وهذا يتلاءم مع كلام الإمام علي عليه السلام عندما قال لأهل الكوفة: (لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب) أي انهم مثلما خذلوا الإمام عليه السلام وغدروا به أيضاً قد خانوا وخذلوا الإمام الحسين عليه السلام بعدما كاتبوه وقد أشار إلى ذلك الإمام في كلامه معهم عندما قال: (ألم تكتبوا الي أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجنب وإنما تقدم على جندك مجنّدة) فأجابوه لم نفعل، فقال الإمام عليه السلام: (سبحان الله) (بلى والله لقد فعلتم) (١)، فلم يستحوا أن يكذبوا على الإمام، أليس هذا الانفراج بعينه الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام إذ انهم كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام وحينما جاءهم خانوه وخذلوه.

أوضح الإمام عليه السلام بكلامه معهم بأن الخذل فيهم معروف، وشجت عليه عروقهم وتوارثته أصولهم، وهذا امتداد لكلام الإمام علي عليه السلام عن غدر أهل الكوفة وتخلقهم به، كأن الإمام الحسين عليه السلام يقول ان الغدر فيكم وراثته لا تستطيعون التخلص منه، وقد أشارت السيدة زينب عليها السلام إلى غدر أهل الكوفة عندما خاطبتهم في الكوفة قائلة:

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٢٣؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/ ٤٥٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٦٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٤؛ الدمشقي، جواهر المطالب، ٢/ ٢٨٦.

١٣٦ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

(يا أهل الكوفة يا أهل الختل^(١) والغدر)^(٢)، وهذا استمرارية لذكر هذه الصفة عند أهل الكوفة مثلما ذكرها الإمام علي عليه السلام وبينها الإمام الحسين عليه السلام وأكدتها السيدة زينب عليها السلام.

ان مضمون كلام الإمام عليه السلام يبين صفة العبودية وعدم الحرية في عمل أهل الكوفة التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام عندما وصف أفعالهم من عمل العبيد لا الأحرار عند الحرب، لأن أهل الكوفة، ومثلما أشار الإمام الحسين عليه السلام، اعتمدوا ابن حرب وخذلوا أهل البيت عليهم السلام بعد أن كانوا معهم وهذا مصداق وتحقق لقول الإمام علي عليه السلام حينما قال بأنهم (لا أحرار صدق عند اللقاء)، أي ليس أحدهم حراً صادقاً وإنما حريتهم مكذوبة لأن عملهم عمل العبيد عند الحرب.

إن الصورة التي بينها الإمام علي عليه السلام في النهج عن غدر أهل الكوفة وخذلانهم انطبقت بكل معانيها وصورها على أنصار يزيد الذين غدروا وخذلوا الإمام الحسين عليه السلام، فكان الحال نتيجة ذلك ان استشهد الإمام عليه السلام وأهل بيته وسبي من بقي منهم، ولكن كان مصير الغدرة إلى جهنم يوم القيامة ولهم ألوية يعرفون بها كما أشار إلى ذلك الإمام علي عليه السلام حينما قال:

(كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)^(٣).

(١) الختل: الخدع أو تخادع عن غفلة. ينظر: الفراهيدي، العين، ٤/٢٣٨؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/٢٤٥.

(٢) باختلاف الألفاظ ابن أعمش، الفتوح، ٥/١٢١؛ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٢٤؛ الطوسي، الأمالي، ص ٩٢، الطبرسي، الاحتجاج، ٢/٢٩؛ ابن حمدون، التذكرة، ٦/٢٦٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/٢٦١؛ ابن نهار، مشير الأحرار، ص ٦٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٨٠.

الفصل الثاني المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل..... ١٣٧

فهم ليسوا غدرة فقط وإنما فجرة ومن ثمَّ فهم كفرة ولهم لواء كفر يعرفون به يوم القيامة، وأكبر تلك الألوية هو لواء المؤسس الحقيقي لهذه الأخلاقية السيئة معاوية بن أبي سفيان كبير الغدرة وقائدهم إلى جهنم ومن ثم أتباع ابنه يزيد وأنصاره أنصار جبهة الباطل جميعاً.

الفصل الثالث

المرحلة في القيام

المبحث الأول

تجذير ثقافة الثورة

إن أية ثورة لا تأتي من فراغ وإنما عن طريق كثير من المقدمات والمهدات لها من أجل إنجاحها، فلا بد أن يكون هناك تجذير وثقافة لهذه الثورة حتى يكتب لها النجاح على المستوى المادي والمعنوي، ومن أجل الحصول على قاعدة جماهيرية اجتماعية مهمة تساند تلك الثورة سواء قبل أو في أثناء أو بعد قيامها، فذلك يؤدي إلى نشر ثقافة الثورة بين مختلف طبقات المجتمع ومن ثم الحصول على أنصار عقيدة وإيمان.

ان سبب الثورات عادة هو انتشار الظلم والجور وانعدام العدالة داخل المجتمع، نتيجة توالي الحكام الظلمة لأمر الناس إلا أنه وعلى العكس من ذلك نجد ان الخليفة والمتولي لأمر المسلمين الوحيد الذي ظلم من رعيته هو الإمام علي عليه السلام، وقد أشار إلى ذلك بقوله عليه السلام:

(لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيته) (١)،

(١) نهج البلاغة، ص ٢٠١.

لذلك فإنه عليه السلام وجه شكواه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من ظلم الأمة فقال:

(ملكنتي عيني وأنا جالس فسمح لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمتك من الأود^(١) واللدد^(٢)) فقال ((أدعُ عليهم)) فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني^(٣).

أشار الإمام عليه السلام في شكواه للرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما لاقاه من الإعوجاج والخصام من أمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان في غاية الكرب من تقصيرهم في إجابة نداءه ودعوته إلى الجهاد، لذلك دعا الله أن يبدله بهم خيراً ويبدلهم شراً لهم منه، وأنه عليه السلام ليس فيه شر قال تعالى:

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾^(٤)، لا يدل على ان في النار خيراً، وإنما كان كلامه عليه السلام على مذاق اعتقاداتهم فإنهم رأوا حثه إياهم على الجهاد شراً لهم، ومنعهم الفحشاء والمنكر شراً وحسبهم على طاعة الله ودعوتهم إلى منع الشهوات عند كل حرام منه شر، فأورد الكلام على ما عندهم من المعتقد الفاسد^(٥). استجاب الله تعالى دعاءه وأبدله خيراً له من هذه الأمة وهي

(١) الأود: العوج. ينظر: الفراهيدي، العين، ٨/٩٦؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١/٧٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/٧٥.

(٢) اللدد: السوء الخلق، الشديد الخصومة. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢/٥٣٥؛ ابن فارس، معجم مقاييس، اللغة، ٥/٢٠٣؛ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص ٥٢؛ الأسترابادي، شرح شافية ابن حاجب، ٢/٣٣٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٢٠.

(٤) الفرقان/ ١٥.

(٥) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/٣٠٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/١١٢؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/١٩٢.

جنان الخلد، وأبدل هذه الأمة بدله بحكام ظلمة أمثال بني أمية الذين عاثوا في الأرض فساداً وعانت الأمة في زمانهم الظلم والجور وسفك الدماء، وكان هذا من أيدي الأمة التي لم ترض بنعمة الله عليها وهو الإمام علي عليه السلام في تولي أمورها فكان هذا مصيرها.

هذه الشكوى وسببها تكررت مع الإمام الحسين عليه السلام وشكواها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً من ظلم الحكام الأمويين وتخاذل الرعية، إذ إنهم على الرغم مما يرونه من ظلم لكنهم لم يحركوا ساكناً، لذلك التجأ الإمام عليه السلام إلى قبر جده صلى الله عليه وآله وهو يشكو إليه بعد أن رآه في المنام إذ قال عليه السلام مخاطباً جده صلى الله عليه وآله:

(يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً فخذني إليك، واجعلني معك إلى منزلك) ^(١).

وهنا بين الإمام عليه السلام ما يعانيه من ظلم وخذلان الناصر لدرجة انه لا يجب الرجوع إلى الدنيا، فأشار عليه السلام إلى هذا الظلم وهو يدعو عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله حينما قال عليه السلام:

(اللهم ان هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والاکرام بحق هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى) ^(٢).

وهنا تشابه الموقف من حيث الشكوى للرسول صلى الله عليه وآله مع موقف الإمام علي عليه السلام في عدة اتجاهات ومنها:

(١) ابن أعثم، الفتوح، ١٩/٥. ينظر: البحراني، مدينة المعاجز، ٣/٤٨٤.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ١٩/٥. ينظر: البحراني، مدينة المعاجز، ٣/٤٨٣؛ المجلسي، البحار،

٣٢٨/٤٤؛ البحراني، العوالم، ص ١٧٧.

التجاء الإمام علي عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وآله في شكواه من ظلم الرعية وخذلانهم في نصرته واشتداد الصعاب عليه، وهذا ما كان في موقف الإمام الحسين عليه السلام إذ انه وبعد أن رأى الظلم والجور الأموي وخذلان الناصر التجأ إلى الرسول صلى الله عليه وآله في شكواه وهو المعلم الأول لهم عليه السلام.

ان هذا الموقف والشكوى إلى الرسول صلى الله عليه وآله تُنبئ عن ابتعاد الأمة عن سنته عليه السلام في كلا الموقفين، واشتداد هذا الأمر وصعوبته على أهل البيت عليه السلام لما رأوا ذلك الابتعاد عن هذه السنة الشريفة والدين الحنيف.

إن هذا الموقف يوحي بمدى خذلان الناصر الحقيقي في كلتا الحالتين - الإمام علي والإمام الحسين عليه السلام - من أجل الوقوف بوجه الظلم والانحراف الذي حدث في الأمة الاسلامية عن الدين والسنة الشريفة.

كان فيه تجذير لثقافة الثورة ورفض الظلم مهما كان الظرف واشتداده والصعوبة المترتبة عليه، إذ نجد الإمام علياً عليه السلام نتيجة قلة الناصر التجأ للدعاء لله تعالى أن يبدله بخير من هذه الأمة المتهاونة الضعيفة التي لا تقف بوجه الظلم وتظلم من يأمرها بالعدالة وطاعة الله بكل ما يريد، وكان هذا في موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي طلب من الرسول صلى الله عليه وآله أن يضمه إليه ولا يرجع إلى هذه الأمة وديناها لما فيها من ظلم وخذلان، فالنفس تأبى ذلك وهذا يعبر عن عدم الخضوع والركون إلى الظلم والجور والاستسلام له في كلا الموقفين.

ان الإمام الحسين عليه السلام وبعد أن طلب منه الرسول صلى الله عليه وآله الرجوع إلى هذه الدنيا^(١)، اختار القيام ضد الظلم لذلك بدأ منذ وقت مبكر التجذير والتثقيف لهذا القيام والثورة والذي أخذ عدة أطوار ومراحل، والقيام لم يكن محل صدقة

(١) ينظر: البحراني، مدينة المعاجز، ٣/٤٨٣؛ المجلسي، البحار، ٤٤/٣٢٨.

وإنما نتيجة مبهدات كثيرة أدت بالنهاية إليه، وذلك بعد أن رأى الإمام عليه السلام إن إصلاح الأمة لا يتم إلا عن هذا الطريق.

أشار عليه السلام إلى تغير حال الدنيا وهو يخطب أمام أصحابه من أجل زرع ثقافة الثورة في نفوسهم، فقال عليه السلام:

(قد نزل ما ترون من الأمر وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل^(١))(٢).

أوضح عليه السلام في خطبته ان الدنيا تغيرت عما هو المرجو من جريانها، وأنكرت وأدبر معروفها، بحيث صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ولا بد من إصلاح ما فسد وتقويم ما أعوج، وإن أدى ذلك إلى الشهادة، وهو ما عبر عنه عليه السلام بقوله: ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً^(٣)، وهذا الوصف للدنيا وتغير حالها تجلّ مباشرة لكلام الإمام علي عليه السلام عنها، إذ قال عليه السلام:

(ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء [جذا]؛ فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء اصطبها صابها)^(٤).

(١) المرعى الوبيل: وهو الوخيم من المراعي الذي لا يستمرى. ينظر: الفراهيدي، العين، ٨/٣٣٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١/٧٢٠.

(٢) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/١٥٠. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٠٥؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٥/١٥٧؛ ابن عساکر؛ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣١٤؛ تاريخ دمشق، ١٤/٢١٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/١٢؛ سير أعلام النبلاء، ٣/٣١٠.

(٣) ينظر: الحسين، ليلة عاشوراء، ص ١٠٦.

(٤) نهج البلاغة، ص ٩٥.

١٤٦ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

أشار الإمام عليه السلام هنا إلى ان الدنيا سريعة وأنها لم يبق منها إلا صباغة أي بقية الماء أو اللبن في الإناء وهي استعارة وتشبيه لحالها بما تبقى في الإناء من بقية نذرة جداً، بمعنى انه لم يبق من الأخيار والأولياء في الدنيا إلا نفر قليل^(١).

من هذا المنطلق استعمل الإمام الحسين عليه السلام كلام الإمام علي عليه السلام وهو يخاطب أصحابه من أجل تأصيل ثقافة الثورة في نفوسهم، فهذا الخطاب لأصحابه لا ليستدر عواطفهم، وإنما ليقول لهم ان مثل هذه الدنيا المتغير حالها التي لم يبق من أختارها سوى نفر قليل لا تستحق العيش من أجلها، بعدما أصبحت بيد الظالمين وهو بذلك يزيد تزهيدهم بها من أجل تحفيزهم على الثورة، للوصول إلى ما هو خير منها.

إن هذا التواءم في الوصف لحال الدنيا وتغيرها بين الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام فيه:

تزهيد بالدنيا لكي ينبذها الناس من أجل تحريرهم من التبعية لها فيثوروا ضد الظلم والجور.

توصيف هذا المغربي -الدنيا- للرعية ووصفاً حقيقياً بتغير حاله وعدم دوامه لأحد مهما طال العمر به، وبذلك زرع ثقافة التضحية فيهم من أجل الآخرة ومرضاة الله تعالى.

ان البدء بالدنيا وتوصيفها بهذا التوصيف السلبي هو تجذير وتثقيف للثورة بحد ذاته، وذلك لأن أحد أهم معوقات التضحية ضد الظلم والجور هو الدنيا

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/١٠٨؛ محمد عبده، نهج البلاغة، ١/٩٣؛ البدري، نزهة النظر، ص ٤٦٧؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ٢٣٨؛ الخرساني، مفتاح السعادة،

ومغرياتها وحب الحياة فيها، فعندما يكون هذا الوصف لها فإنها لا تستحق العيش وبذلك يكون التأسيس للثورة ضد الظلم والجور.

إن الإمام الحسين عليه السلام أخذ يؤصّل حياة العز بعيدة عن الذل والهوان وعدم العيش في دنيا فيها ذلك، أو السكوت عن الحق لأن هذا يمثل الذل بعينه وهو نظير الموت ونجد هذا المعنى في خطاب الإمام علي عليه السلام وهو يذم العاصين من أصحابه حينما قال لهم:

(ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟ الموت أو الذل لكم؟) ^(١).

بيّن الإمام عليه السلام هنا لأصحابه بأنه لا شيء يليق بكم إلا واحداً من اثنين الذل أو الهوان، ما دمتم على هذا الحال فكأنه عليه السلام شرع داعياً عليهم بالفناء الكلي ^(٢).

الإمام عليه السلام ينظر إلى حياة الذل والموت في المستوى نفسه وإن كان يفضل الموت على مثل تلك الحياة -الذل-، ونجد هذا الأمر متلائماً مع موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي وقف ضد الحكم الأموي منذ بدء قيامه وعدم التسليم وإطاعة الظالم فيما يريد، فكان هذا الموقف الرفض لأشكال الحكم الأموي كلها.

على هذا الأساس كان كلام الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف عندما خاطب عسكر جبهة الباطل قائلاً:

(ألا وان الدعي ^(٣) ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة ^(٤) والذلة،

(١) نهج البلاغة، ص ٣٨٤.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/٦٩؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/١٦.

(٣) الدعي: المدعي، المتهم في نسبه، وهو الدعي أو المنسوب، إلى غير أبيه. ينظر: الفراهيدي، العين، ٢/٢٢١؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٤/٢٦١.

(٤) السلة: استلال السيوف. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٥/١٧٣٠؛ ابن سيده، المخصص، ٢/٢٧.

وهيئات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، ونفوس أبية، وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام^(١).

ان عدم الخشوع والخضوع لحياة الذل التي حذر منها الإمام الحسين عليه السلام يعد في حد ذاته تأسيساً لثقافة القيام والتحرر من حياة كهذه، فكان هذا الموقف امتداداً لما كان عليه كلام الإمام علي عليه السلام مع أصحابه بضرورة رفض الذل والهوان فضلاً عن وجود كثير من المبررات التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى رفض التسليم والهوان، ومنها:

ان الدعي ابن الدعي يزيد بن معاوية وضع النسب يحاول أن يذل أهل البيت عليهم السلام المتمثلين بشخص الإمام الحسين عليه السلام، فإن الإمام عليه السلام تأبى نفسه أن يركن لوضيع كهذا أو أن يسلم له.

بين الإمام عليه السلام وبشكل قطعي استحالة الذلة لأحد من أهل البيت عليهم السلام حتى وإن كانت هناك هزيمة على المستوى العسكري والمادي فإن العز والإباء هو الانتصار في هذا القيام إلى يوم القيامة لأنه عليه السلام رأى موته في عز حياة، وحياته في ذل ممات وبذلك جاء الرفض للخضوع والمهادنة ليزيد.

أشار عليه السلام إلى أن أهل البيت عليهم السلام يأبى الله تعالى لهم الذلة والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، وهذا تحفيز للمؤمنين من أجل نصرته أهل البيت عليهم السلام في قيامهم ضد الظلم، أو انه عليه السلام نظر إلى ما وراء واقعة الطف إلى ان الله تعالى سوف يخلق مؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام يجعلون شعار الحسين عليه السلام في رفض الذل والهوان مصدر الهام لهم في جميع ثوراتهم ضد الظلمة والطغاة وحتى غير أتباع أهل البيت عليهم السلام

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٩. ينظر: الطبرسي، الإحتجاج، ٢/ ٢٤؛ ابن عساکر، ترجمة الإمام

لأن الحسين عليه السلام أساس متين للتحرك والثورة ضد الظلمة.

إن طهارة نسب أهل البيت عليهم السلام في قوله عليه السلام: (حجور طابت وطهرت) يدعوهم إلى عدم طاعة اللئام المشكوك في نسبهم وهم الأمويون وأمثالهم. كان الرفض القطعي من الإمام الحسين عليه السلام في إطاعة يزيد وأنصاره، وفضل الموت على العيش في حياة الذل لما تأباه نفسه، لهذا فإن هذا الموقف ينطبق عليه ما قاله أحد الشعراء ^(١):

وموت الفتى في العز مثل حياته وعيشته في الذل مثل مماته ^(٢)

إن الإمام الحسين عليه السلام خير من جسّد موت العز على حياة الذل، وإن موقفه هذا متشابه لموقف أبيه الإمام علي عليه السلام عندما خطب بالناس يستنفرهم إلى أهل الشام، فكان من ضمن كلامه عليه السلام:

(والله إن أمراً يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره. أنت فكن ذاك إن شئت، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية ^(٣) تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء) ^(٤).

أشار هنا عليه السلام إلى الإنسان العاجز الذي يمكن العدو من نفسه ولا يأخذ له

(١) أبو الحسن علي بن محمد التهامي، ينظر: الباخري، دمية القصر، ١/ ١٣٥.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ٥/ ٥٣.

(٣) المشرفية: سيوف تنسب إلى مشارف الشام وهي قراها، وقيل قرى من أرض اليمن، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف، والسيوف المشرفية منسوبة إليها، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ١٠٨/٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ١٧٤؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٣/ ١٥٨.

(٤) نهج البلاغة، ص ٨٦.

عدته، بل يسهل في الأمر حتى يسيطر العدو عليه بسبب تركه الحزم وعدم إتيانه اللازم للحرب حتى يأكل العدو لحمه ويهشم عظمه ويقطع جلده، وهذه كناية عن شدة تسلط العدو حتى انه يفعل ما يشاء إذ يدل ذلك على أنه عاجز كمال العجز، وإلا لم يسمح للعدو أن يفعل به ذلك، ثم قال عليه السلام:

(أنت) فكن ذلك، الخطاب فيه أنت لمطلق الشخص الذي يضعف أمام عدوه ويستسلم له، والمعنى أنت وما تختار لنفسك أيها الجبان من الإذلال والهوان، فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك أي أمكن العدو من نفسي حتى أعطيه ما يريد ضرباً بالمشرفية، تطير منه الرأس والعظام الرقيقة المفروشة عليه وتسقط السواعد والأقدام^(١).

إنَّ عدم خنوع الإمام علي عليه السلام وخضوعه للظالم كان قد امتد إلى موقف الإمام الحسين عليه السلام في عدم الخضوع والإذلال للظالم وأنصاره وفي ذلك:

رفض حياة الذل وعدم رهبة الظالم مهما كان الموقف، لأن الخضوع للظالم أو العدو يكون له كثير من الآثار والإذلال للشخص المتهاون أو المستسلم، وهذا ما رفضه الإمام علي عليه السلام وتابعه على ذلك الإمام الحسين عليه السلام وذلك بعدم الخضوع والخنوع للظلمة وأنصارهم.

بيان ان الشخص المتخاذل والخناع يصبح من السهولة السيطرة عليه من العدو أو الظالم وانه يفعل به ما يشاء وكيف يجب، على العكس تماماً من الشخص الذي يقف موقفاً صلباً ضده، وهذا ما جسده الإمام علي عليه السلام، وامتد في موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي تجسد أمامه ما ذكره الإمام علي عليه السلام عن حال الشخص

(١) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٤٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٢٩؛ الحسيني

المتخاذل فضلاً عن قراءته للموقف وما تؤول اليه الأمور إن أعلن خضوعه للظالم، لهذا وقف موقفاً صلباً ضده وعدّ هذا الموقف مصدر إلهام لأنصاره وأصحابه من أجل نصرته وهذا ما يعد أحد أساسيات القيام وانطلاقته.

تجسيد دور القائد الذي يرفض الذل والخضوع في كلا الموقفين وبذلك يكون مصدر قوة وصلابة لأنصاره، وهذا في حد ذاته ثورة أو أساس انطلاقتها لأن واحداً من نتائجه رفع الروح المعنوية للأنصار والأتباع.

رفض الإمام الحسين عليه السلام العيش في الذل والهوان مع الظالمين فقال:

(لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً^(١))^(٢)، وهذا القول

هو صورة لقول الإمام علي عليه السلام لأصحابه عندما قال:

(فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين)^(٣).

هذا من لطائف كلام الإمام علي عليه السلام ومحاسنه وهو جذب إلى القتال بأبلغ ما يكون من البلاغة فجذبهم إليه بتصويره لهم أن الإنسان المقهور ميت، وإن كان في الظاهر حياً، وإن ما يطلق عليه الميت، لأنه لا يظهر منه آثار الحياة التي هي الوقار والشهامة والشجاعة، وإن الغاية التي عساهم يفرون من القتال خوفاً منها وهي الموت موجودة في الغاية التي ربما يطلبونها من ترك القتال وهي الحياة

(١) برماً: ضجراً وسماً. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٥/١٨٦٩؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،

٢٣١/١.

(٢) (الخلواني، نزهة الناظر، ص ٨٨. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٠٥؛ القاضي

النعمان، شرح الأخبار، ٣/١٥٠؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ١٤/٢١٨؛ الذهبي، سير أعلام

النبلاء، ٣/٣١٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/١٩٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٠٣.

البدنية حال كونهم مقهورين، فإن المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللب موتات متعاقبة، وأراد الإمام عليه السلام أيضاً القول لهم ان الغاية التي تفرون إليها بترك القتال وهي الحياة موجودة في الغاية التي تفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين^(١).

هذا ما تكرر في موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي أراد منه بثَّ روح الثورة في نفوس أصحابه وأنصاره ومن أجل زرع الثقة في نفوسهم لما سوف يصبح عليه مصيرهم، وبما انه قائدهم لذلك كان قوله عليه السلام للظالمين:

(لا والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد)^(٢)، فأسس الإمام الحسين عليه السلام مدرسته الكبرى لمن يريد الدفاع عن كرامة الإنسان ويجب الاستشهاد في سبيل الله، مدرسة لا تدرس تعاليمها وإرشاداتها ولا تمحى آثارها^(٣)، وذلك فيما أبداه من صلابة وشموخ في وجه الظلمة ورفضه القطعي لكل تسليم أو مهادنة للعدو مهما كان موقف أصحابه الذين كانوا معه، فنفسه تأبى الذل والمهادنة، ورأى عليه السلام ان من العار أن يكون هناك تسليم إلى أنصار جبهة الباطل وجسد ذلك في قوله عليه السلام: (موت في عز خير من حياة في ذل) وأنشأ عليه السلام في يوم شهادته يقول:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

والله ما هذا وهذا جاري^(٤)

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٣٦/٢؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/٢٢٤.

(٢) المفيد، الإرشاد، ٩٨/٢. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٨٨؛ الطبرسي، أعلام الوري،

١/٤٥٩؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/٢٢٤؛ الشامي، الدر النظيم، ص ٥٥٣.

(٣) ينظر: الصافي، لمحات، ص ٢٧٧.

(٤) الزرندي، معارج الوصول، ص ٩٦. ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٥١٨؛ الحلواني، نزهة

القيام هنا من أجل دين الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا الأمر لا يخرج عما قاله الإمام علي عليه السلام (المنية ولا الدنية)^(١)، أي ينبغي تحمل الموت والمنية قبل أن تنتهي الحالة إلى الدنية وأن تتحمل الموت ولا تتحمل ما يعيبك^(٢).

من هذا المنطلق فإن الإمام الحسين عليه السلام تناغم موقفه مع كلام الإمام علي عليه السلام حول تحمل حتى الموت من أجل العز والإباء وإن هذا الموقف معروف عند الحسين عليه السلام وأنه لا تسليم ولا مهادنة، وبما أنه من أهل بيت يأبى الله لهم الذلة كان الأعداء يعرفون بذلك، وأراد عليه السلام من موقفه وكلامه تحرير الخوف والخنوع من نفوس الناس، وتأسيس قاعدة انطلاق للقيام بوجه الظلم والجور.

إن الانطباق الفكري في الأقوال والمواقف كان واضحاً بين الإمام علي عليه السلام وامتداده للإمام الحسين عليه السلام في جميع مراحل التأسيس والثقيف التي عملها الإمام الحسين عليه السلام للقيام ضد الظلمة ورفضه حياة الذل والخضوع لهم وذلك بما استلهمه من مواقف الإمام علي عليه السلام في هذا المجال، ولما كانت عليه نفسه من العز والإباء فهو من المدرسة المحمدية نفسها.

الناظر، ص ٨٨؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٤٢؛

(١) نهج البلاغة، ص ٨٢١.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة، ٣/ ٤٢٠؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢٥/ ٤٥.

المبحث الثاني

القاء الحجة بمراسلة الناس

من الطبيعي أن تحكم المرحلة أسلوب وطريقة تعامل الإمام المفترض الطاعة مع الناس، فلا يمكن أن يكون الحكم ارتجالياً أو مفاجئاً ما لم تسبقه مراحل تؤدي إليه، لذلك فإن الإمام الحسين عليه السلام تعامل مع الناس على وفق هذا الأساس قبل القيام، فقد قام بمراسلتهم وإعلامهم بقيامه من أجل أن لا يبقى هناك عذر ما، وانه عليه السلام، وحسب طبيعة الظرف واستقرائه للواقع، يعلم بأن كثيراً من الناس الذين راسلهم لا يلبون دعوته لكنه فعل ذلك من باب إلقاء الحجة وإيصال الرسالة إليهم، وليعلمهم بمشروعية قيامه، وأوضح إليهم أحقية أهل البيت عليهم السلام بالخلافة^(١)، وهذه مقدمة للدعوة، فأساس الوصية في أحقية أهل البيت عليهم السلام في الخلافة مثلما قال الإمام علي عليه السلام:

(لا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة)^(٢).

(١) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٢٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٢.

هذا بيان لمنزلتهم عليهم السلام ولإسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم وعدم مناسبتهم لهم في الفضل، فهم طهرهم الله من الذنوب بنص آية التطهير في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١)،
وإنهم لا يقاس بهم أحد من هذه الأمة وغيرها بالأولوية لأن هذه الأمة:

﴿ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢)، ولا يساوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا كيف وآل محمد عليهم السلام أساس الدين وأصله وعماد اليقين، وإليهم يرجع كل من غلا وتجاوز عن الحد، ولهم خصائص حق الولاية، وفيه إشارة إلى أن ولاية أمور المسلمين وخلافة الرسول عليه السلام لها خصائص موجودة فيهم، وبها يتأهل الشخص لها ويستحقها، وفيهم الوصية من الله والوراثة من النبي عليه السلام^(٣).

أوضح الإمام علي عليه السلام أحقية أهل البيت في الخلافة والوصية ووراثة الرسول عليه السلام، وهذا عين ما ظهر في مراسلة الإمام الحسين عليه السلام لأهل البصرة إذ أشار عليه السلام إلى الحق نفسه، وتلك الحجة بالغة عليهم لأنه عليه السلام الخليفة الشرعي وليس يزيد بن معاوية، من أجل أن لا يبقى عذر أمام أحد من الناس لكي يقول بأن الحسين عليه السلام خرج على إمام زمانه أو خليفته الشرعي.

مما جاء في كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة:

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) آل عمران / ١١٠.

(٣) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ١١٦؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٤٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٨١؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٢/ ١٠٣؛ الميلاني، أهل البيت عليهم السلام في نهج

(أما بعد: ان الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه... وبلغ ما أرسل به ﷺ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم إنا أحق بذلك الحق المستحق علينا مما تولاه!... وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ) (١).

ان هذا الكتاب يوضح لنا أموراً يمكن إدراجها بما يلي:

ألقى الضوء على الخلافة الإسلامية، فهي - حسب تصريح الإمام ﷺ - حق لأهل البيت ﷺ لأنهم ألصق الناس برسول الله ﷺ وأكثرهم وعياً لأهدافه إلا ان القوم استأثروا بها (٢)، أراد الإمام الحسين ﷺ أن تكون الحججة بالغة على الناس في ضرورة نصرته بوصفه الخليفة الشرعي - وعلى الرغم من انه لم يكن طالب سلطة - إلا انه حتى وإن طالب بذلك فهو حق شرعي من حقوق أهل البيت ﷺ وبذلك يضع الناس أمام مسؤولياتهم الدينية والشرعية في وجوب نصرته ﷺ.

بين الإمام ﷺ بأنه على الرغم من سلب حق أهل البيت ﷺ في الخلافة ووراثته الرسول ﷺ الشرعية، إلا أنهم رضوا بذلك من أجل المحافظة على الإسلام والرسالة المحمدية، ولم يقوموا بأية حركة ضد من انقلبوا على الأعقاب، وهذه حجة أخرى حتى يبين ﷺ أسباب خروجه بعد أن أصبح الانحراف على أشده، وبهذا قطع الطريق أمام من يشكك بثورته ﷺ.

خصص الإمام ﷺ في كتابه لأهل البصرة دعوتهم إلى كتاب الله وسنة نبيه،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص ٢٥. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٧٠.

(٢) ينظر: القرشي، حياة الإمام الحسين ﷺ، ٢/٣٢٢.

أي انه أراد من ذلك القول ان الذي يرى بأن القيام هو المنافسة على السلطة أو المنصب فليعرضه على كتاب الله وسنة نبيه، أي يطبق أهداف القيام ومبادئه على كتاب الله وسنة نبيه فإن كانت مطابقة لها وجب عليه تلبية دعوة إمامه ونصرته، وإن لم تطابق فإنه لا تجب عليه تلبية الدعوة، وبذلك وضعهم الإمام عليه السلام أمام مسؤولياتهم لنصرته.

ان منصب الخلافة له شروط وضوابط معينة، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى بعضها وهو يتكلم عن الجدير بالخلافة، إذ قال عليه السلام:

(أيها الناس، ان أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم [أعمالهم] بأمر الله فيه) (١).

بيّن الإمام عليه السلام هنا ان أحق الناس بالخلافة أقواهم عليه في إدارة الشؤون الاسلامية، والظاهر ان المراد بالقوة القدرة على الولاية المفوضة اليه بشؤونها المختلفة فتشمل كمال العقل والتدبير والشجاعة وحسن السياسة والإدارة، وأن يكون أسدى الناس رأياً وأحسنهم للأمر تدبيراً فيما لا يخالف الشرع فضلاً عن علمه بأصول الدين وفروعه ليضع الأعمال مواضعها وكذلك أن يكون أعلم الناس بأوامر الله ونواهيه في هذا الأمر وهو إدارة شؤون المسلمين (٢).

طرح هذا الفهم في كتاب الإمام الحسين عليه السلام الذي أرسله إلى أهل الكوفة مع مسلم بن عقيل والذي أراد منه إلقاء الحجة عليهم فجاء فيه:

(فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب الآخذ بالقسط والدائن بالحق

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٧.

(٢) ينظر: البحراني، مصباح السالكين، ص ٣٥٧؛ البحراني، منار الهدى، ص ١٢٥؛ الحسيني

الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥؛ المنتظري، نظام الحكم في الإسلام، ص ١١٣.

والحاجس نفسه على ذات الله) (١).

إن في كتاب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة بياناً لصورة الخليفة الشرعي الذي يتولى شؤون المسلمين، فالإمام هو تعبير عن رئاسة البشرية المنصبة من الله تعالى. والإمام الحسين عليه السلام بهذا الكتاب أصل محاور النظام الاجتماعي والسياسي للمسلمين وللبنية، حيث يقوم هذا النظام على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والعدل والقسط، وهو متمسك بهذه المبادئ في صراعه مع بني أمية (٢)، وكأنه عليه السلام يقول لأهل الكوفة طبقوا هذه الصفات التي ذكرتها لكم عن صورة الخليفة الشرعي للمسلمين على يزيد فهل تنطبق عليه؟، فمن المؤكد عدم وجود الانطباق وبذلك تكون الحجة في نصرته أكثر تأثيراً وأثراً على أهل الكوفة بوجود الخروج على يزيد.

إن الإمام عليه السلام استعمل المنطق والأسلوب نفسه في كتابه لأهل الكوفة - ونقصد الذي استعمله مع أهل البصرة - إذ أشار في كتابه لأهل البصرة بأحقية أهل البيت عليه السلام بالخلافة وهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله الشرعيون، وفي كتابه إلى أهل الكوفة أشار إلى أن الخليفة أو الإمام هو العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق، وبما إن أئمة أهل البيت عليه السلام هم الخلفاء الشرعيون وورثة النبي صلى الله عليه وآله، فمن المؤكد انطباق تلك الصفات عليهم والتي أرادها الإمام الحسين عليه السلام للخليفة، ومن هذا المنطلق يكون الخليفة الشرعي هو الذي يجب نصرته ضد الغاصب للخلافة الخارج عن الدين والسنة المحمدية.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٦٢. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٢١؛ ابن نهار،

مشير الأحرار، ص ١٦؛ ابن خلدون، التاريخ، ٣/٢٢.

(٢) ينظر: السند، الحداثة، ص ١٦١.

١٦٠.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وبتأمل أحد شروط الإمام عليه السلام للخليفة وهو العامل بالكتاب أي القرآن الكريم، نجد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم قرائن القرآن بموجب قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
(إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (١).

كانت مراسلة الإمام الحسين عليه السلام انعكاساً واضحاً لكلام الإمام علي عليه السلام سواء عن أحقية أهل البيت بالخلافة، أو عن الجدير بها، وقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام هذا المنطق حتى يظهر استحقاق أهل البيت عليهم السلام بالخلافة، ولكي لا يترك أي عذر أمام المتقولين بعدم الخروج على إمام الزمان -يزيد- لأنه فاقد لهذه الصفة وعدم انطباق أي من الشروط الشرعية الإسلامية عليه، التي من الممكن أن تجعله في هذا المركز.

(١) الكليني، الكافي، ٢/ ٤١٥؛ باختلاف الألفاظ. ينظر: ابن حنبل، مسند، ٣/ ١٤؛ الترمذي، سنن

الترمذي، ٥/ ٣٢٨؛ الصدوق، الأمالي، ص ٥٠٠.

المبحث الثالث

التضحية والدفاع المقدس

أ- خيار المواجهة:

إن الإسلام دين الإنسانية والرحمة وليس دين قتل وسفك الدماء، فإن رسالته الأولى هو نشر السلام والمودة بين الناس جميعاً وتجنب القتل والدمار، وهذا ما جاء به نبي الرحمة محمد ﷺ من أجل نشر العدل والمساواة بين جميع البشر بالسلم لا بالقتل ولهذا فمن أهم ألقابه ﷺ نبي الرحمة.

ان التعاليم الإسلامية تؤكد في حال الاضطرار لاستعمال القوة عندها يجب تقديم لغة السلم قبل لغة الحرب وتقديم النصح للقوم لعلمهم يرجعون إلى عقولهم وينتهون عما يريدون القيام به ومن هنا فإن الله تعالى خاطب نبيه ﷺ قائلاً:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(١)، أي إذا جنح القوم إلى الصلح ومالوا إلى السلم فافعل ذلك^(٢).

(١) الأنفال / ٦١.

(٢) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٤٣/٢؛ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ٣٤/٢؛

١٦٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

قدم الرسول ﷺ النصح في مشاهد كثيرة قبل القتال مثلما حدث في غزوة بدر، إذ انه ارسل عمر بن الخطاب إلى المشركين لما نزلوا بدرًا قائلاً لهم:
(ارجعوا فإنه يلي هذا الأمر مني غيركم أحب إلى من تلوه مني وأليه من غيركم أحب الي من أن أليه منكم)^(١).

هنا طلب الرسول ﷺ من المشركين الرجوع عن القتال لأنه لا يجذب ذلك، أي بدأ بالوسائل السلمية قبل خيار المواجهة معهم، وهذا الأمر تجسد في مواقف الإمام علي عليه السلام في الحروب التي خاضها ضد أعدائه والخارجين عليه، حتى أخذ يؤدب عسكره على ذلك، فنجد في إحدى وصاياه لعسكره يقول:
(ولا يحملنكم شأنهم [سبابهم] على قتالهم، قبل دعائهم والاعذار إليهم)^(٢).

إن هذه الوصية تندرج ضمن المنهج الإسلامي الذي جاء به الرسول ﷺ فالإمام علي عليه السلام يوصي عسكره بتقديم لغة النصح والسلم قبل المواجهة مع الأعداء وذلك بقوله عليه السلام لا يحملنكم بغضكم لهم على أن تبدؤوهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلى الطاعة وتقديم ما تعذرون به في قتالهم لأن الاسلام دين السلم لا دين الحرب والعدوان، ودين الاخوة والمساواة، فاللازم الاعذار والدعاء ثم القتال^(٣).

الكاشاني، زبدة التفاسير، ٥٨/٣.

(١) الواقدي، المغازي، ٦١/١. ينظر: المقرئ، امتاع الاسماع، ١١٠/١؛ الصالح، سبل الهدى والرشاد، ٣٣/٤؛ الحلبي، السيرة، ٣٩٩/٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٦١.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٥/١٥؛ محمد عبده، نهج البلاغة، ١٤/٣؛ مغنية، في

ويسجل لنا التاريخ العديد من خطب الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر وهي التي تقع في الإطار نفسه منها عندما خاطب أهل العراق:

(يا أهل العراق - وجلهم يسمعون- أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم علي، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا رأيكم...)^(١).
هذا الكلام ينطوي على عدة أمور منها:

طلب عليه السلام من القوم عدم العجلة في القتال وذلك تماشياً مع المنهج الإسلامي الذي فضل السلم على الحرب، ولأنه عليه السلام أراد استنفاد جميع الوسائل السلمية قبل أن يضطر إلى خيار المواجهة مع الأعداء.

أشار عليه السلام إلى أنه صاحب رسالة وأنه الإمام المفترض الطاعة وعليه تكليف إزاءهم ومن الواجب أن يؤديه وذلك عندما قال:

(حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ) أي من حقكم أن أعظكم قبل أن أبدأ القتال معكم ولكي لا يبقى هناك أي عذر إذا ما حصلت المواجهة معهم لأنه عليه السلام قد أوعظهم لكنهم لم يتعظوا.

أوضح الإمام عليه السلام بأنه صاحب عذر إذا ما قاتلهم وذلك بقوله (حتى أعذر إليكم) وهو متطابق مع وصية الإمام علي عليه السلام لعسكره في تقديم النصح للقوم والإعذار لهم قبل قتالهم وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام في سلك السبل السلمية معهم قبل خيار المواجهة لعلهم يرجعون إلى عقولهم.

ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣١٤؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥١.

(١) (المفيد، الإرشاد، ٢/ ٩٧. ينظر: الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٤٥٨؛ الشامي، الدر النظيم،

ص ٥٥٢؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/ ٣٤٩؛ المجلسي، البحار، ٦/ ٤٥.

إن الإمام الحسين عليه السلام صاحب رسالة يؤديها نجده لم يكتب بخطبة واحدة في يوم العاشر، فقد أراد أن تكون حجته أبلغ في نصح القوم، لذلك نجده يخاطبهم بلغة أخرى ومنطق آخر لعلهم يرجعون إلى رشدهم، عندما ذكرهم بنسبه وجده عليه السلام وأبيه عليه السلام، إذ قال عليه السلام:

(أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا، ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن نبيكم، وابن وصيّه وابن عمّه؟ وأول مؤمن مصدق لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمّي؟) (١).

هذا التركيز في الخطاب من الإمام عليه السلام وتعريف نفسه للقوم يندرج ضمن انتهاجه عليه السلام للسبل السلمية مع القوم قبل أن يضطر إلى خيار المواجهة العسكرية معهم، فإن فعل ذلك فإنه قد أعذر عليه لأنه استنفد كل السبل التي من الممكن أن تحم من هذه المواجهة لأنهم لم يتعظوا منه وهذا ما أراد عليه السلام في استمراريته في الخطب المتتالية يوم العاشر من محرم من أجل نصحتهم وعدم البدء في القتال معهم لأن الاسلام لا يجذب بدء القتال مع الأعداء وهذا ما وجدناه في منهج الامام علي عليه السلام في جميع حروبه التي فرضت عليه فإنه لم يبدأ حتى يبدأ الطرف الآخر بالقتال، ومن ذلك وصيته لعسكره قبل لقاء العدو بصفتين كانت ضمن هذا الاتجاه إذ قال عليه السلام:

(١) المجلسي، البحار، ٦/٤٥. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٢؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/٤٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/٣٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٦١؛ ابن نما، مشير الأحزان، ص ٣٧؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/٢٢٢؛ الدمشقي، جواهر المطالب، ٢/٢٨٥.

(لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم)^(١).

نهى ﷺ أصحابه عن السبق والإبتداء بالحرب فقد كان يوصي أصحابه في كل موطن يلقون به العدو بهذه الوصية، وهذا هو الإسلام لا عدوان إلا على من اعتدى، وأشار ﷺ إلى أن ذلك يكون حجة عليهم وبيان هذه الحجة من وجهين أحدهما: انهم إذا بدأوا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله ورسوله لقوله ﷺ:

(حربك يا علي حربي)^(٢)، والثاني البادئ بالحرب معتدٍ ابتداءً^(٣).

نتيجة لوحدة المنهج عند أئمة أهل البيت ﷺ، نجد التشابه مع هذا التوجه في قيام الإمام الحسين ﷺ في أكثر من موقف، إذ انه ﷺ لم يبدأ الطرف المقابل بالحرب قبل استنفاد كل السبل السلمية ومن ثم اللجوء إلى خيار المواجهة معه. أول تلك المواقف هو في الطريق إلى كربلاء وذلك بعد أن لقي جيش الحر ابن يزيد الرياحي^(٤)، إذ قال الحر: ان الأمير كتب إلي أن أحلك على غير ماء

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٢.

(٢) ينظر: المفيد، الاختصاص، ص ١٢٨؛ الشريف المرتضى، الانتصار، ص ٤٧٩؛ الطوسي، الخلاف، ٥ / ٣٣٥؛ ابن المغازي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ١٥٨؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ص ٢١٤.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥ / ١٠٤؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤ / ٣٨٣؛ المجلسي، مرآة العقول، ١٨ / ٣٧٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣ / ٤١٢.

(٤) الحر بن يزيد الرياحي: بن ناجية بن قعب بن عتاب الردف، قائد من أشرف تميم، اعترض طريق الإمام الحسين ﷺ في ألف فارس من أجل أن يمنعه في قصده إلى الكوفة فالتقى به وكان وقته في حر الظهيرة، فقال الحسين ﷺ اسقوا القوم وأروهم ورشفوا الخيل ترشيفاً ففعلوا، وقد

ولا بد من الانتهاء إلى أمره، فقال زهير بن القين للحسين (عليه السلام): بأبي وأمي يا ابن رسول الله والله لو لم يأتنا غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية، فكيف بمن سيأتينا من غيرهم؟ فهل بنا نناجز هؤلاء، فإن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم، فقال الإمام الحسين (عليه السلام):

(فإني أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا)^(١).

على الرغم من أن الفرصة مؤاتية للمواجهة وإن الوضع بالنسبة للإمام (عليه السلام) وأصحابه أفضل ومن الممكن الانتصار على هؤلاء لكن الإمام (عليه السلام) طبق تعاليم الإسلام في عدم بدئهم بالقتال لأنهم لم يكونوا قد بدأوا بذلك.

ليس هذا الموقف فقط وإنما هناك موقف آخر تجسد في منعه (عليه السلام) لمسلم بن عوسجة أن يرمي شمر بن ذي الجوشن بسهم، على الرغم من تجاوزه على الإمام (عليه السلام) وذلك عندما قال مسلم: دعني أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه، فقال (عليه السلام):

(لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال)^(٢).

ضيق على الحسين (عليه السلام) وغير طريقه إلى كربلاء، وكان ممن خرج لقتاله (عليه السلام) يوم العاشر إلا أنه تاب واستشهد بين يدي الإمام (عليه السلام) ونال شرف سلام الإمام المنتظر (عليه السلام) عليه في زيارة الناحية المقدسة. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٦٩؛ ابن حزم، جبهة أنساب العرب، ص ٢٢٧؛ ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣/٧٨؛ الزركلي، الأعلام، ٢/١٧٢.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٢. ينظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم ٢/٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٥٢؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/٢٦٢٥؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٢٤.

(٢) البحراني، العوالم، ص ٢٤٩. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٢؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/٤٥٨؛ الدمشقي، جواهر المطالب، ٢/٢٨٥.

فالإمام عليه السلام لم يخالف الشرع الإسلامي والسنة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطبقها في جميع حروبه ولأنه عليه السلام يريد أن يستنفذ كل الوسائل السلمية قبل أن يلجأ إلى خيار المواجهة معهم، لذلك فإن قراءة موقف الإمام الحسين عليه السلام في عدم بدء القوم بالقتال يتضح منه أمور:

إن موقف الإمام عليه السلام هو امتداد لما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حروبه، وتطابق واضح مع موقف الإمام علي عليه السلام من أعدائه في حروبه التي خاضها معهم، لذلك فإنه عليه السلام استمر في الاتجاه نفسه.

إن أحد أهداف قيام الإمام الحسين عليه السلام هو الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ليس من المعقول أن يخالف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أي جزئية من جزئياتها، وذلك بأن يبدأ القوم بقتال على خلاف ما كان يفعل جده صلى الله عليه وآله وسلم وأبوه عليه السلام، بل إن اصلاحهم من دون قتال كان في مقدمة الأهداف.

إن الإمام عليه السلام جعل هذا الأمر -عدم بدء القوم بقتال- أحد دروس القيام الشرعية وذلك بأنه مهما كان الموقف وما فيه من مردود إيجابي بالنسبة للإمام عليه السلام فإنه فضل عدم البدء بالقتال أي انه فضل إعلاء وإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، من هذا الباب على حساب مصلحته الذاتية لأن من أهم أهداف قيامه إحياء السنة.

جعل الإمام عليه السلام من هذا الأمر أحد دروس القيام الأخلاقية التي فيها تفضيل جانب السلم على الحرب، وتجنب الغدر بالأعداء مهما كانت الفائدة كبيرة، وجعل الطرف الآخر هو المعتدي أي الظالم، والإمام عليه السلام وأنصاره المعتدى عليهم أي المظلومون.

ب- الإعداد للمواجهة:

إن الإعداد لأية مواجهة عسكرية يتطلب كثيراً من الجهد والمتابعة من أجل

الوصول إلى الجاهزية التامة لمواجهة العدو، ولاسيما إذا ما كانت هناك مواجهة حاسمة تمثل حداً فاصلاً على المستوى المادي والمعنوي، والمعطيات العسكرية المادية كلها تميل إلى الطرف الآخر من المواجهة، فإن هذا الأمر يستلزم إعداداً معنوياً كبيراً، وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام في إعداد أنصاره لمواجهة جبهة الباطل.

نجد أن الإمام عليه السلام أخذ يعد لتلك المواجهة وفي جميع مراحل القيام سواء كان مادياً أو معنوياً، من أجل أن تخرج بالشيء الذي خرجت به، ثم أصبح هناك انتصار معنوي كبير على الرغم من الهزيمة العسكرية حسب الظاهر، نتيجة الإعداد المستمر من الإمام عليه السلام لتلك المواجهة لأن الإعداد والاستعداد للمعارك أمر مهم وقد أمر الله تعالى بذلك حسب ظاهر قوله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١).

يعد الإعداد المعنوي للمقاتلين من أهم أنواع الإعداد وله دور كبير في تغيير موازين المعارك، لأنه يترك أثراً على نفسية المقاتلين ومن ثم يولد دافعاً كبيراً عندهم في التضحية والفداء من أجل الهدف الذي يقاتلون من أجله، ونجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل على هذا الجانب في كثير من غزواته، ففي غزوة بدر أخذ يرغب المسلمين في الجنة حينما خاطبهم قائلاً:

(قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) (٢)، فيما أن من أهم غايات المسلم هو الجنة فإنه صلى الله عليه وسلم يتكلم مع المسلمين المجاهدين بمنطق غاياتهم ويصور

(١) الأنفال/ ٦٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ٢/ ٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٣٣٨.

المعركة بأنها حصاد الآخرة وأنها الطريق إلى الجنة مما يزيد من اندفاعهم إلى القتال (١).

إن هذا الأمر قد عمل به الإمام علي عليه السلام في حروبه من أجل رفع الروح المعنوية للمقاتلين، إذ نجده عليه السلام في خطبته عن الجهاد يتكلم بهذا المنطق من أجل ترغيب أصحابه به حينما قال عليه السلام:

(أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة) (٢).

شبه الإمام عليه السلام ذلك بالقول إن باب الدار منفذ إليها كذلك الجهاد منفذ إلى الجنة، لأنه لا مجاهد إلا من انقطعت علاقته من الدنيا وسلم نفسه إلى الله تعالى، فتحة الله للمحب والموالي وانه لا يوفق إليه إلا خواص الله الصالحون، وقيل لما كان الجهاد دافعاً للمضار عن الدين وحافظاً للإيمان الذي به قوام التقوى للمؤمنين فإن هذا يشبه اللباس في الوقاية من مضرة البرد والحر عن الإنسان، كذلك نجد ذكر درع الله الحصينة فهنا شبه الجهاد بالدرع بعد تشبيهه باللباس للدلالة على أن الجهاد في دين الله بمنزلة الدرع للبدن، فهو يحفظ من الآفات وغيرها فكذلك الجهاد يحفظ الدين (٣).

إن الإمام عليه السلام قد رغب الجهاد لأصحابه من باب ربطه بالجنة وهو بابها، تحفيزاً لأصحابه، وقد عمل على رفع الروح المعنوية عندهم، فكان أحد العوامل

(١) ينظر: حميد سراج جابر، الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول ﷺ، ص ٦٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٩.

(٣) ينظر: البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ١١٦؛ المجلسي، مرآة العقول، ١٨ / ٣٢٤؛ الحسيني

الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١ / ١٤٨؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٥ / ٢٢٩.

١٧٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

التي اتبعها الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه في هذا الجانب هو الترغيب في الجنة ووصفها بأنها قريبة منهم وأن الذي يفصل بينهم وبينها هو فقط الشهادة، وتذكر الروايات انه عليه السلام وبعد أن فرغ من صلاة الخوف قال لبقية أصحابه:

(يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه) (١).

نلاحظ استمرار ما أراه الإمام علي عليه السلام من ذكره للجهاد وذلك فيما يأتي:

الإمام الحسين عليه السلام جعل ذكره للموت منسجماً مع ما أراه الإمام علي عليه السلام من ذكره للجهاد وتشبيهه بأنه الباب إلى الجنة، والإمام الحسين عليه السلام جعل الجهاد والموت معه قنطرة للعبور إلى الجنة، وهذا يسهم في رفع الروح المعنوية ويجعل المجاهد في حالة شوق ولهفة للموت من أجل الوصول إلى جنات الخلد.

ذكر الإمام عليه السلام لأصحابه استبشار الرسول صلى الله عليه وسلم والشهداء بأصحابه وانهم يتوقعون قدومهم، وبما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخص أولياء الله وكذلك الشهداء من أوليائه عز وجل فإن الإمام الحسين عليه السلام جعل أصحابه من ضمنهم وهذا استمرار لما ذكره الإمام علي عليه السلام بأن الجهاد فتحه الله لخاصة أوليائه، وهذا أيضاً من باب التحفيز من أجل الإندفاع في القتال بأعلى المعنويات الممكنة.

إن الإمام علياً عليه السلام ذكر كثيراً عن مزايا الجهاد ومنها حفظ الدين وهذا امتد في موقف وكلام الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه، إذ انه عليه السلام وبعد أن قدم كثيراً مما يحفزهم على القتال والاستشهاد طلب منهم أن يحاموا عن دين الله ودين نبيه

(١) المقدم، موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٧٣؛ ينظر: البهبهاني، الدمعة الساقبة، ٤/ ٣٠٢؛

وهذا أحد أهم أهداف الجهاد بشكل عام والقيام بشكل خاص.

كان الإمام الحسين عليه السلام دائم العمل على رفع الروح المعنوية عند أصحابه وحثهم على النصر أو الشهادة من أجل اعدادهم للمواجهة، ولهذا نجده عليه السلام بعد ذلك أخذ يخفف عنهم هذا الأمر من أجل رفع معنوياتهم، وذلك عندما أخبرهم بأنهم لا يحسون بألم مس الحديد حينما قال عليه السلام لهم قبل أن يستشهد:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بُني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين. وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك، لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، تكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإننا نردُّ على نبينا)^(٢).

هنا إخبار من الإمام عليه السلام لأصحابه بالقتل والموت وضرب الحديد، مع عدم إحساسهم بألم ذلك وهذا جانب مهم وتحفيز ورفع معنوي غاية في الأهمية، وإن عدم ألم مس الحديد الذي ذكره الإمام عليه السلام لأصحابه يبدو انه ترجمة لما ذكره الإمام علي عليه السلام عن ان الجهاد في دين الله بمنزلة الدرع للبدن، قد خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام بهذا المنطق الذي ترك أثراً كبيراً في اندفاعهم نحو القتال وحقق كثيراً من النتائج الايجابية التي تركت أثراً واضحاً على سير الأحداث في المواجهة العسكرية، ومنها:

كانوا في غاية الشوق لملاقاة عدوهم وهم مسارعون إلى ذلك وهذا ما نجده

(١) الأنبياء / ٦٩ .

(٢) (٢) المجلسي، البحار، ٤٥/ ٨٠. ينظر: الراوندي، الخرائج والجرائح، ٢/ ٨٤٨؛ ابن نما، ذوب

النضار، ص ١٣؛ الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص ٣٧؛ البحراني، مدينة المعاجز، ٣/ ٥٠٤ .

في كلام حبيب بن مظاهر في ليلة العاشر من محرم إذ قال:

(لولا انتظار أمره- أي الإمام عليه السلام - لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة) ^(١)، إن في هذا الكلام اندفاعاً كبيراً ومسارة من أجل المواجهة وهذا بفعل التأثير المعنوي الذي ولّده الإمام الحسين عليه السلام في نفسية المقاتلين من أجل إعدادهم للمواجهة.

بفعل الإعداد المعنوي الذي أوجده الإمام عليه السلام عند أصحابه نجد ان بعضهم مثل عابس بن أبي شبيب ^(٢) قد خرج عن المألوف في القتال والمواجهة العسكرية وذلك عندما ألقى درعه ومخفره وهو يطلب من الأعداء مواجهته ^(٣)، وهذا انعكاس لما ذكره الإمام علي عليه السلام عن تأثير الجهاد في البدن، واستمراره في قول الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه بأنهم لا يجدون ألم مس الحديد، لذلك نجد عابساً ألقى درعه ومخفره، وهذا لا يعني قلة وضعف العقيدة والاعتماد على عدم التألم وإنما يظهر الذوبان في العقيدة والإمام عليه السلام.

هذه نتائج مهمة تركت أثراً في المواجهة العسكرية ونتيجتها وكان لها آثار

(١) المقدم، موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٤٠.

(٢) عابس بن أبي شبيب: بن ربيعة بن مالك بن صعب الهمداني الشاكري، وبنو شاكر بطن من همدان، كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شجاعاً وبنو شاكر من المخلصين بولائهم لأمر المؤمنين عليهم السلام عده الشيخ الطوسي في رجاله وهو من أعظم أنصار الإمام الحسين عليه السلام، أرسله مسلم ابن عقيل عليه السلام إلى الحسين عليه السلام بالرسالة التي أخبره فيها ببيعة أهل الكوفة، انضم إلى الإمام عليه السلام واستشهد بين يديه وزاده شرفاً إلى شرفه هو سلام الإمام المنتظر عليه السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص ١٠٣؛ ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣/٧٩؛ السماوي، إبطار العين، ص ١٢٦؛ شمس الدين، أنصار الحسين، ص ٩٤.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٧٣؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/٢٠٠.

واضحة في نتيجة القيام بشكل عام، لأن أنصار الإمام (عليه السلام) كانوا أحد أهم الأسباب المساعدة والمكملة في نجاح القيام وأهدافه، وهذا كله نتيجة العمل المستمر الذي قام به قائد القيام (عليه السلام) في إعداد مقاتليه من جميع النواحي للمواجهة الحاسمة مع الأعداء.

كان من ضمن برنامج الإعداد للمواجهة والذي ربما يرتبط بالجانب المعنوي إلى حد ما هو التأكيد على الصبر في المواجهة ضد العدو، إذ إن الصبر في المعارك له أثر كبير في عملية إنهاؤها للطرف الذي يكون أكثر ثباتاً فيها، وهذا ما كان يحفز عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين في غزواتهم، ففي غزوة أحد قال لهم (صلى الله عليه وآله وسلم):

(افتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله) (١).

هذا ما كان الإمام علي (عليه السلام) يحث أصحابه وقادته عليه من أجل الوصول إلى النصر عن طريق الصبر في المواجهة، إذ كان في إحدى وصاياه العسكرية قوله (عليه السلام):

(فخذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها، فقد شب لها عراها وعلا سناها، واستشعروا الصبر، فإنه أدهى إلى النصر) (٢)، وهنا (عليه السلام) جعل من الإعداد للحرب وأسباب النصر فيها هو الصبر وقد طلب من أصحابه التأهب للحرب وإعداد عدتها فإن أهبة الحرب عدتها، وتهيئة أسباب الجهاد ضد العدو، ثم أمرهم بأن يتخذوا الصبر شعاراً لهم، والشعار ما يلي الجسد من الثياب وهو ألزم الثياب للجسد، فهو (عليه السلام) يقول لازموا الصبر كما يلزم الإنسان ثوبه الذي يلي

(١) الواقدي، المغازي، ١/٢٢٢؛ المقرئ، امتاع الاسماع، ١/١٣٨؛ الصالح، سبل الهدى والرشاد، ٤/١٨٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٦٨.

جلده وقد يستغني عن غيره من الثياب لأن الصبر من أقوى أسباب النصر^(١).
أعطى الإمام الحسين عليه السلام دروساً وعبراً في الصبر بشكل عام لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، إذ إنه عليه السلام وبعد أن رأى اختلال موازين القوى بين معسكري الحق والباطل على الصعيد العسكري، جعل الحث على الصبر من ضمن برنامج الإعداد المعنوي وهذا انعكاس لما ذكره الإمام علي عليه السلام عن تأثير الصبر في المعركة وعلى نتيجتها، ومن هذا المنطلق أدخل الإمام الحسين عليه السلام هذا الأمر في الإعداد النفسي لأصحابه وجعله عنصراً مكماً وامتماً للعامل المعنوي، لذلك نجده يعطي درساً مهماً في عملية الحث على الصبر من جهة ورفع الروح المعنوية لمقاتليه من جهة أخرى في آن واحد، لأنه علم بعدم التمكن من تحقيق نصر مادي، ولأنه انعكس لديه تأثير الصبر في المعارك من كلام الإمام علي عليه السلام مع أصحابه، فأراد بذلك تحقيق نصر معنوي كبير، وقد خاطب عليه السلام أصحابه قائلاً:
(صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضر إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة، أيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وهؤلاء أعداؤكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم)^(٢).

وأبرز الصور في هذا الخطاب تندرج بما يأتي:

أشار الإمام عليه السلام إلى الصبر وحث أصحابه عليه معرفته عليه السلام بأنه مدعاة إلى النصر ولأن الإنسان الصابر لا يفر من الميدان مهما كلف الأمر من تضحيات.

(١) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٦١؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٨؛ الخوئي،

منهاج البراعة، ٣/ ٣٧٥؛ البدري، نزهة النظر، ص ٤٤.

(٢) الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٥٢. ينظر: معاني الأخبار، ص ٢٨٩؛ الكاشاني،

جعل ﷺ الموت أسهل ما يمكن لأصحابه وهذا ضمن رفع الروح المعنوية لهم وذلك عندما صوره لهم بأنه قنطرة تعبر بهم إلى الجنان الواسعة وهذا ضمن عملية الدمج - التي أشرنا إليها سابقاً - في الحث على الصبر ورفع الروح المعنوية في آن واحد.

صوّر الإمام ﷺ لأصحابه الدنيا بأنها سجن وهي حياة البؤس والضر وإن ما ينتظرهم هو الحياة التي تستحق التضحية والفداء، وهو أيضاً جزء من رفع الروح المعنوية لأصحابه التي ربطها بالصبر، وإن تلك الجنان لا يمكن الوصول إليها إلا بالصبر والثبات، وهذه ترجمة لما ذكره الإمام علي ﷺ في ان الصبر أدعى للنصر، وقد ترجم ذلك الإمام الحسين ﷺ بأن حقق نصراً معنوياً كبيراً فضلاً عن الوصول إلى جنان الخلد بعد الصبر والاستشهاد في القتال ضد الأعداء.

كان الإمام الحسين ﷺ وفي أكثر من مناسبة يحث أهله وأصحابه على الصبر لمعرفة النتائج المستحصلة عن هذا الطريق، لهذا نجد ﷺ يحث أهله وبني عمومته على ذلك عندما قال:

(صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً)^(١).
خصّ الإمام ﷺ أهله وبني عمومته بهذا الخطاب إلا أنه في مناسبة أخرى حث أصحابه على ذلك عندما صلى بهم الغداة فالتفت إليهم وقال:
(ان الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر)^(٢)، أي قدّر قتلكم في علمه تعالى^(٣).

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٨. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/ ١١٢.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ١٥٢؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ٨٦؛ البحراني، العوالم، ص ٣١٩.

(٣) ينظر: المجلسي، البحار، ٤٥/ ٨٦.

هذا كله ضمن الإعداد الذي كان يعمل عليه الإمام الحسين عليه السلام للمواجهة الحاسمة مع جبهة الباطل، لكي لا يترك أية ثغرة أمام عدوهم من الممكن أن يتسلل من خلالها إلى أنصار جبهة الحق، ولهذا فإن الإمام عليه السلام كان في حذر دائم ومطوعاً كل عامل -ولو معنوياً- له أثر مهم في عملية تغيير الموازين في المواجهة المرتقبة.

إن الإمام الحسين عليه السلام عندما نزل في أرض كربلاء خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب ^(١) بعضها ببعض ^(٢)، وهذا تجلٍ واضح من كلام الإمام علي عليه السلام وهو يوصي عسكره، إذ قال:

(إياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً) ^(٣)، نهاهم عليه السلام عن التفرق وأمرهم أن ينزلوا جميعاً لأن هذا الأمر يبعث الهيبة والرعب في نفس العدو، ويجنب العسكر الكثير من المخاطر، أما التفرق والتشتت فإنه موجب لضعف قواهم ^(٤).

كان هذا متجلياً بفعل الإمام الحسين عليه السلام عندما طلب من أصحابه أن يقربوا البيوت من بعضها وفيه تأثيران معنويان هما:

(١) الأطناب: جمع طناب، ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/٥٦١؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٢/١١٠.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٨٦؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣١٩؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/٤٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٥٩؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٣٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٥٩.

(٤) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/٩٠؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/٤١٠؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٤٤٩.

التأثير الأول: تأثير معنوي على العدو وذلك لزرع الخوف والرهبه في نفسه من عسكر الإمام الحسين عليه السلام عندما يراهم في هذا التلاحم والإرتباط فيما بينهم وهذا ما كان متجانساً مع ما أراده الإمام علي عليه السلام من عسكره في أن ينزلوا جميعاً لا مشتتين.

التأثير الثاني: تأثير معنوي نفسي بالنسبة لأصحاب وأهل بيت الإمام عليه السلام لأن هذا التقارب في البيوت يجعل هناك ارتباطاً نفسياً أكثر فيما بينهم ويزيد العلاقة وينهي أي فارق طبقي فيما بينهم إن وجد، وهذا ما جنيت ثماره في عملية الترابط والتلاحم الذي ظهر عليه معسكر الحق سواء بين الأنصار أنفسهم أو بينهم وبين القائد عليه السلام.

هذه أمور لها أهمية كبيرة في عملية الإعداد للمواجهة، إلا أن الإمام الحسين عليه السلام لم يقف عند الجانب المعنوي فقط في عملية الإعداد أو الأمور النفسية، وإنما نجده يوظف كثيراً من الأمور في هذه العملية حتى عامل الطبيعة، فالطبيعة لها تأثير في المعارك حسب الأرض التي تدور فيها المواجهة فإن لكل أرض طبيعتها في القتال سواء كانت جبلية أو صحراوية وغيرها، وعلى هذا الأساس نجد الإمام علياً عليه السلام يوصي جيشاً بعثه للعدو بأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار إذ قال عليه السلام:

(فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الانهار، كيما يكون لكم رداءً ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين)^(١).

أشار الإمام عليه السلام إلى تكتيك عسكري مهم في عملية المواجهة العسكرية ذي

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٩.

فائدة كبيرة في كلتا الحالتين الدفاعية والهجومية، عندما أمر عسكره أن ينزلوا في مكان حصين مثل الاشراف وهي المكان العالي لئلا يأخذهم العدو من خلفهم وليأمنوا فيه مباغتتهم، وإذا كان ذلك غير ممكن فإنهم ينزلون في مكان منخفض كسفح الجبل وهو أصله أي اسفله وأثناء الأنهار أي منعطفاتها وهو منعطف الوادي ونحوه، بحيث لا يراهم العدو ولا تصل سهامه اليهم وضرباته عن بعد وبذلك تكون هذه الأماكن حافظة لهم معينة لهم في القتال، ثم أمر بأن تكون مقاتلتهم من وجه واحد فإن لم يكن ممكناً فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض لأن القتال من عدة جهات يوجب الضعف والفرقة (١).

نلاحظ أن الإمام عليه السلام يريد استثمار العناصر الطبيعية من جبال أو أنهار كعامل مساعد لتحقيق النصر على العدو، وهذا الفكر العسكري ينطبق على بقية الأئمة عليهم السلام مثل الإمام الحسين عليه السلام في قيامه وذلك عندما لاقى جيش الحر بن يزيد الرياحي في الطريق إلى كربلاء فقد قال عليه السلام لزهير بن القين: أما ها هنا مكان يلجأ إليه، أو شرف نجعله خلف ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ قال له زهير بن القين: بلى، هذا جبل ذو حسم (جشم) (٢)، إلى جنبك تميل إليه إلى يسارك فمل بنا إليه، فإن سبقت إليه فهو كما تحب، فسار عليه السلام حتى سبق إليه،

(١) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٣/٣١؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٤٧٨؛ مصباح السالكين، ص ٤٨٢؛ الميرجهاني، مصباح البلاغة، ٤/٣٢٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/٤٠٩.

(٢) ذو حسم: موضع منيع في البادية نزله الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة ولقيه الحر بن يزيد فيه. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٠٢؛ البكري، معجم ما استعجم، ٢/٤٤٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٢٥٨.

وجعل ذلك الجبل وراء ظهورهم^(١).

ان هذا التواءم الفكري بين الإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام في هذه الناحية العسكرية حقق فوائد كبيرة بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام في عملية المواجهة والإعداد لها ومن أهم تلك الفوائد:

تطويع عنصر الطبيعة في عملية المواجهة العسكرية وجعله عاملاً مساعداً في عملية الإعداد للمواجهة وهذا ما كان فعله الإمام علي عليه السلام في وصيته لعسكره. ان عمل وإجراء الإمام الحسين عليه السلام حصر المواجهة العسكرية وجعلها من وجه واحد ومن ثمّ توحيد الجهود العسكرية في مواجهة الأعداء وحرمانهم من عملية الالتفاف حول جيش الإمام عليه السلام وهذه الفائدة استمرار لما أراده الإمام علي عليه السلام من عملية حصر المواجهة وجعلها من وجه واحد أو اثنين.

الإمام الحسين عليه السلام عمل ضمن الإمكانيات المتاحة لأن الالتجاء إلى الجبل وفر له كثيراً من العناصر الأمنية لمعسكره، وربما هذا أحد العلل التي جعلت الإمام علياً عليه السلام يطلب من عسكره أن يلتجئوا إلى موضع مرتفع فقد ترجمت في اجراء الإمام الحسين عليه السلام هذا، وبذلك طوع عليه السلام الطبيعة وجعلها عاملاً مساعداً في المواجهة والإعداد لها.

من الأمور الأخرى التي تتعلق بالإعداد للمواجهة هو تجنبها ليلاً وهو الأمر الذي ظهر في وصايا الإمام علي عليه السلام وذلك عندما أوصى أحد قادة جيشه قائلاً له:

(١) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٤٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٠٢؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/ ٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٤٦؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/ ٤١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٦٨.

١٨٠ التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

(ولا تسر أول الليل، فإن الله جعله سكناً، وقدره [جعله] مقاماً لا ضعناً، فأرح فيه بدنك وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح [ينبلج] السحر، أو حين ينفجر [يتفجر] الفجر، فسر على بركة الله) (١).

أعطى الإمام عليه السلام خصوصية الليل لذلك فإنه يطلب من قائده أن لا يسير أول الليل لأنه وقت منام الناس وان الله جعله سكناً (٢)، فقد منَّ الله تعالى على عباده أن جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، وكره أن يخالفوا ذلك، ولكن لقائل أن يقول: فكيف لم يكره عليه السلام السير أو الحركة في آخره، وهو من جملة الليل أيضاً؟! ويمكن أن يكون فهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الليل الذي جعل سكناً للبشر انما هو من أوله إلى وقت السحر، لأن الله جعله مقاماً أي للإقامة وراحة البدن وكذلك الدواب، ثم طلب عليه السلام من قائده إذا كان الفجر وهو الصبح أن يسير على بركة الله بأن يجعل الله تعالى سيره مباركاً (٣).

بيّن الإمام عليه السلام تأثير الليل في الإعداد العسكري للمقاتلين وجعله عاملاً مساعداً على ذلك لأنه يريح المقاتلين من أتعاب النهار فضلاً عن دوابهم وما للجوانب العبادية من أهمية خلال الليل وهذا ما يفسر لنا رفض الإمام الحسين عليه السلام مقاتلة الأعداء عشية يوم الخميس في يوم التاسع من محرم، فقد نهض عمر بن سعد في ذلك اليوم لمقاتلة الإمام عليه السلام ونادى في عسكره بالزحف نحوه وعندما رأى عليه السلام ذلك طلب من أبي الفضل عليه السلام أن يلقاهم ويسألهم عما

(١) نهج البلاغة، ص ٥٦٠.

(٢) جعل الله الليل سكناً حسب ظاهر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾،
يونس / ٦٧.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٩٣؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،
٤٥٠/٣.

جاءهم وما الذي يريدونه؟ وحينما جاءهم أبو الفضل عليه السلام قالوا جاء أمر الأمير أن نفرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب، فانصرف العباس عليه السلام يخبر الإمام عليه السلام بذلك، فقال ارجع إليهم واستمهلهم هذه العشية إلى غد، لعلنا نصلي إلى ربنا الليلة وندعوه ونستغفره، وفعلاً بعد أن طلب منهم العباس ذلك تم التأجيل إلى الصباح^(١).

إن الإمام عليه السلام قد رفض المواجهة العسكرية في الليل وهو استمرار لما أراده الإمام علي عليه السلام من قائده لاستحصال النتائج المطلوبة التي جعلت الإمام علياً عليه السلام يرفض القتال بالليل فضلاً عن ان للإمام الحسين عليه السلام كثيراً من الأهداف والغايات من هذا التأجيل ومنها:

الهدف الأول: التزود الروحي بالعبادة والاستغفار في هذه الليلة خاصة انها ليلة الجمعة ذات الأهمية الكبرى في العبادة والتي لها خصوصية كبيرة بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام^(٢)، والإمام عليه السلام وأصحابه قد قضوا الليلة كلها بالعبادة وهم يصلون ويستغفرون ويدعون^(٣)

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٥؛ المفيد،

الإرشاد، ٢/ ٩٠؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/ ٧٤؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٤٥٤.

(٢) إذ روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: ان لنا في كل ليلة جمعة سرور، قلت زادك الله وما ذاك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة وافي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش ووافي الأئمة عليهم السلام معه ووافينا معهم، فلا تردوا ارواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفذنا. ينظر: الكليني، الكافي، ١/ ٢٥٤.

(٣) ومن الأدعية المروية عن الإمام الحسين في تلك الليلة قوله عليه السلام: (اللهم اني أحمدك على أن أكرمنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماً وأبصاراً وأفئدة، ربنا فاجعلنا من الشاكرين. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٧؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٣؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/ ٤٥٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٥٧.

ويتضرعون إلى الله تعالى (١).

الهدف الثاني: توديع العيال والأهل وإخبارهم بما ستؤول إليه الأحداث من أجل إعدادهم لذلك، وهو من الأمور المعدّة للمواجهة، إذ إنه (عليه السلام) قد أوصى السيدة زينب (عليها السلام) الممثل الرئيسي لجميع أفراد العائلة بعد استشهاده (عليه السلام) بعدة وصايا، وعزاها بنفسه وهون عليها ذلك حينما قال لها:

(يا أختاه تعزي بعزاء الله وأرضي بقضاء الله فإن سكان السماوات يفتنون وأهل الأرض يموتون وجميع البرية لا يبقون وكل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإن لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) (٢).

الهدف الثالث: إن الإمام (عليه السلام) بعد أن رأى حتمية المواجهة أراد اختبار أصحابه اختباراً نهائياً في تلك الليلة وهو من أصعب الاختبارات على الأصحاب لمعرفة مدى حبهم للتضحية والفداء، لذلك جمعهم في الليل وطلب منهم أن يتركوه لأن القوم لا يطلبون أحداً غيره حينما قال (عليه السلام):

(هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون

(١) ينظر: البلاذري، انساب الأشراف، ١٨٦/٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٩/٤، النويري، نهاية الإرب، ٤٣٧/٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٢/٨؛ الدمشقي، جواهر المطالب، ٢٨٤/٢.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ٨٤/٥. ينظر: المفيد، الارشاد، ٩٤/٢؛ الطبرسي، اعلام الوري، ٤٥٧/١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٣٨/٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٩/٤؛ النويري، نهاية الإرب، ٤٣٧/٢٠؛ الصالحى، سبل الهدى والرشاد، ٧٧/١١.

غيري) (١).

الهدف الرابع: أراد الإمام عليه السلام تهيئة المقاتلين وتعبئتهم بشكل أكبر وإعدادهم للمواجهة والاستعداد لها، فنجده عليه السلام بعد صلاة الغداة عباً أصحابه فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبیب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته لأبي الفضل العباس (٢)، وهذه التعبئة التي كانت بعد صلاة الغداة كانت مع مقصد كلام الإمام علي عليه السلام لقائده الذي طلب منه إذا كان الفجر أن يسير على بركة الله.

الهدف الخامس: ان الإمام عليه السلام قرأ الموقف وما ستؤول اليه الأمور إذا ما كانت المواجهة في الليل، فربما يكون هناك إخفاء لكثير من الحقائق عن هذه المواجهة، وقد تكون هذه النظرة منه عليه السلام إلى ما وراء واقعة الطف، ثم فقدان كثير من المزايا التي حدثت عندما كانت الواقعة في النهار وإحداها الجانب الإعلامي للواقعة، وان العدو اذا ما حسم المواجهة في الليل سوف يقوم بإخفاء الحقائق عنها ومن ثم يصور الأمور وفق ما يراها مناسبة له- فالمواجهة كانت في النهار وما زالت كثير من الحقائق تخفى عنا، فكيف إذا كانت في الليل؟- لهذا جاء التأجيل وكان هذا الهدف أحد الأسباب المهمة التي دفعت الإمام عليه السلام إلى ذلك.

إن الإمام عليه السلام لم يترك شيئاً متاحاً إلا وأعدده لهذه المواجهة على وفق الإمكانيات

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٥. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣١٧؛ الصدوق، الأمالي، ص ٢٢٠؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٧٥؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ٢/٨٤٧؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/٢٤٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/٣٣٧.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٠؛ المفيد، الإرشاد، ٢/٩٥؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٤؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/٤٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٥٩.

المتوفرة عنده، فنجده عليه السلام استعمل الدعاء في هذه المواجهة، فالدعاء له تأثير كبير إذا ما كانت الاستجابة سريعة من الله تعالى، مع تأثيره على المدى البعيد إذا ما تعطلت الإجابة لحكمة يريد بها الله عز وجل.

هذا الجانب الخاص بالدعاء رأيناه واضحاً في تعامل الإمام علي عليه السلام مع أهل الكوفة، لذلك نجد ان دعاء الإمام الحسين عليه السلام هو استمرار وانعكاس لدعاء الامام علي عليه السلام على أصحابه، عندما دعا عليه السلام بخصوصهم قائلاً:

(اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئمونني فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني)^(١).

شكى عليه السلام إلى الله تعالى مخالفتهم وعصيانهم له بقوله اللهم اني قد مللتهم لكثرة ما تكرر مني الأمر لهم بالجهاد والذب عن دين الله ودعاهم إلى الله سبحانه وإلى تحصيل مرضاته ليلاً نهاراً فلم يزداهم ذلك الا فراراً، ثم أردف تلك الشكاية بالتضرع إلى الله في الخلاص منهم، ولعله عليه السلام دعى عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله لذلك دعا أن يبدله الله بهم خيراً أي باعتقادهم لا في الأمر نفسه فإنه ليس فيهم خير وإن طلبه بدلاً عنهم يجوز ذلك في الدنيا أو في الآخرة - كما بينا سابقاً - وابداهم بشرٍ منه أي في اعتقادهم أيضاً وإلا لم يكن فيه عليه السلام شر وإنما مورد الكلام على ما هو عند القوم، بمعنى: اخذهم يا رب كما خذلوني بحيث لو كان بعدي وال ظالم خلل بينه وبينهم وهذا نتيجة بطرهم عليه السلام^(٢).

(١) نهج البلاغة، ص ٦٦.

(٢) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٠١؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٢؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣/ ٣٥٧؛ الخرساني، مفتاح السعادة، ٥/ ١٣٩؛ الميلاني، نفحات الأزهار، ٨/ ١٧٨.

وقد ولد بعد دعاء الإمام علي (عليه السلام) الحجاج بن يوسف الثقفي وصحبته مع أهل الكوفة وغيرهم في الأهلاك معروفة^(١)، وهو أحد أشد الولاة ظلماً وخاصة لأهل العراق إذ تنبأ الإمام علي (عليه السلام) بتوليه العراق وأشار إلى ظلمه للناس حينما قال (عليه السلام):

(أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم)^(٢)، ان غلام ثقيف المشار إليه هو الحجاج بن يوسف^(٣) الظالم بكل معنى الكلمة.

ومما عناه الإمام (عليه السلام) هو عدم رضا الولاة عنهم وسخطهم وقهرهم لهم نتيجة ما كانوا يفعلونه مع الإمام علي (عليه السلام) رغم عدله وإحسانه إليهم، وقد تطابق دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) مع دعاء الإمام علي (عليه السلام) على الفئة نفسها ولا نقصد الأفراد بل المنهج والعمل، إذ كان دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) على القوم هو قوله:

(اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض عنهم الولاة أبداً فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا)^(٤)، ومن أبرز عناصر التطابق مع كلام الإمام علي (عليه السلام) هو في طلب ابدالهم بشر منه، بينما طلب

(١) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/٢٠٢؛ البحراني، مصباح السالكين، ص ١٢٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٥٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٢٧٨؛ البحراني، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ص ٢٤٢؛ بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٢٧٢؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ١٨٢؛ الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ص ٢٥٤.

(٤) (٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٤٥. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/١١٤؛ المفيد، الارشاد،

١١٠/٢؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٥٦؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/٢٦١٨؛ الشامي، الدر

النظيم، ص ٥٥٨؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٥٩.

الإمام الحسين عليه السلام من الله عدم رضا الولاة عنهم، وكلاهما له الدلالة نفسها.
 لا تعني هذه الشمولية للحسن والسيء بل إعطاء كل ذي حق حقه، وهذا كله بسبب ظلمهم للإمام علي عليه السلام وتمردهم عليه رغم إحسانه إليهم وهو خليفتهم، وكرروا ذلك مع الإمام الحسين عليه السلام في ظلمهم وخيانتهم وعدم نصرته.
 وظّف الإمام الحسين عليه السلام كل شيء ممكن وشرعي في عملية الأعداد للمواجهة ضد الأعداء، وكان في أكثر مواضع الأعداد انعكاساً واستمراراً لما كان يفعله الإمام علي عليه السلام في مثل تلك الحالات، وهذا ينم عن الفكر العسكري الكبير عند الإمام علي عليه السلام واستمراريته عند الإمام الحسين عليه السلام.

ج- الفكر العسكري:

إن أي مواجهة عسكرية يكون الدور الرئيس والفعال فيها للقائد أو أمير الجيش، فهو المحور الذي تدور حوله رحى الحرب وهو الموجه والآمر النهائي في جميع تفاصيل المواجهة، والنصر أو الهزيمة مرتبطان به وبطبيعة فكره العسكري، هل يستطيع قيادة عسكره إلى النصر؟ وهل يستطيع التغلب على الهزيمة العسكرية إذا ما كانت هناك هزيمة وتحولها إلى نصر معنوي؟ ويحكم الإجابة عن هذه الأسئلة الفكر العسكري الذي يتميز به القائد وقدرته على إدارة المواجهة ضد الأعداء.

كانت الحروب فيما سبق ترتبط فضلاً عن القائد باللواء في المعركة، إذ إن اللواء -الراية- هو الذي يمثل مركز ثبات الجيش ولهذا كانوا يتدافعون في الذب عنه حتى لا يسقط على الأرض بسقوط حامله وسقوطه معناه نكسة معنوية كبيرة تصيب المحاربين^(١)، لذلك كانوا يختارون أشجع أفراد الجيش

(١) ينظر: جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥٩/٧.

لحمل الراية في المعارك وقد عبر الرسول ﷺ عن هذا المعنى بقوله في غزوة خيبر عن الإمام علي عليه السلام:

(لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار)^(١).

نجد استمرارية هذا الامر عند الإمام علي عليه السلام وتجسد ذلك في وصيته لعسكره حينما قال عليه السلام:

(ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانعين الذمار منكم، فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم، ويكتفونها: حفايفها، ووراءها، وأمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفردوها)^(٢).

حرص الإمام عليه السلام أن لا تميل الراية بيد حاملها لأن ميلها موجب للريبة فيظن انها مشرفة على السقوط، ولأنها إذا أميلت عن عيون الجيش تؤدي إلى اهتزاز في المعنويات لذلك أشار عليهم عليه السلام بضرورة وضعها بأيدي الشجعان والمانعين الذمار، ولأنها أصل نظام العسكر وعليها تدور رحى المعركة وبها تقوى قلوب المقاتلين ما دامت قائمة، والذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه من عرض أو مال أو ما شابه، أي الأشخاص الذين لهم نفسية منع الذمار عن الأعداء فإنهم أكثر إثارة للنفس في سلب التحفظ على كيانهم فلا يتخلون

(١) الكليني، الكافي، ٨/ ٣٥١. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٢٠؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٥/ ٣٧٧؛ الطبري، المسترشد، ص ٢٩٩؛ الباقلاني، تمهيد الأوائل، ص ٥٤٤؛ ابن جبير، نهج الايمان، ص ٣١٦؛ الحلبي، السيرة، ٢/ ٣٧٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦٣.

عن اللواء بمجرد خوف أو تعب، والمراد بنزول الحقائق نزولها به أو نزوله بها وما يعرض للانسان في الحرب هي حالة يحق أن يحامي عنها فالصابرون إذا نزلت بهم نازلة هم الذين يحفون برأياتهم أي يكتنفونها لئلا تسقط^(١).

يدل هذا على أهمية الراية في المعارك وتأثيرها الكبير في سير أحداث النزال، وقد لوحظ وضع الإمام علي عليه السلام عدة شروط وأوصاف لحامل الراية من أصحابه، لذلك فقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على توفر تلك الشروط في حامل رايته وهو يعطيها لأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام^(٢).

وقد لاحظ الإمام عليه السلام كثيراً من المميزات التي تميز أبا الفضل العباس عن غيره؛ لهذا أعطاه الراية على الرغم من وجود اخوته، فضلاً عن أن في الصحابة من هو أسن منه لكنه لم يعطها لهم ومن تلك المميزات:

الشجاعة النادرة التي ليس لها مثيل عند غيره من الأنصار وهذا يتفق مع أحد أهم شروط حامل الراية التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام، وعبر أبو الفضل عن تلك الشجاعة في أرجوزته عندما حمل على القوم قائلاً:

لا أرهب الموت إذ الموت رقى حتى أوارى في المصاليت لقا
نفسى لنفس المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا

(١) ينظر الراوندي، منهاج البراعة؛ ٢/ ٣٤؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٢٤؛ المجلسي، مرآة العقول، ١٨/ ٣٧٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٢٣١؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٥٥.

(٢) ينظر: المفيد، الارشاد، ٢/ ٩٥؛ الطبرسي، اعلام الورى، ١/ ٤٥٧؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٥٠.

ولا أخاف الشر يوم الملتقى (١)

المكانة الكبيرة والمميزة التي كانت لأبي الفضل عليه السلام عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام وما يدل على ذلك عندما أراد عمر بن سعد أن يحمل على عسكر الإمام عليه السلام عشية يوم الخميس قال عليه السلام لأبي الفضل:

(اركب بنفسي أنت) (٢)، فقد فداه بنفسه، وهذا ينم عن عظيم مكانة العباس عليه السلام عند الإمام الحسين عليه السلام وذلك لمعرفته عليه السلام ان أبا الفضل أحد الأعمدة الرئيسة في القيام، وهذه المكانة تحسب كميزة للعباس دون غيره من الأنصار تستوجب منحه الثقة الكاملة في إعطائه الراية في المواجهة، وكان الإمام الحسين عليه السلام على معرفة تامة بأن العباس يضحى في سبيل أن لا تسقط الراية وكان هذا استمراراً لما أراده الإمام علي عليه السلام من شروط لحامل الراية.

الوجود المعنوي الكبير لأبي الفضل عليه السلام بين أنصار جبهة الحق، وما يمثل هذا الوجود من عامل خوف في نفوس الأعداء، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بما يمثله وجود العباس عليه السلام في عسكره، ولهذا عندما لم يبق أحد من أنصار الإمام عليه السلام وأراد أبو الفضل البراز قال له الإمام:

(يا أخي أنت صاحب لوائي وإذا مضيت تفرق عسكري) (٣)، فقد كان هذا الكلام بعد استشهاد أنصار الحق، فلماذا قال الإمام عليه السلام إذا مضيت تفرق

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٥٦. ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٧٩؛ المجلسي،

البحار، ٤٥/ ٤٠؛ البحراني، العوالم، ص ٢٨٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٥؛ ابن مسكويه،

تجارب الأمم، ٢/ ٧٤؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/ ٤٥٤.

(٣) المجلسي، البحار، ٤٥/ ٤١؛ البحراني، العوالم، ص ٢٨٤.

١٩٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

عسكري؟^(١) هذا يدل على الوجود المعنوي الكبير لأبي الفضل في جبهة الحق. إن الإمام عليه السلام نظر إلى شيء مميز آخر في العباس عليه السلام وهو صلابة الإيمان، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك بقوله:

(كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الايمان)^(٢)، أي أن الإمام عليه السلام أضاف عنصر الايمان إلى الشجاعة في اختيار الشخص لحمل الراية ولأن الانسان المؤمن يمتاز بالصبر والثبات في الأحوال والظروف كلها، وهذا يدل على الفكر العسكري المتميز عند الإمام الحسين عليه السلام المتلائم مع ما أراده الإمام علي عليه السلام من شروط في حامل اللواء ومنها الصبر.

الوفاء الكبير الذي عهدته الإمام الحسين عليه السلام من أبي الفضل العباس، فإن مثل هذا لا يمكن أن يتخلى عن الراية مهما كان الموقف، ومن أروع صور الوفاء التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً عندما اقترب العباس عليه السلام من الماء وغرف غرفة منه إلا انه لم يشرب على الرغم من شدة عطشه وفاءً للحسين عليه السلام وأهل بيته الذين كانوا في عطش شديد لذلك رمى الماء ولم يشرب^(٣).

هذه المميزات وغيرها دفعت الإمام الحسين عليه السلام لإعطاء الراية لأبي

(١) العسكر ليس دائماً بمعنى الجيش، بل يأتي بمعنى الكثير من كل شيء والمال والنعم وان العباس عليه السلام صاحب لواء الحسين عليه السلام كان آخر من برز إلى القوم فيبقائه ما انكسر ظهر الإمام، أما بعد استشهاده فقد قال الحسين: (الآن انكسر ظهري) فصاحب اللواء يمثل عسكرياً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/٥٦٨؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٤٢؛ الزبيدي، تاج العروس، ٧/٢٢٠.

(٢) أبو نصر البخاري، سر السلسلة العلوية، ص ٨٩. ينظر: ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٣٥٦.

(٣) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٧٩؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٤١.

الفضل عليه السلام، الذي كان عند حسن ظن قائده وحملها حتى قطعت يده، إذ يقول الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام:

(رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده) ^(١)، فقد نجح في المهمة التي أوكلت إليه وهذا يدل على الفكر العسكري المميز عند الإمام الحسين عليه السلام في حسن اختيار حامل الراية.

من ملامح الفكر العسكري الأخرى هو توسط القوات أو الجيش وهو الأمر الذي جسده الإمام علي عليه السلام مع أحد القادة حينما أوصاه قائلاً:

(فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب. ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس) ^(٢).

أشار الإمام عليه السلام إلى نقاط أساسية بالنسبة للقائد العسكري، التي فيها دروس عسكرية تعبر عن الفكر العسكري الكبير عند الإمام علي عليه السلام فقد أمر قائده أن يقف عند لقاء العدو في وسط الجيش ويبن فلسفة ذلك بأن أمير الجيش إذا كان وسط الجيش يكون استواؤه إلى الطرفين في وصول أوامره إليهما، فالواجب أن يكون الرئيس في قلب الجيش، لأنه إذا كان في أحد الطرفين بعد الطرف الآخر عنه، فربما يختل نظامه ويضطرب، ثم نهاه أن لا يدنو من القوم في دعائهم إلى الحق دنو من يريد أن يوقع الفتنة وقيم الحرب، لأن أولياء الله ما أمروا بسفك الدماء وقتل النفوس إلا بعد أن أبى الناس إلا نفوراً وطغياناً، ونهاه أن لا يتعد عنهم تباعد من يهاب الحرب ويشعر بخوفه ورهبته من عدوه لئلا يطمع فيه

(١) الصدوق، الأمالي، ص ٥٤٨؛ الخصال، ص ٦٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٦١.

العدو بل عليه أن يكون على حال متوسطة بين هذين ^(١).

إن فكر الإمام علي عليه السلام يوضح لنا اتخاذ الإمام الحسين عليه السلام القلب في موقفه العسكري أثناء الملحمة، فالإمام الحسين عليه السلام بعد أن عبأ عسكره وجعل زهير بن القين في الميمنة وحبیب بن مظاهر في الميسرة، ثبت هو وأهل بيته في القلب من العسكر ^(٢).

إن إجراء الإمام الحسين عليه السلام هذا استمرار لما كان يفعله الإمام علي عليه السلام فهو يعبر عن فكر عسكري مميز يبرز سمات منها:

يكون القائد على اطلاع تام بجميع أوضاع العسكر ومعرفة ما يدور في كل زاوية من زوايا المواجهة العسكرية.

إن هذا الموقع يوفر الحماية للقائد نفسه، وذلك نتيجة إحاطته بأصحابه من أغلب الجهات، لأن القائد بمنزلة القطب فيهم وهو الذي يمثل العسكر كله وبوجوده يكون العسكر في أحسن حالاته أما إذا قتل فسوف تحدث الهزيمة العسكرية نتيجة ارتباطهم به، وهذا لا يعني خوف الإمام عليه السلام ولكنه درس للقادة مستقبلاً.

وقوف القائد في قلب العسكر يمثل دافعاً معنوياً كبيراً للجنود لأن الجميع يراه، الأمر الذي يبعث الطمأنينة في نفوسهم والثقة في مواجهة الأعداء.

هذه دروس عسكرية مهمة قام بها الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف فضلاً عما في قضية القرب والبعد عن العدو نجده عليه السلام انسجم في طرحه مع ما ذكره

(١) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/٩٤؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٣٨١؛

مصباح السالكين، ص ٤٨٢؛ الخوئي، منهاج البراعة، ١٨/١٠٩.

(٢) ينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ٦/٢.

الإمام علي عليه السلام في وصيته لقائه بهذا الأمر، فالإمام الحسين عليه السلام في خطاباته لم يكن يتقرب كثيراً من العدو ولم يكن يتعد عنهم كثيراً أي انه يتوسط الميدان، ففي إحدى خطبه ناداهم يا أهل العراق وجلهم يسمعون صوته^(١)، لم يسمع الكل ذلك وهذا معناه أنه لم يكن قريباً منهم جداً ولم يكن بعيداً عنهم، وهذا الأمر فيه فلسفة من الناحية الأمنية وسلامة القائد، وربما هذه إحدى العلة التي أرادها الإمام علي عليه السلام في منع قائده أن يقترب من القوم واستمرت في فعل الحسين عليه السلام، وإذا ما ابتعد أكثر قد يوحى لهم بالخوف والجبن لذلك كانت هنالك وسطية من الإمام الحسين عليه السلام في عملية مخاطبة ونصح القوم.

من ملامح هذا الفكر ما يتعلق بأخذ الاحتياطات العسكرية للمواجهة بالاستفادة من الطبيعة كما ورد في وصية الإمام علي عليه السلام السالفة باتخاذ الجبال أو الأنهار لتقليص الوجوه في القتال^(٢)، وهو أمر يدخل في الفكر العسكري المميز للإمام علي عليه السلام والذي انعكس في فكر الإمام الحسين عليه السلام إلا أن الإمام لم يتوفر عنده ما ذكره الإمام علي عليه السلام من جبال أو أنهار لكنه من مدرسة الإمام علي عليه السلام العسكرية، فنجده يبتكر أسلوباً جديداً من أجل حصر المواجهة من وجه واحد أو اثنين، حينما أمر أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم إلى بعض، ويكونوا أمام البيوت، وأن يحفروا وراء البيوت اخدوداً، وأن يضرموا فيه حطباً وقصباً كثيراً، لئلا يأتوهم من أدبار البيوت، فيدخلوها^(٣).

(١) ينظر: المفيد، الارشاد، ٢/٩٧؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٦؛ البحراني، العوالم، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ص ٥٥٩.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٦؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/٢٦٢٧.

هذا تدبير عسكري مميز متشابه مع ما أراد الإمام علي عليه السلام استحصاله من نتائج في عملية حصر المواجهة من وجه واحد أو اثنين، فضلاً عن ذلك إن فعل الإمام الحسين عليه السلام قد أطال مدة المواجهة لأن العدو اضطر أن يأتي إلى عسكر الإمام عليه السلام من الواجهة ومن ثمَّ فإن الشجاعة التي يتميز بها الإمام عليه السلام وأنصاره كبدت العدو كثيراً من الخسائر.

هذا بفعل الفكر العسكري لقائد المواجهة الإمام الحسين عليه السلام والذي نجده في تفاصيل المواجهة كلها، مثلما مر في تأجيل المواجهة إلى الصباح وكيف وظف الليل للاستعداد المعنوي والمادي ^(١)، فمن الناحية الاستراتيجية العسكرية أراد الإمام عليه السلام من التأجيل إجراء الاحترازمات الآتية:

أمر الإمام عليه السلام في ساعة متأخرة من تلك الليلة بحفر خندق من وراء الخيام، لمواجهة الأعداء من وجه واحد، فضلاً عن العديد من السمات التي ذكرناها سابقاً، وقد أمر بوضع الخطب فيه وأن يحرق بالنار عند بدء المواجهة ^(٢).

خرج الإمام عليه السلام في تلك الليلة وحده ليختبر التلال والروابي والأكمات المشرفة على الخيام مخافة أن تكون مكمناً للأعداء لهجوم خيلهم على مخيم الإمام عليه السلام ^(٣).

وفي تلك الليلة أيضاً اختبر الإمام عليه السلام أصحابه الاختبار النهائي لمعرفة مدى

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/ ٧٤.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٢٠؛ المفيد، الإرشاد، ٢/ ٩٥.

(٣) المرقم، موسوعة مقتل الحسين عليه السلام، ص ٢٤٠.

همتهم على الشهادة^(١)، فقد أراد معرفة مدى إخلاص مقاتليه الذين معه وحبهم للتضحية، وبذلك حقق نصراً معنوياً كبيراً على أنصار الباطل، رغم الهزيمة المادية، بما امتلكه من أفكار جعلته عليه السلام يحقق ذلك النصر العظيم.

(١) ينظر: الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٨٣؛ ابن نهار، مثير الأحرار، ص ٣٨.

الفصل الرابع

آثار القيام ودروسه

المبحث الأول آثار القيام

١- الخلود:

عندما يكون العمل خالصاً لله تعالى لا بد أن يكون لهذا العمل آثار مهمة في الدنيا والآخرة، فكيف إذا ما كانت هناك تضحية في النفس والعائلة في سبيل الله، فمن المؤكد أن تكون العاقبة من جنس العمل وأفضل لأن الله سبحانه كريم، وهذا ما تجسد في قيام الإمام الحسين عليه السلام الذي قدم لله عز وجل كل ما يملك فكان رده جل جلاله أن أعطاه كل ما يستحق وزاد في ذلك العطاء.

ومن هذه العطايا هو الخلود الأبدي إلى يوم القيامة كما هو مع جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم عترة النبي صلى الله عليه وآله الخالدة وهم الخالدون إلى يوم يبعثون، فوجودهم وآثارهم باقية مهما حاول الأعداء طمسها، وقد أشار الإمام علي عليه السلام في النهج إلى هذا المعنى بقوله عليه السلام:

(أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله: انه يموت من مات منا وليس بميت، ويبل من بلي منا وليس ببال) ^(١).

(١) ص ١٦٠.

٢٠٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

بين الإمام عليه السلام انه يموت الميت من أهل البيت عليهم السلام وهو في الحقيقة غير ميت لبقائه وجهاً ساطعاً ينير في عالم الظهور، وقد أشار إلى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(١)، أي أن ذكرهم يبقى وتعظيمهم يثبت مدى الدهر إلى يوم القيامة، لما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين ان أولياء الله لا يموتون ولا يبلون وإن بليت أجسادهم، لذلك فإن أهل البيت عليهم السلام أحياء بحياة آثارهم، إذ تدين الملايين بمبادئهم وتعالمهم، وقيل ان أبدان الأولياء لا تبلى أبداً، بل هي في جوف الأرض غضة طرية كما كانت على وجهها، وقال آخرون ترفع بأعيانها إلى ملكوت السماء وذهب آخرون إلى ان أرواحهم تنتقل إلى أبدان مثالية، ما يهمنها هو أن أولياء الله ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، أي انهم الباقون الأحياء عند ربهم إلى يوم القيامة^(٣).

انعكس هذا الفهم في موقف السيدة زينب عليها السلام وكلامها وهي ترد على يزيد في مجلسه، فكان من كلامها:

(فكد كيدك واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيناً ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها)^(٤).

(١) آل عمران/ ١٦٩.

(٢) البقرة/ ٦٢.

(٣) ينظر: البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ١٦٧؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٤٣٩؛ محمد عبده، نهج البلاغة، ١/ ١٥٤.

(٤) باختلاف الألفاظ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٢٣؛ ابن حمدون، التذكرة، ٦/ ٢٦٤؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ١٠٧؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ١٣٥.

هذا الكلام البليغ من السيدة زينب عليها السلام يجسد معنى الخلود الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام وللإمام الحسين عليه السلام ونهضته، ويوحي كلامها إلى جملة أفكار: أشارت عليها السلام إلى أنك مهما تحاول وبكل وسائلك الظالمة أن تمحو ذكرنا أو تطمس آثارنا لن تستطيع ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى قد كتب الخلود لأهل البيت عليهم السلام نتيجة ما قدموه في سبيله ومن أجل نيل مرضاته.

أشارت السيدة زينب عليها السلام إلى أن الوحي لا يموت وهذا فيه إشارة إلى صلة قريهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أجل تعريف الناس من هم الذين قتلهم يزيد وسبى عيالهم، وكذلك فيه رد على يزيد الذي أنكر وجود الوحي ونظر إلى الرسالة المحمدية على أنها ملك عندما قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(١)

إن هذا القول بين كفر وإشراك يزيد بالله لكنه يرتدي الزي الاسلامي للمحافظة على ملكه.

بينت السيدة زينب عليها السلام مقام أهل البيت عليهم السلام الذي لا يدركه حاكم أو خليفة أو متسلط.

إن أمر الخلود كتبه الله عز وجل لأهل البيت عليهم السلام وليس بيد أي من الظلمة أن يمحو آثارهم أو يطمسها وإن الأرض لا تخلو منهم وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٨/ ١٨٨. ينظر: الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ١٩١؛ الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٤؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٤٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٦٩.

(الآن مثل آل محمد، عليهم السلام، كمثل نجوم السماء: إذا خوى نجم طلع نجم) (١).
شبههم عليهم السلام بالنجوم ووجه الشبه أمران: أحدهما يستضاء بأنوار هداهم في سبيل الله مثلما يستضيء المسافر بالنجوم في سفره ويهتدي بها، وإينهم كلما مضى منهم إمام قام مقامه آخر أي قيام إمام بموت آخر، كطلوع نجم إذا خوى نجم -مال للمغيب-، والرفعة المختصة بهم عليهم السلام التي اختارها الله تعالى لهم، لا يشاركهم غيرهم فيها وسرور الناظر إلى نجوم الولاية كما يسره إذا نظر إلى نجوم السماء (٢).

قالت السيدة زينب عليها السلام ليزيد فإنك لا تمحو ذكرنا أي أن أهل البيت باقون، فكيف بمن قدم روحه الطاهرة لله تعالى وهو الإمام الحسين عليه السلام فمن المؤكد ينال تلك الدرجة فضلاً عن خلوده في قلوب المؤمنين وله حرارة لا تنطفئ أبداً، فقد أشار إلى ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

(إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً) (٣).

هذا ما جاء في معنى كلام السيدة زينب عليها السلام مع الإمام السجاد عليه السلام عندما رآته وهو يجود بنفسه لما رأى أباه وأهله مضرجين على رمضاء كربلاء فقالت عليها السلام:

(لا يجز عنك ما ترى فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراغته هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها،

(١) نهج البلاغة، ص ٢٠٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٩/٣؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٧/١٦١؛ الغروي، الأمثال والأحكام، ص ٤٥٠.

(٣) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ١٢/٥٥٦.

وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً^(١).

وهذا هو الخلود الذي ناله سيد الشهداء عليه السلام، فعلى المستوى المادي حاول كثير من أئمة الكفر طمس معالم القبر فلم يستطيعوا ذلك، من هؤلاء المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ) الذي حاول أن يمحو أثر قبر الحسين عليه السلام وذلك بأن يغرقه بالماء ولكن الماء لم يبلغ القبر الشريف وبقي حائراً لذلك سمي الحائر الحسيني وحرث موضع القبر وزرع ما حوله^(٢).

لا ينال هذه المرتبة الرفيعة إلا مَنْ أخلص لله فاستخلصه فهو المتقي الذي انطبق عليه وصف الإمام علي عليه السلام حينما قال واصفاً المتقي:

(قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه. قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلا أمها، ولا مظنة إلا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله)^(٣).

بيّن الإمام عليه السلام حال المتقي العارف الذي يخلص لله في جميع أعماله فلا يعمل إلا له عز وجل، لذلك جعله الله تعالى خالصاً لنفسه بأن أولاه عنايته ولطفه وجعله من خاصته فهو من معادن دينه، استعار لفظ معدن، ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما أصلاً تنتزع منه الجواهر، فمن المعادن أنواع الجواهر

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/١٧٩؛ البحراني، العوالم، ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٧/٣٦٥؛ الشهيد الأول، ذكر الشيعة، ٤/٢٩١.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٥٨.

المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والأخلاق وسائر ما اشتمل عليه دين الله، كونه من أوتاد أرضه، فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم، فإن الأرض تكون موضع رحمة بوساطة هؤلاء الأخيار ولولاهم لصرف الله سبحانه لطفه عن أهل الأرض، فهم كالوتد الحافظ لألواح الخشب بعضها مع بعض^(١).

ان هذا المتقي ألزم نفسه العدل أي يعدل في جميع الأمور، والعدالة ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لا تخلقاً، وأقسام العدالة ثلاثة هي الشجاعة، فالشجاع في الحرب جواد بنفسه، والثانية الفقه، والثالثة الحكمة، ولم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله ﷺ إلا لهذا الرجل الذي وصفه الإمام عليه السلام وأول عدله نفي الهوى عن نفسه، ويصف الحق ويعمل به، أي يتبع قول الحق بعمله، لا يدع للخير غاية إلا أمهاً، أي انه طالب لكل غاية خيرية، ولا مظنة إلا قصدها قد أمكن القرآن من زمامه أي قد أطاع الأوامر الإلهية، فالقرآن الكريم قائده وإمامه^(٢).

هذه الصفات غاية في المثالية للإنسان المتكامل من جميع الجهات التي يرضى بها الله تعالى فهو يكون من الخالصاء له عز وجل ويجعله من أوليائه، ولهذا نجد ان ابن أبي الحديد ت (٦٥٦ هـ) يقول: (ان هذه الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام والنعوت في شرح حال العارف المتقي، إنما يعني بها نفسه عليه السلام، وهو الكلام الذي له ظاهر وباطن، فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق وباطنه أن

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٩٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/١٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٣٧٠ و٣٧٢؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٩٦.

يشرح حال عارف معين وهو نفسه (عليه السلام) (١).

قال ابن أبي الحديد ذلك بعدما لم يجد انطباقاً في تلك الصفات على غير الإمام علي (عليه السلام) ولكنها صفات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من حيث الإيمان الشديد والتقوى والمنهج، فتلك الصفات تنعكس وتنطبق على الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك المصلح الثائر، ومن صور الانطباق:

ذكر الإمام علي (عليه السلام) ان من صفات المتقي هي انه قد أخلص لله فاستخلصه، فكان فعل الإمام الحسين (عليه السلام) في قيامه خالصاً لله سبحانه وفي جميع مراحل القيام حتى أشدها ألماً وأكثرها دلالة في القيام ومنها استشهاد ابنه الرضيع، فقد قال بعد مقتله:

(هَوَّنَ عَلِيٌّ مَا نَزَلَ بِهِ أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ) (٢)، فالحسين (عليه السلام) يسير بالألم والمصاب ما دام لله فيه رضى، فالحكمة والصلاح والخير هو ما يختاره الله، وان كان فيه ذهاب النفس والأهل والمال، فإن حصل شيء من هذا في سبيل الله، أو حصلت مجتمعة لم تضطرب النفس وبتزعزع الإيمان لأنها المطلب والهدف، فمن الطبيعي أن يستخلصه الله ويجعله من أوليائه الخالدين إلى يوم القيامة لما قدمه في سبيله جل شأنه (٣).

وَصَّحَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي ذِكْرِ صِفَاتِ الْمُتَّقِي الْعَارِفِ بِأَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، وَإِنْ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدَالَةِ الشَّجَاعَةُ وَالْفَقْهُ وَالْحِكْمَةُ، وَهَذَا الْأَمْرُ فِيهِ تَجَلُّلٌ وَإِنْطِبَاقٌ مَبَاشِرٌ عَلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَأَمَّا الْفَقْهُ وَالْحِكْمَةُ فَهُوَ مِنْ سَلَالَةِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ٦/ ٣٦٧.

(٢) ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٩؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ٤٦؛ البحراني، العوالم، ص ٢٨٩.

(٣) ينظر: مغنية، نظرات في التصوف والكرامات، ص ٦٥.

٢٠٦.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

وابن باب علم مدينته، وسيد شباب أهل الجنة فإن هذا الأمر لا يحتاج إلى توضيح، وأمّا الشجاعة فهو ابن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهذا يكفي ولكن نشير إلى بعض ما ذكره الرواة لبيان شجاعته عليه السلام، إذ قالوا عن بروز الإمام عليه السلام بأنه ما رأوا مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب ^(١).

إن العمل بالحق الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام كان من أهم أهداف الإمام الحسين عليه السلام في قيامه ^(٢)، بعدما طمست معالمه فهو بذلك يصف الحق ويعمل به.

ان عمل الخير الذي أشار إليه الإمام عليه السلام وهو من صفات المتقي فإنه متجسد في الإمام الحسين عليه السلام، فخروجه من أجل جلب الخير لأمة جده عليه السلام والرجوع بها إلى المسار الاسلامي الذي انحرفت عنه وهو بذلك طالب الخير لها، لكنها طلبت الشر وقتلته عليه السلام.

بين الإمام علي عليه السلام ان من صفات المتقي انه يمكن الكتاب من زمامه أي القرآن الكريم، والحسين عليه السلام هو القرآن الناطق، وهو الذي أطاع الأوامر الإلهية فالقرآن قائده وإمامه، لأن القرآن أمر بالعدل والاحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفض الظلم، وهذه كلها من أهم أهداف قيام الإمام

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/٥٠. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٧٥؛ الطبري، تاريخ

الرسول والملوك، ٤/٣٤٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٨٠؛ الفتال النيسابوري، روضة

الواعظين، ص ١٨٩.

(٢) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣١.

الحسين عليه السلام .

هذه الصفات وغيرها كلها انطبقت على الإمام الحسين عليه السلام فلذلك ليس غريباً أن ينال الخلود الأبدى من الباري عز وجل وأن يجعله من أخص أوليائه، فضلاً عن هذا تقديم النفس من أجل دين الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي انطمت تعاليمها لولا تلك الدماء الطاهرة، فأصبح الحسين عليه السلام منهجاً وعبرة ودرساً يتجدد كل يوم إلى يوم القيامة ونفساً ثورياً ضد الطغاة والظلمة.

٢- النفس الثوري ضد الطغاة والظلمة وفضحهم:

من الآثار المهمة للقيام هي تركه نفساً ثورياً متجدداً في نفوس الأحرار في العالم، لما جسده هذا القيام لأروع صرخة في وجه الظلم والطغيان مع قلة الناصر والفارق الكبير في الامكانيات في العدة والعدد، ورغم ذلك نجد الإمام الحسين عليه السلام قاد أعظم ثورة في التاريخ من أجل الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وسلم بعد أن شهدت إنحرافاً كبيراً خاصة في الزمن الأموي.

لهذا فالإمام عليه السلام زرع نفساً ثورياً في نفوس جميع المظلومين والأحرار، إذ إن واعيته عليه السلام كانت محفزة على الثورة والتحرر من العبودية، وهي صورة التصدي للانحراف لأن الواعية هنا خرجت عن اطارها الزمني الخاص لتشمل الأزمان كلها، وقد عبر الإمام علي عليه السلام عن هذا المفهوم بلغة خاصة حينما قال وهو يستنهض أصحابه لجهاد أهل الشام:

(اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة غير المفسدة، في الدين والدنيا، فأبى بعد سماعه لها إلا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإننا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك وسماواتك، ثم أنت بعد المغني عن نصره، والآخذ له

بذنبه) (١).

كان الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة يستنهض أصحابه إلى جهاد أهل الشام وقالها بعد تقاعس أكثرهم عن نصرته، واستشهد الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقاتلهم العادلة التي هي طريق الله لقيادة الناس إلى الرشاد في دينهم وديناهم المصلحة غير المفسدة لهم، وهي دعوته إياهم إلى جهاد أعداء الدين والبغاة عليه، وقد وصف الله بأكبر الشاهدين على ذلك لقوله تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ (٢)، فضلاً عن ذلك يقول عليه السلام نستشهد عبادك من البشر في أرضك وعبادك من الملائكة في سماواتك، ثم أنت بعد ذلك المغني لنا عن نصرته ونهضته (٣).

يدعو الإمام علي عليه السلام الله تعالى على من يستنصروه ولم ينصرهم ويجعله عز وجل شاهداً والبشر والملائكة، وهو بيان مهم لمن يسمع استنصار أهل البيت عليه السلام ولم يلبّ دعوتهم، ونجد صدق ذلك في ثورة الإمام الحسين عليه السلام الذي أشار في كلامه مع عبيد الله بن الحر الجعفي (٤)، الذي طلب الإمام نصرته لكنه رفض فقال له الإمام عليه السلام:

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٥.

(٢) الأنعام/ ١٩.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٦٠؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٧.

(٤) عبيد الله بن الحر الجعفي: من بني سعد العشيرة قائد من الشجعان الأبطال، من أصحاب عثمان ابن عفان، فلما قتل انحاز إلى معاوية وشهد معه صفين، بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام رحل إلى الكوفة فلما كان قيام الإمام الحسين عليه السلام حاول أن يتغيب ولا ينصره. وبعد أن لقيه الإمام عليه السلام في الطريق إلى كربلاء رفض نصرته، ويقال انه ندم بعد استشهاد الإمام عليه السلام على عدم نصرته وله شعر يدل على ذلك منه:

(فإلا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعتينا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك) (١).

ان هذه الواعية تُعدّ تأصيلاً للنفس الثوري عند من يطلب نصرته الإمام (عليه السلام) لأنه يعلم من ينصره ومن لم ينصره، فضلاً عن أنها تجاوزت الإطار الزمني والمكاني، وأصبحت محفزة للثورة ضد الطغاة والظلمة عبر الأجيال، فكان أول ثمارها ما حدث في واقعة الحرة عندما ثار أهل المدينة المنورة ضد يزيد وأنصاره (٢)، وامتدت في ثورة المختار الثقفي التي كان شعار (يا لثارات الحسين) العنوان الرئيس لها (٣)، وغيرها من الثورات للأحرار في العالم إلى يومنا هذا، ونحن نشاهد في ايماننا هذه تحقيق الانتصارات الكبيرة في العراق بشعار لبيك يا حسين على أصحاب الامتداد الفكري نفسه لأنصار جبهة الباطل.

فيا لك حسرة ما دمت حياً	ترد بين صدري والتراقي
حسين يطلب بذل نصري	على أهل الضلالة والنفاق
فقد فاز الأملى نصروا حسيناً	وخاب الآخرون ذوو النفاق

لذلك انظم إلى المختار لطلب ثأر الإمام (عليه السلام) لكنه انقلب ومضى إلى مصعب بن الزبير وقاتل المختار ثم حبسه مصعب وأطلق سراحه فثار على مصعب إلا أنه تفرق عنه عسكره فألقى نفسه في الفرات فمات غرقاً عام ٦٨ هـ. ينظر: ابن نما، ذوب النصار، ص ٧٢؛ البراقبي، تاريخ الكوفة، ص ٤٥٧؛ الزركلي، الأعلام، ١٩٢/٤.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٧/٤. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ٩٣؛

المفيد، الارشاد، ٨٢/٢؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥١/٤.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٧٠-٣٨١.

(٣) ينظر: الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ١٧٥-١٨٩.

إن الثورة الحسينية أصبحت مصدر إلهام لكل ثائر ومتحرر فإنها الشعلة التي أنارت طريق الثائرين في وسط ظلمة الجور والظلم، إذ إنها على الرغم من عدم تحقيقها النصر المادي العسكري إلا أنها فضحت الظالمين لاسيما الأمويين فكشفت حقيقتهم ودلت أفعالهم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على ذلك ولاسيما ما فعلوه مع النساء، فبعد استشهاد الإمام عليه السلام توجه الجيش الأموي نحو الخيام المقدسة، بيوت آل العصمة، وتسابقوا في سلبها ونهب جميع ما رأوه من الثياب والحلي حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها وخرجن بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتساعدن على البكاء ويندبن لفراق الحماة والأحباء^(١)،

وهذا ليس بغريب على هؤلاء فإن الإمام الحسين عليه السلام ما يزال على قيد الحياة وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الإمام عليه السلام برمح ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، فصاح النساء وخرجن من الفسطاط فصاح به الحسين عليه السلام يا ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي حرقك الله بالنار^(٢).

إن الأمويين بهذه الأفعال قد افتضحوا ولم يراعوا أي حدود للإسلام في التعامل حتى مع النساء ولو كأسرى حرب، وهذا ما زاد من النفس الثوري ضدهم سواء على المستوى البعيد أو القريب، فكان على المستوى البعيد قيام العديد من الثورات -كما أسلفنا- بعدما أسقطت الثورة الحسينية القناع

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص ٧٧؛ البحراني، مدينة المعاجز، ٧٩/٤.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٩٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٣٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/٣٤٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٦٩؛ النويري، نهاية الأرب،

الإسلامي الزائف عنهم وجردتهم من ادعائهم بالإسلام وتولي شؤون المسلمين وقد دلت أفعالهم على بعدهم كل البعد عن الإسلام، وأما المستوى القريب فكان في استمرارية الثورة والوقوف بوجههم في معقلهم بلاد الشام، وهو ما جسده السيدة زينب عليها السلام وهي تقف بوجه الظالم يزيد عندما قالت له:

(أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد) (١).

ذكرت السيدة زينب عليها السلام في هذا الخطاب الذي في صورة هجمات متلاحقة لا هوادة فيها ضد شخص الطاغوت، يزيد بذنبه العظيم الذي لا يمكنه الفرار منه وهو سوق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا، وقرعته بأنه ابن الطلقاء وان رسول الله قد عفا عن آبائه بعد فتح مكة فكيف يسوق بنات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذا عبر عشرات المنازل هاتكاً ستورهن سبايا؟ (٢)

استعملت السيدة زينب عليها السلام لفظ الطلقاء مع يزيد وهذا انعكاس من كلام أبيها عليه السلام وهو يرد في كتاب له جواباً لمعاوية، إذ قال:

(وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتميز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم) (٣). والطلقاء هم الذين عفا عنهم الرسول يوم فتح مكة ومعاوية وأباه من الطلقاء الذين لم يسلموا وإنما استسلموا عند فتح

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٥. ينظر: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٢١؛ ابن حمدون، التذكرة،

٢٦٣/٦؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ١٠٦.

(٢) ينظر: المدرسي، الصديقة زينب عليها السلام، ص ٧٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٨١.

٢١٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

مكة، ولم يكن لهم في الاسلام نصيب حتى يتمكنوا من التمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وأهم الأفضل وفي أي طبقة من الفضل^(١).

وقد انقلب السحر على الساحر في هذا المجلس فكانت كلمات السيدة زينب عليها السلام من جنس كلمات أبيها الإمام علي عليه السلام في الثورية وفضح المعتصب والظالم، فتمحور كلامها عليها السلام في محورين:

المحور الأول: بيان القوة الثورية والتصدي عند أهل البيت عليهم السلام لكل مظاهر الظلم والانحراف دون خوف أو وجل وبكل فئاتهم، وهو درس في الشجاعة وفيه مجابهة الباطل، وهو عين ما ورد عند الإمام علي عليه السلام كما سبق.

المحور الثاني: فضح يزيد ومن يقف خلفه أمام الملائم وأمام التاريخ وإظهاره دون حجة أولاً، وبيان انتمائه غير الإسلامي ثانياً، وهذا الأمر هو إكمال لما بدأ به الإمام الحسين عليه السلام في ثورته، وما انتهى إليه دمه الطاهر، لأن النتيجة في الثورة الحسينية لم تتحقق بمرحلة واحدة وإنما بمراحل متعددة تمتد إلى عصرنا الحاضر، مع كل نفس ثوري، متصدٍ للطغيان وفاضح للانحراف والقائمين عليه.

في هذا المجلس طلب الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام أن يلقي خطاباً لكن يزيد رفض وأبى؛ لأنه يعلم أن الإمام من آل الرسول صلى الله عليه وآله وما يمتلكون من حجة ومنطق وبلاغة لا يقاومها أحد، وقد أشار الإمام علي عليه السلام في النهج إلى ذلك بقوله:

(وإننا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه)^(٢).

(١) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣٥؛ البدري، نزهة النظر، ص ١٨٥؛ ينظر: فاطمة

عبد سعيد شلال، الطلقاء دراسة في المعنى وإشكالية القراءة التاريخية، صفحاتها جميعاً.

(٢) ص ٥٣٦.

استعار الإمام عليه السلام لفظ الأمراء لنفسه وأهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لأزمنة الكلام يتصرفون فيه تصرف الأمراء في ممالكهم، كيف وأصول الكلام فيهم تعلقت وفروعه عليهم تدلت، فهم منبت الكلام ومنشؤه وغيرهم يتناول غصونه التي عليهم تدلت، وان الفصحاء جميعهم بمنزلة عيال الإمام علي عليه السلام، لذلك فإن كلام أهل البيت عليهم السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق وهو في حد ذاته حجة قاطعة وشاهد صادق على أنهم أمراء الكلام ^(١).

هذا أمر أدركه يزيد بن معاوية عندما رفض خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مجلسه نتيجة معرفته بما ستؤول إليه الأمور من فضيحة للبيت الأموي أمام الرأي العام، ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام قال له:

(يا يزيد إئذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا، وهؤلاء الجلساء أجر وثواب) فأبى يزيد عليه ذلك وبعد أن ألح عليه الناس قال: (انه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فليل له وما قدر ما يحسن هذا فقال انه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، ثم لم يزالوا به حتى أذن له) ^(٢).

وهنا تطابق هذا الكلام مع وصف الإمام علي عليه السلام لأهل البيت عليهم السلام كما بينا، فألقى الإمام السجاد عليه السلام خطبة في مجلس الطاغية كانت متممة لنهضة والده أبي الشهداء عليه السلام وإنما أبانت فشل يزيد أمام التاريخ والأجيال اللاحقة، وكان مما جاء فيها تعريف لنفسه ولأهل البيت عليهم السلام فقال:

(وفضّلنا بأن منا النبي المختار محمد صلى الله عليه وآله، ومنا الصديق ومنا الطيار، ومنا

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/١١٣؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٣٨/١٥.

(٢) المجلسي، البحار، ٤٥/١٣٧؛ البحراني، العوالم، ص ٤٣٨.

أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة...) (١).

أخذ الإمام عليه السلام يعرف نفسه ثم ما زال يقول أنا أنا حتى ضج الناس بالبكاء فخشى يزيد الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن من أجل قطع الخطبة (٢)، وهذا يدل على استمرار النفس الثوري ضد الظلمة وأدى هذا الكلام إلى أن تتبخر كل الدعايات المضللة التي روجتها السياسة الأموية، التي تركزت على ان الأسرى هم من الخوارج! فبدل نشوة الانتصار إلى حشجة الموتى في حلوق المحتفلين (٣).

كان كلام الإمام السجاد عليه السلام متطابقاً مع كلام الإمام علي عليه السلام في كتاب له جواباً على معاوية جاء فيه:

(وأنى يكون ذلك ومنا النبي ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيديا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خيرة نساء العالمين، ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم) (٤).

وجد السيدة زينب عليها السلام في موقف آخر في مجلس يزيد شككت في اسلامه وفضحته بما يتناغم مع كلام الإمام علي عليه السلام في كتاب أرسله إلى معاوية كان مما جاء فيه:

(وإني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين) (٥).

(١) المجلسي، البحار، ٤٥/١٣٨؛ البحراني، العوالم، ص ٤٣٨.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ٥/١٣٣.

(٣) ينظر: الجلال، جهاد الإمام السجاد عليه السلام، ص ٥٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٨٣.

(٥) نهج البلاغة، ص ٥٥٨.

أشار الإمام علي عليه السلام بأنه على الطريق الحق الذي لم يدخل فيه أبو سفيان ومعاوية طوعاً ورجبة وإنما استسلموا خوف القتل لما اقترفوا من الآثام والإجرام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل فتح مكة، واضطر أبو سفيان عند الفتح لقول لا اله إلا الله وأظهر التردد في شهادة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنه اضطر في الآخر أن يعلنها خوف القتل ولتحقيق المصلحة الذاتية^(١).

إنهم لم يؤمنوا بالإسلام وهو الأمر الذي أشارت إليه السيدة زينب رضي الله عنها عندما قال لها يزيد: خرج من الدين أبوك وأخوك، فكان جوابها رضي الله عنها ذا أثر كبير، إذ قالت:

(بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً)^(٢)، وفي هذا الكلام أشارت رضي الله عنها إلى أمرين مهمين:

الافتراض ان يزيد من المسلمين فإن هذا الدين الذي يدين به قام على أكتاف أمير المؤمنين رضي الله عنه وبسيفه (ذو الفقار)، والحسين رضي الله عنه خرج من أجل إصلاح هذا الدين الذي انحرف عنه الناس أمثال يزيد وأعوانه.

إنها رضي الله عنها طعنت أساساً في الإسلام الأموي بقولها ليزيد إن كنت مسلماً، وما يؤيد ذلك أفعاله البعيدة كل البعد عن الإسلام ومبادئه وشرائعه، فتجاوزه على الحرم وقتله للحسين رضي الله عنه يكفي لخروجه عن الإسلام والرسالة المحمدية.

إن القيام أطر لنفس ثوري متجدد وبانعكاس مباشر أو غير مباشر لكلام

(١) ينظر: مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٦/٣؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤٤٧/٣.

(٢) المفيد، الارشاد، ١٢١/٢. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٥٣/٤؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ١٧٧/٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٢/٨.

٢١٦.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الإمام علي عليه السلام وأفعاله في هذا الاتجاه، فالحسين عليه السلام أعطى درساً بأن النصر مفهوم لا ينحصر بالقضاء على الخصم عند المواجهة وإنما مفهوم أوسع من ذلك، فإن بقاء القيم التي ضحى صاحبها من أجلها هو أكبر دليل على النصر، وإن بقاء قيمه عليه السلام التي ضحى من أجلها جعلتها مثلاً يحتذى بها لكل متحرر وثنائر ضد الطغاة والظلمة.

٣- الثواب:

الثواب هو جزاء لعمل ما، ولكن هذا الثواب يتناسب وطبيعة العمل أو طبيعة التصدي للمشكلة أو للاختبار، فيقول الإمام علي عليه السلام:

(كلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل)^(١)، فالمتحكم بنوعية الثواب هو درجة البلاء، فكلما كان الاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء على الإيثار والطاعة موافقة لتلك البلوى، بمعنى أن الإمام عليه السلام قال: إن الله تعالى أراد أن تكون هذه الأمور خالصة له لا يشوبها شائبة، وذلك الإخلاص وإن كانت فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة فإن الأجر على قدر المشقة^(٢)، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء)^(٣).

كان أساس قيام الإمام الحسين عليه السلام هو من أجل دين الله تعالى ومن أجل إصلاح أمة نبيه صلى الله عليه وسلم بعد انحرافها، وإحياء شرائع الله مثل الأمر بالمعروف

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٧٨؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/١٢٧.

(٣) ينظر: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ الكليني، الكافي، ٢/٢٥٣؛ الصدوق، الخصال، ص ١٨؛ الكاشاني،

والنهي عن المنكر وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بقوله:

(وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب) (١).

إن الإمام الحسين عليه السلام قدم الكثير من التضحيات من أهله وأصحابه في سبيل دين الله وإحياء سنة رسوله عليه السلام بإيمان مطلق وتسليم خالص لله، وتظهر مواقفه ذلك ومنها ما أسلفنا ذكره من قوله بعد استشهاد الرضيع عليه السلام:

(هوّن علي ما نزل بي أنه بعين الله) (٢)، هذا مبلغ أهل البيت من الدين واليقين بالله وهذه منزلتهم من العلم به سبحانه والتوجه إليه بالفعل قبل القول، وهذا هو التجرد عن الدنيا وغاياتها، والفناء في حب الله عز وجل والانجذاب إليه (٣)، فأى درجة ثواب من الممكن الحصول عليها من تكون تلك سماته وتضحياته في سبيل الله؟ وهذا ما جسده الإمام الحسين عليه السلام في تضحياته التي أراد منها القربى إلى الله، فنجده وبعد أن أصيب بسهم يقول:

(اللهم هذا فيك قليل) (٤)، فكيف يمكن أن يكون رد الله تعالى وهو الكريم على ذلك؟ فإن من المؤكد أن يكون رده عز وجل في أعلى درجات الثواب التي من الممكن أن يستحصلها انسان خالص بعمله لله.

فلسفة هذه المواقف من الإمام الحسين عليه السلام تقوم على انه كان يعلم بأن كل

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٤١.

(٢) ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٩؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ٤٦.

(٣) ينظر: مغنية، نظرات في التصوف والكرامات، ص ٦٥.

(٤) الشامي، الدر النظيم، ص ٥٥١.

شيء فإن إله وجه الله فلماذا لا يقدم كل شيء لله، فأين الأمم السابقة كلهم ماتوا وهلكوا وبقي فقط الملك لله وحده وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام علي عليه السلام بقوله:

(أين العمالقة وأبناء العمالقة! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة! أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، وأطفؤوا سنن [سير] المرسلين، وأحيوا سنن الجبارين! أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا بالألوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن)^(١).

إن هؤلاء جميعاً قد مضوا فأين العمالقة؟ وهم الرجال الأقوياء الذين كانوا يملكون اليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم وقد عاثوا في الأرض فساداً، وأين أبناؤهم فإنهم قد ماتوا ودولتهم أبيدت فلا أثر لهم والفراعنة وأبناؤهم ملوك مصر أيضاً قد هلكوا، وأصحاب مدائن الرس الذين كانوا يعبدون الشجر وهي قرية بفلج اليمامة، وقيل بئر عظيمة انخسف بهم بعد أن أتاهم نبي ينهاهم عن الشرك بالله قتلوه فأهلكهم الله بعذاب شنيع وقد أطفؤوا هؤلاء سنن المرسلين الذين هم مصابيح تنير دروب الحياة، ليرى الإنسان المنهاج المسعد له في دنياه، وأحيوا هؤلاء سنن الجبارين الذين مسلكهم جبر الناس على الباطل، وأين الذين ساروا إلى أعدائهم بالجيوش وهزموا بالألوف من جيش الأعداء لقوتهم وغيرهم فقد ماتوا كلهم وينبغي للعاقل أن يتعظ من ذلك ولا يغتر بالدنيا ولا يعمل بها ما يوجب عقابه واتكاله الأبدي^(٢).

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٢.

(٢) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ١٩١؛ البحراني، مصباح السالكين، ص ٣٧٥؛ الحسيني

الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٩٨.

نجد ذلك في كلام الإمام الحسين عليه السلام وهو يوصي به أخته السيدة زينب عليها السلام إذ قال عليه السلام:

(يا أختاه تعزي بعزاء الله وأرضي بقضاء الله فإن سكان السماوات يفتنون وأهل الأرض يموتون، وجميع البرية لا يبقون)^(١).
أراد الإمام عليه السلام:

- أن يصبر السيدة زينب عليها السلام عن قتله بقوله إن سكان السماوات لا يبقون وإن أهل الأرض يموتون ويخفف عنها ألم فراقه.

- أراد عليه السلام الإشارة إلى أن هذه الدنيا لا تستحق الاغترار بها وإنه يرجو الثواب من الله تعالى، لما بعد استشهاده وما يقدمه في سبيل هذا القيام، فكل شيء هالك إلا وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

- أراد الإمام عليه السلام اعداد السيدة زينب عليها السلام لما بعد الاستشهاد لإتمام رسالة القيام وأهدافه^(٢).

(١) ابن أعثم، الفتوح، ٥/ ٨٤. ينظر: يعقوبي، التاريخ، ٢/ ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣١٩؛ المفيد، الارشاد، ٢/ ٩٤؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٣٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٥٠.

(٢) إن نتيجة إعداد الإمام الحسين عليه السلام للسيدة زينب عليها السلام لما بعد الاستشهاد لإكمال رسالة القيام نجدها قد تركت أثراً كبيراً عليها عليها السلام في جميع المراحل التي مرت بها بعد الاستشهاد، إذ إنها عليها السلام كانت تتكلم بلغة المنتصر في المعركة ولم يظهر عليها أي أثر لانهازم عسكري أو مادي كبير، ودليل ذلك هو ما أحدثته وقامت به في معاقل الأعداء سواء في الكوفة أو بلاد الشام بما ألقته من خطب ومواجهة الطغاة الظلمة هزت الأعداء في معاقلهم كأنها هي المنتصر بالمقاييس كلها والعدو هو المنهزم عسكرياً ومعنوياً، فقد واجهت أهل الكوفة بخطاب أنبتهم به مع قائدهم ابن زياد، ومن ثم في بلاد الشام، نجدها قد واجهت الظالم يزيد بلغة لم يتجرأ عليها أي أحد عندما قالت: (ولئن

٢٢٠.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الذي يتتبع مراحل القيام الحسيني يجد الحرص على تحقيق أعلى درجات الانضباط والصبر على البلاء وفي أحلك الظروف ولاسيما بعد الاستشهاد لأنهم كانوا ينظرون إلى أبعد من الجزاء المادي الدنيوي أو ما شابهه، ومن ذلك ما يتعلق برفض أخذ الصدقات حتى لسد الرمق لأنها محرمة على أهل البيت عليهم السلام على الرغم من ان نوعية الظرف والاستثناء فيه ربما تؤخذ بنظر الاعتبار عند الناس الآخرين إلا ان مسار أهل البيت عليهم السلام يندرج في طلب الثواب المعنوي، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى تلك القاعدة حينما استاء ممن يحاول أن يلغيها لمجرد مصالح مادية فقال عليه السلام:

(وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتتها^(١) كأنما عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت: أصله أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت!)^(٢).

يتعجب الإمام عليه السلام من طارق طرفهم ليلاً في وعاء مغطى فيه حلوى ملفوفة كرها ويبن شدة كراهيته لها والنفير منها بوصفها كالسم الناقع في جوف الأفعى الموجب لغاية البخل والنفرة، فقلت صلة أم زكاة أم صدقة؟ كل منها محرم علينا أهل البيت عليهم السلام، ولم يذكر الهدية لأنه لم يكن في وهم عاقل قبول الإمام عليه السلام

جرت علي الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك)، وهذا بفعل الاعداد الكبير من الامام الحسين عليه السلام لها عليه السلام. ينظر: ابن طاووس، اللهوف، ص ١٠٧؛ المجلسي، البحار، ٤/ ١٣٤.

(١) شنتتها: أبغضتها أو كرهتها. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢١٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٠١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٢٤.

لها خصوصاً زمان خلافته (١).

وهذا موجود في موقف عائلة الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده وذلك برفضهم الصدقة (٢)، على الرغم من اختلاف الظرف في كلا الموقفين -الإمام علي عليه السلام وعائلة الإمام الحسين عليه السلام- إلا أنهم لم يخرجوا عن الإطار الشرعي لأهل البيت رغم حراجه الموقف واشتداده عليهم لأنهم أرادوا الثواب من الله تعالى عما فعلوه فهو المعطي والمجزي لهم عما قدموه من تضحيات وإيثار في سبيله عز وجل.

إن الإمام الحسين عليه السلام نال أعلى درجات الثواب والرضا عند الله تعالى، فشهادته عليه السلام تشابه شهادة يحيى بن زكريا عليه السلام وهو القائل:

(من هوان الدنيا على الله ان رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني اسرائيل) (٣)، لكن الله عز وجل كرمه في القرآن بتكريم منقطع النظير حينما قال:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٤)، فأبي درجة يمكن أن يتصورها أحد قد وصل إليها الإمام الحسين عليه السلام من الثواب والرفعة عند الله تعالى بما قدمه من تضحيات في سبيله سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٨٦؛ الخوئي، منهاج البراعة، ١٤/٢٩٥؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/٣١٨.

(٢) ينظر: المجلسي، البحار، ٤٥/١١٤؛ البحراني، العوالم، ص ٣٧٣.

(٣) المفيد، الارشاد، ٢/١٣٢؛ الطبرسي، اعلام الورى، ١/٤٢٩؛ ابن نما، مثير الأحزان، ص ٢٩؛ الاحسائي، عوالي اللئالي، ٤/٨١.

(٤) مريم/ ١٥.

٤- الإعداد المستقبلي:

لكي يكتب لأي ثورة النجاح سواء قبل أو أثناء أو بعد قيامها لا بد أن يكون هناك أشخاص معدين ومهيئين لها، ولاسيما إذا ما كان قائدها له تصور كامل عما سوف يجري من أحداث ومن أمور، لذلك نجد أن الإمام الحسين (عليه السلام) أخذ يعد أشخاصاً لإكمال رسالة القيام وأهدافه مثل السيدة زينب (عليها السلام) وكيف أصبحت تمثل الجانب الاعلامي المعرف للناس بالقيام وأهدافه ومبادئه وايصال رسالته لهم.

والإمام السجاد (عليه السلام) كان أحد الأشخاص الذين أعدهم الإمام الحسين (عليه السلام) لما بعد القيام بشكل وبدور يختلف عن دور السيدة زينب (عليها السلام) لأنه إمام مفترض الطاعة وله رسالة يجب أن يوصلها إلى الناس بأمر ومدة معينة، لهذا لم يشارك في واقعة الطف في القتال، وهو الأمر الذي حدث زمن الإمام علي (عليه السلام) مع ولده الإمام الحسن (عليه السلام) وذلك في بعض أيام صيفين وقد رأى الإمام الحسن (عليه السلام) يندفع في الحرب فقال (عليه السلام):

(أملكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنني أنفسي بهذين -يعني الحسن والحسين (عليهما السلام)- على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

شاهد الإمام علي (عليه السلام) ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ومسارعته إلى الحرب وكان بنفسه غير متمكن من حفظه وممانعته فأمر أصحابه وقال املكوه من التسرع وامنعوه، واحفظوه منع المالك لملكه وحفظه إياه، لأنه لو كان ممكناً لي لكنت أملكه وأراقبه غاية المراقبة، فحيث انه لا يمكن لي ذلك فكونوا مالكين له مراقبين عليه بدلاً مني وراقبوه مثل مراقبتي غير متوانين ولا مقصرين وعلل

ذلك ﷺ لئلا يكسرنى لأن التسرع إلى الحرب مظنة القتل والهلاك وموت الولد الصالح وخصوصاً مثل الإمام الحسن ﷺ، ثم قال فيني أبخل على الموت بهذين -يعني الإمامين الحسن والحسين ﷺ- لكي لا ينقطع بسبب موتها نسل رسول الله ﷺ (١).

لماذا هذا الإهتمام والخوف من الموت على الإمام الحسن ﷺ مع وجود الإمام الحسين ﷺ؟ أي من الممكن إذا ما استشهد الإمام الحسن ﷺ أن يكمل الإمام الحسين ﷺ المسير والإمامة، وكما هو حاصل فإن الأئمة ﷺ من نسل الإمام الحسين ﷺ.

ان الأمر ليس بهذه الصورة وإنما هو أبعد من ذلك، إذ ان الإمام علياً ﷺ بهذا التصرف كأنما يشير إلى الإمامة، أي ان كل إمام له رسالة محددة ووقت معلوم يبلغ فيه رسالته وليس لإمام آخر أن يتجاوز على وقت الإمام الذي قبله وهذا الذي حصل مع الإمام الحسن ﷺ ونجده تجلّى في موقف الإمام الحسين ﷺ في منعه للإمام السجاد ﷺ من القتال يوم كربلاء فلما خرج الإمام زين العابدين ﷺ من الخيمة وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه وعمته تنادي خلفه يا بني ارجع، فقال يا عمته ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين: (خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد ﷺ) (٢)، إذ إن هذا الموقف يوحي بعدة صور أهمها:

جسد الإمام علي بن الحسين ﷺ موقفاً مهماً في كيفية إطاعة إمام الزمان وذلك عندما خرج وقال: يا عمته ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، أي

(١) الخوئي، منهاج البراعة، ١٣/٩٨؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٣٠؛

(٢) ينظر: المجلسي، البحار، ٤٥/٤٦؛ البحراني، العوالم، ص ٢٨٩.

انه عليه السلام في هذا الوضع ومع وجود الإمام الحسين عليه السلام لم تبدأ رسالته وعليه أن يلبي ويطيع إمامه وهو أباه عليه السلام لذلك خرج ليقاوم بين يديه، وفي الوقت نفسه رجع بأمره لأنه أراد إعداد ما بعد الاستشهاد لإتمام رسالة القيام.

والأمر نفسه ينطبق على وجود الإمام الباقر عليه السلام يوم كربلاء ومع ذلك تمت الإشارة للسجاد عليه السلام فالكثير من الروايات تشير إلى وجود الباقر عليه السلام في واقعة الطف^(١)، فلماذا قال الإمام الحسين خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد ﷺ، وهذا ما يشابه موقف الإمام علي عليه السلام مع الإمام الحسن عليه السلام بوجود الإمام الحسين عليه السلام، أي ان الإمام السجاد عليه السلام سوف تبدأ امامته بمجرد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وهو الذي أعد ما بعد استشهاد أبيه لتولي أمور المسلمين وللتصدي لجميع التحديات التي تواجه الأمة الاسلامية بعد أبيه عليه السلام وإكمال ما خرج من أجله الإمام الحسين عليه السلام وإصلاح ما يمكن إصلاحه من أمة الرسول ﷺ.

حمل الإمام السجاد عليه السلام المسؤولية وتصدى للتحديات التي واجهت الأمة الاسلامية الداخلية والخارجية واتخذ من الدعاء^(٢) خير وسيلة للتربية

(١) ينظر: اليعقوبي، التاريخ، ٢/٣٢٠؛ الكليني، الكافي، ٤/٢٢٣؛ المجلسي، البحار، ٣١/٣٣.

(٢) إذ نجد حتى في قضية الدعاء ان الإمام الحسين عليه السلام قد أعد الإمام السجاد عليه السلام لها مبكراً وذلك حينما علمه وهو في يوم العاشر من محرم دعاءً مهماً، فقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام قوله: ضمنى والذي عليه السلام إلى صدره يوم قتل والدماء تغلي وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاء علمتني فاطمة (عليها السلام) وعلمها رسول الله ﷺ وعلمه جبرئيل عليه السلام في الحاجة والهيم والغم والنازلة والأمر العظيم الفادح، قال: ادع بحق يس والقرآن الحكيم وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفساً عن المكروبين، يا مفرجاً عن المغومين، يا راحم الشيخ الكبير ويا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا. ينظر: الراوندي، الدعوات، ص ٥٤٦؛ المجلسي، البحار، ٩٢/١٩٦.

الروحية، ومنذ الوهلة الأولى تصدى ﷺ لأحد أبرز الانحرافات عن الدين وهو قول الجبرية، الذين يقولون بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي وارتكاب الذنوب (١).

إن الإمام علياً ﷺ تصدى منذ وقت مبكر لهذا القول وذلك في كلامه للسائل الشامي لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال الإمام ﷺ:
(ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازماً، وقدرًا حتمًا! لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد. ان الله سبحانه أمر عباده تخيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً) (٢).

بيّن الإمام ﷺ هنا لو كان الإنسان مسيراً كما يقول الجبريون لبطل الثواب والعقاب حيث يكون الإنسان والحال هذا تماماً كريشة في مهب الريح وفعله كثمرة على شجرة وبذلك بطل مذهب الجبرية لأن الثواب نفع مقارن للتعظيم والمحمدة، والعقاب ضرر مقارن للإهانة واللوم، وكذلك لسقط الوعد على الطاعة والوعيد على المعصية لأن الوعد والوعيد فرع عن وجود الثواب والعقاب، ولم تأت لائمة من الله سبحانه لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب (٣).

(١) ينظر: الحسين، التحفة العسجدية، ص ٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٧٣٤.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ٢٢٨؛ المجلسي، مرآة العقول، ٢ / ١٧٥؛ مغنية،

في ظلال نهج البلاغة، ٤ / ٢٦١.

نجد امتداد هذا في موقف الإمام السجاد عليه السلام في مجلس ابن زياد في الكوفة عندما أراد الأخير أن يجسد قول الجبرية بقوله ان الله عز وجل هو الذي قتل الحسين عليه السلام وولده وأصحابه، وذلك عندما التفت إلى الإمام عليه السلام وقال: من هذا؟ فقيل علي بن الحسين عليه السلام فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال له الإمام: (كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس) فقال ابن زياد: بل الله قتله. فقال الإمام^(١): (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)^(٢).

جسد موقف الإمام عليه السلام هذا أمرين مهمين:

انه ونتيجة لإعداد الإمام الحسين عليه السلام للإمام السجاد عليه السلام لما بعد الاستشهاد فضلاً عما يتمتع به الإمام عليه السلام من شجاعة كبيرة، نجده لم يرهب ابن زياد ووقف في وجهه في مركز قوته ومجلسه في الكوفة، هذا فضلاً عن الانسجام والتناغم الفكري مع طرح الإمام علي عليه السلام في النهج كما أسلفنا.

نجد أن الإمام عليه السلام قد تصدى منذ وقت مبكر لقول الجبرية ورأى ان من مسؤوليته الشرعية أن يقوم بذلك التصدي، ومن ثم فإنه لم يدع قول ابن زياد يمر مرور الكرام عندما قال أليس الله قد قتل علياً، أي نسب القتل إلى الله سبحانه وتعالى، فكان رد الإمام عليه السلام بأن الناس قد قتلوه.

(١) الشامي، الدر النظيم، ص ٥٦١. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٧٩؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل، ص ١١٩؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ٢٥١؛ ابن عبد البر، التمهيد، ٩/ ١٥٧؛ الطبرسي، اعلام الوري، ١/ ٤٧٢؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ٤١/ ٣٦٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٥؛ ابن طاووس، اللهوف، ص ٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢١١.

(٢) الزمر/ ٤٢.

وموقف آخر تصدى فيه الإمام السجاد عليه السلام إلى هذا القول، لأن الجبرية قد انشرت وخاصة بين الأمويين وأتباعهم بسبب ان معاوية بن أبي سفيان قد أخذ يثقف لهذه الظاهرة بشكل كبير^(١)، ولهذا نجد الإمام يتصدى لقول يزيد بالجبرية وفي مجلسه، وذلك عندما دخل الإمام السجاد عليه السلام عليه في جملة من حمل إلى الشام سبايا من أولاد الإمام الحسين عليه السلام وأهله قال يزيد: (يا علي الحمد لله الذي قتل أباك! فقال الإمام عليه السلام قتل أبي الناس، قال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفانيه! قال الإمام: علي من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عز وجل؟)^(٢)

جسد الإمام السجاد عليه السلام في هذه المواقف البطولة والشجاعة المكملة لرسالة القيام وأهدافه، لاسيما وأنه وقف بوجه الظالمين في معقل ديارهم، ولأن واحداً من أهداف القيام هو الإصلاح في أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن ذلك فإن الإمام عليه السلام بدأ بحمل هذه المسؤولية الشرعية والإمامة في التصدي لتلك الانحرافات عن الدين الإسلامي، وكان أحد أهم العوامل المساعدة على تلك المواقف البطولية للإمام عليه السلام هو الإعداد المبكر من الإمام الحسين عليه السلام فضلاً عن التواؤم مع مواقف الإمام علي عليه السلام في هذا المجال التي تركت أثراً واضحاً على الإمام السجاد عليه السلام وعلى المشروع بشكل عام.

(١) ثقف معاوية للجبري بشكل كبير من أجل ترسيخ لقب خليفة الله فيه وله كثير من الخطب تدل على ذلك منها قوله: (لو لم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره ما نحن فيه لغيره!)، وكان يقول أيضاً (أنا عامل من عمال الله أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله، ولو كره الله أمراً لغيره)، ولم يزل ذلك في بني أمية حتى قال الحجاج وقد قتل رجلاً لأجل إظهاره حب الإمام علي عليه السلام: (اللهم أنت قتلته، ولو شئت منعني منه). هذا هو الذي شدد قبضة الأمويين على العباد والبلاد ومكنهم من قتل الإمام الحسين عليه السلام بكل جرأة. ينظر: الحسين، التحفة العسجدية، ص ٢.

(٢) (الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٨؛ المجلسي، البحار، ٤٥/ ١٦١؛ البحراني، العوالم، ص ٤٠٧.

المبحث الثاني

دروس القيام الأخلاقية والوعظية

١- التعاطي مع صفة الغدر:

الغدر أحد الصفات المذمومة في المجتمع والمحرمة في التشريع الإسلامي لما لها من آثار سلبية ونتائج مؤذية إلى انعدام الثقة داخل المجتمع وبين أفرادها، وقد تفاعل مع هذه الصفة كثير من الناس لأنها تحقق نتائج سريعة وبطرائق غير شرعية من أجل تحقيق مصلحة ذاتية شخصية على حساب المصلحة العامة، ونجد كثيراً من الأحاديث النبوية تنهى عن هذه الظاهرة السيئة ومنها قول الرسول ﷺ:

(ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان)^(١)، وكذلك الإمام علي عليه السلام قال:

(إياك والغدر فإنه أقبح الخيانة وإن الغدور لمهان عند الله بغدره)^(٢)، لذلك فإن لهذه الصفة تأثيراً في المجتمع وحساباً عظيماً يوم القيامة، مثلما أشار الإمام

(١) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٢/٩٥٩؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٦/٣٣٦.

(٢) الليثي، عيون الحكم، ص ٩٦.

٢٣٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

علي عليه السلام إلى أن صاحبها مهان عند الله من أجل ان يمتنع الناس عن التخلق بها.
من هذا المنطلق فإن الإمام علياً عليه السلام يضع ضابطة مهمة للحذر من الغدر
بقوله عليه السلام:

(أيها الناس! ان الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه وما يغدر من
علم كيف المرجع)^(١).

يبدأ الإمام عليه السلام كلامه بالوفاء والصدق قبل أن يتكلم عن الغدر ويعطي ميزة
للوفاء من أجل أن يبتعد الناس عن الغدر، إذ إن الوفاء ملكة نفسانية ينشأ من
لزوم العهد مثلما ينبغي البقاء عليه، والصدق ملكة تحصل من لزوم الأقوال
والمطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة، متلازمتان ولا يفترق
الصدق عن الوفاء ولا الوفاء عن الصدق وجوداً ومنزلة، ان من لا وفاء له لا
دين له، فإنه وقاية تامة للمرء والوفي محفوظ من الله، مشكور بين الناس، ومن
علم الآخرة وطوى عليها عقيدته منعه ذلك من أن يغدر، فالغدر يحبط الايمان،
أي لا يغدر من كان له علم بعواقبه في الدارين العذاب الأليم في الآخرة والعار
في الدنيا^(٢).

ان هذا المنطق انعكس في موقف مسلم بن عقيل من صفة الغدر فإنه بالتأكيد
يعلم كيف المرجع إلى الله تعالى، فهو من سلالة الرسول صلى الله عليه وآله وابن أخ سيد
الوصيين الإمام علي عليه السلام وكان على علم ودراية تامة بهامية الغدر وما هو تأثيره
وحرمته عند الله سبحانه فامتنع عليه السلام من التخلق بهذه الأخلاقية على الرغم من ان

(١) نهج البلاغة، ص ٩٤.

(٢) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٠٤؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٢٥٧؛ الخرساني،

مفتاح السعادة، ٦/ ٣٢٠؛ الغروي، الأمثال والحكم، ص ٣١٠.

الفرصة كانت مؤاتية له وكان من الممكن تحقيق نتائج غاية في الأهمية لو مارس الغدر مع عبيد الله بن زياد، يمكن تصفية الأمور في الكوفة لمصلحته، عندما أراد شريك بن الأعور^(١) من مسلم بن عقيل أن يقتل عبيد الله بن زياد إلا ان مسلم لم ينفذ ذلك بالغدر فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال مسلم منعني منه خلتان احدهما كراهية هانئ^(٢) لقتله في منزله، والأخرى قول الرسول ﷺ:

(١) شريك بن الأعور: كان من شيعة الإمام علي^{عليه السلام}، شهد معه الجمل وصفين، له مواقف بطولية ضد الأمويين ولعل منها موقفه مع معاوية إذ دخل عليه يوماً وكان شريك دميماً فقال له معاوية: إنك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله شريك وأن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك، فقال: وانك معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين وخرج يقول:

أيشتمني معاوية ابن حرب وسيفي صارم ومعني لساني

وهو الذي حرض مسلم بن عقيل على قتل ابن زياد حين أتى لعيادته في دار هانئ، وقد مات في الكوفة سنة ٦٠ هـ. ينظر: ابن سعد، ترجمة الإمام الحسين^{عليه السلام}، ص ٦٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٧٩/٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٧١؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٧٢/٢.

(٢) هانئ: بن عروة، بن الفضفاض، الغطيفي المرادي، أحد سادات الكوفة، وأشرافها ومن أعيان الشيعة، أدرك النبي ﷺ وتشرف بصحبته، لأنه يوم استشهد كان عمره تسعة وثمانين سنة، وقد شهد الجمل مع الإمام علي^{عليه السلام}، نزل مسلم داره، وخاف هانئ على نفسه من ابن زياد فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، إلا أن ابن زياد أرسل في طلبه وبعد قدومه طلب منه أن يسلمه مسلم فرفض هانئ وانتهى الكلام بضربه من ابن زياد ثم بعد قتل مسلم قتله ابن زياد بالسوق. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/٥٩؛ الطبرسي، أعلام الوري، ١/٤٤٠؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٢/٣٤٥؛ النهازي، مستدركات، ٨/١٣٨؛ ابن حجر، الإصابة، ٦/٤٤٥.

(إن الإيمان قيد الفتك^(١)، لا يفتك مؤمن)^(٢)، فقال شريك: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً^(٣).

إن مسلماً لم يقدم على اغتيال عدوه الماكر لأن الإيمان قيد الفتك، وهذه كلمة كبيرة المغزى، بعيدة المدى، فإن آل علي عليه السلام من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة، واختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخديعة وهذه صفة معروفة فيهم عن أسلافهم، وموروثه في أخلاقهم، فهم مخلوقون لإقامة حكم العدل والفضيلة في قلوب العرفاء الأصفياء، وقد حفظ لهم التاريخ الكراسي في القلوب^(٤).

جسد مسلم بن عقيل العديد من الصور والدروس الأخلاقية الجميلة ومنها:

إنه لم يرغب في الإساءة إلى الشخص الذي آواه في داره وهو هانئ لأنه كان كارهاً لقتل ابن زياد في داره، وبذلك أراد أن يجنبه الأذى في حال قتله لذلك لم

(١) الفتك: الغدر، والفتك في القتل يأتي الرجل الرجل وهو غار مطمئن لا يعلم بمكان الذي يريد قتله حتى يفتك به فيقتله أو يكمن له في شجرة أو على جبل حتى يقتله غافلاً. ينظر: ابن سلام، غريب الحديث، ٣/٣٠١؛ ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص ٤٠٥؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/٤٧١.

(٢) ينظر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: ابن حنبل، مسند احمد، ١/١٦٦؛ البخاري، التاريخ الكبير، ١/٤٠٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٩/٣١٩.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٧١؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٦٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٢٧؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٣٩٢.

(٤) ينظر: البراقبي، تاريخ الكوفة، ص ٣٢٨.

ينفذ القتل.

بما انه عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام فقد ابتعد عن أي صفة فيها خلة أو عار لهذا البيت الطاهر، ولم يخرج عن السنة المحمدية التي كان من ضمن أهداف القيام إحيائها ومسلم هو أحد أنصار القيام فليس من المعقول أن يخالف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن إيمانه الذي يجعله يعلم بكيفية المرجع إلى الله تعالى فيمنعه ذلك من الغدر وهذا يتطابق مع قول الإمام علي عليه السلام وفكره في هذا المجال.

جسد عليه السلام في هذا الموقف المبادئ والقيم التي كان من أجلها القيام ومنها الإصلاح، وإن موقف مسلم كان امتداداً لموقف الإمام الحسين عليه السلام في عدم الخروج من أجل السلطة، لأنه لو خرج من أجلها لقام مسلم بقتل ابن زياد والسيطرة على مقاليد الأمور في الكوفة لصالحه.

أعطى مسلم بن عقيل درساً مهماً في عدم مخالفة قائده وإمامه عليه السلام حتى عند الضرورة، لأن الإمام الحسين عليه السلام لم يرسله للقتل وإنما أرسله من أجل استعلام أمر الكوفة إذ قال له:

(يا ابن العم، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كان على ما أتنني به كتبهم، فعجل عليّ بكتابك لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى فعجل لأنصرف)^(١)، فرغم استحصال الفرصة في قتل ابن زياد إلا أن مسلماً لم يخالف ما أراده منه الإمام الحسين عليه السلام أو الخروج عن إطار المهمة المكلف بها.

انه عليه السلام نظر إلى أبعد من هذا الموقف وهو موقف الإمام الحسين عليه السلام أمام الأعداء، إذ لو كان مسلم قد غدر بابن زياد سوف يكون هذا الأمر أحد الأسلحة

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٠.

والحجج التي تستعمل ضد الحسين عليه السلام، لأن ابن عمه قد غدر بأمرهم، وبذلك فوت الفرصة عليهم في إيجاد حجة كان من الممكن أن تستعمل ضد الإمام عليه السلام في كربلاء، أو تضعف موقفه في محاجبتهم.

٢- التضحية والإيثار:

الثورة الحقيقية هي الثورة التي يرافقها تضحية وإيثار من أجل المبادئ والأهداف التي قامت من أجلها، لكن تلك التضحية تختلف من ثورة إلى أخرى وحسب أهداف ومبادئ كل منها، والقضية التي قامت من أجلها ومدى النتائج التي من المتوقع الحصول عليها إذا ما كان هناك تضحية وإيثار، وإذا ما قمنا بتقليب صفحات التاريخ لن نجد ثورة فيها من التضحيات مثلما كان في الثورة الحسينية.

قدّم الإمام الحسين عليه السلام في قيامه كل أنواع التضحية والإيثار وفي جميع مراحل القيام عن عقيدة وإيمان راسخ وتسليم مطلق لله تعالى، لهذا فإن أنصار القيام قد حذوا حذو قائدهم في التضحية في سبيل الله، إيماناً منهم بأحقية قيامهم وحبهم لقائدهم الإمام الحسين عليه السلام الذي قدم نفسه وعائلته في سبيل قيامه قربة لله سبحانه، وقبول تام بكل ما كتبه الله عز وجل، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

(رضينا من الله قضاءه، وسلمنا لله أمره) (١).

ويشير الإمام عليه السلام إلى أن القبول بقضاء الله والتسليم له درجة ليس باستطاعة أيّ أحد الوصول إليها، لأن الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره باب من أبواب الجنة يفتحه الله لخواص أوليائه، فكل من أخلص لله موحداً وأذعن له قولاً

وعملاً يبقى على ثقته به في الضراء مثلما هو في السراء ولا يظن بالله ظن السوء، وإن أصيب بنفسه وولده وماله، فيقول عليه السلام: ان الذي حكم بأن نكون نحن سادة وأحراراً وجعلنا بمنزلة نكون محلاً لهجوم الأعداء، يداً ولساناً فلم نرد أمره فينا والتسليم له. وهذه عبارة تتم عن عدم معارضة الإنسان قلباً ولساناً لما قدر الله من الأمور (١).

يعبر هذا عن الإيمان العميق والشديد عند أهل البيت عليهم السلام الذي لا يمتلكه غيرهم لأنه أعجز من أن يكون بهذه الدرجة من الإيمان بالله، لذلك نجد أن كلام الإمام علي عليه السلام له صدى في موقف السيدة زينب عليها السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام الذي يعد من المواقف الايمانية الكبيرة لما فيه من تضحية وإيثار وإيمان مطلق بالله سبحانه، عندما وقفت عليها السلام عند جسد الإمام الحسين عليه السلام، فكان من البديهي أن تظهر الجزع والحزن وهو حق مشروع لها، على مقتل أخيها وإمامها عليه السلام، لكنها وقفت ونطقت بكلمات تعبر عن مدى الايمان الشديد بالله تعالى والتسليم له، إذ قالت:

(اللهم تقبل منّا هذا القربان) (٢).

فأي ايمان وعقيدة وتسليم لله عز وجل في هذا الموقف، وهذا يتناغم مع كلام الإمام علي عليه السلام في أن التسليم والرضا بقضاء الله له درجة خاصة من العرفان، وقد بلغت السيدة زينب عليها السلام تلك الدرجة فنطقت بتلك الكلمات الايمانية المتممة للقيام وتضحياته، لأن القيام في الأساس كان لله ومن أجل دينه عز وجل فكان

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/٨٦؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/١٤٢؛ الحسيني

الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/١٩٣.

(٢) الجعفري، زينب الكبرى، ص ١٢٨. ينظر: الشاكري، العقيلة والفواطم، ص ٦١.

٢٣٦..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
يستلزم تلك التوضيحات العظيمة من أهل البيت عليهم السلام لأنهم المكملون للرسالة
المحمدية.

شملت التوضيحية والايثار كل مرحلة من مراحل قيام الإمام الحسين عليه السلام
وأنصاره، ومن ذلك موقف علي الأكبر عليه السلام مع أبيه الحسين عليه السلام في الطريق إلى
كربلاء وكيف يظهر عدم رهبته من الموت بشكل يماثل مع ما قاله الإمام علي عليه السلام
عن نفسه حينما استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال في صفين، فقال:

(أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي؛ دخلت [أدخلت] إلى
موت أو خرج إلي) (١).

يبين هذا النص أن الإمام علياً عليه السلام بلغ الغاية في الكمالات النفسانية والخصال
القدسية لذلك أقسم أنه لا يبالي أتعرض هو للموت حتى يموت أم جاءه الموت
ابتداءً من غير أن يتعرض له فإنه بمعزل عن تقيّة الموت (٢)، أو الرهبة منه
ومستعد له أينما كان ومتى يكون، وهنا يرد في موقف علي الأكبر عليه السلام مع الإمام
الحسين عليه السلام في الطريق إلى كربلاء بعدما سمع الحسين عليه السلام هاتفاً يقول:

(القوم يسرون والمنايا تسير إليهم، فأخذ الإمام عليه السلام يسترجع فقال له علي
الأكبر: يا أبت لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال بلى والذي يرجع إليه
العباد فقال: لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا)، يعني ما دمنا على
الحق (٣).

(١) نهج البلاغة، ص ١٠٧.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٢؛ الخوئي، منهاج البراعة، ٤/ ٣٢٨.

(٣) الصدر، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ص ١١٣. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٠٨؛

ابن أعثم، الفتوح، ٥/ ٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٥١.

وهذا الموقف فيه كثير من الدلالات المهمة التي تعبر في بعض منها عن التضحية والايثار ومنها:

التسليم المطلق لله تعالى بكل ما كتبه والقبول التام بذلك وإنه عليه السلام مستعد للموت أينما ومتى يكون.

التضحية الكبيرة التي قدمها علي الأكبر عليه السلام في هذا الموقف وفيما بعد ترجمها في أرض الطف من أجل القيام وأهدافه ومبادئه.

ان هذا الموقف يدل على الكمال النفساني والإيمان الشديد لعلي الأكبر عليه السلام بالله تعالى، فاستعداده للموت في أي زمان ومكان يدل على ذلك لأنه على حق في قيامه فلا يبالي بالموت، لذلك جسد معنى التضحية في هذا الموقف، وهو ما يعكس شجاعة أجداده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام.

إن هذا الاطمئنان الذي ظهر في موقف علي الأكبر عليه السلام للموت وسرعة كلامه مع أبيه عليه السلام عندما رآه يسترجع يشير إلى شدة ملاصقته لأبيه واتباعه إياه، وهذا ينبىء عن مدى الارتباط العاطفي الكبير بينهما عليه السلام، وعلى الرغم من ذلك قدمه الإمام الحسين عليه السلام إلى الموت في سبيل الله.

لم يكن استرجاع الإمام الحسين عليه السلام عن ضعف وإنما عن إيمان وشجاعة كما كان الإمام علي عليه السلام في القول السابق بعدم مبالاته بالموت، غير أن الإمام الحسين عليه السلام كان ينظر إلى ذلك الانحراف الكبير في المجتمع إلى درجة قتل الأولياء وأبنائهم، فضلاً عن أنه أراد ذلك الجواب من أبنائه وأصحابه لتقر عينه.

سجل لنا القيام من التضحيات الجسام ما لم نشاهده في جميع الثورات فكان لقائده النصيب الأوفر من تلك التضحيات، إذ قدم حتى ابنه الرضيع بعد أن طلب له الماء فقام الأعداء برمييه بسهم فقتل فأخذ الإمام الدم من نحره فرمى

به إلى السماء فما رجع منه شيء، ثم قال متوجهاً إلى الله سبحانه:

(لا يكون اهون عليك من فضيل ناقة صالح)^(١)، وهذا الكلام دعاء على القوم ممن رضي وسكت.

سبق أن استعمل الإمام علي عليه السلام هذه الحادثة التاريخية والمعنى العقائدي في الاطار الإصلاحية نفسه إذ أشار إلى العذاب الذي لحق بتمود نتيجة عقربهم ناقة صالح، وقبول القوم بذلك وعدم نكرانهم هذا الفعل، فقال عليه السلام:

(أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضى والسخط. وإنما عقر ناقة تمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾^(٢)، فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة)^(٣).

أشار الإمام عليه السلام إلى شمولية العذاب على من لا ينكر المنكر ويقبل به، إذ ليست العقوبة لمن اجترم الجرم بعينه فقط، بل لمن اجترمه ولمن رضي به وإن لم يباشر بنفسه فإن الراضي بالمنكر كفاعله ومن لم يبه عنه فهو راضٍ، ومصداق العذاب للرضا بالمنكر قصة قوم صالح عليه السلام في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فإن العقوبة عمّتهم لعموم الرضا لهم بفعله، وخارت أرضهم بالخسفة وقد شبه عليه السلام ذلك بصوت السكة المحماة في الأرض الخوارة، وهي السهلة

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٦٠؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٥٧.

(٢) الشعراء/ ١٥٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٨٠.

اللينة^(١)، لتكون أبلغ في ذهابها بالأرض^(٢).

تجلى هذا الأمر في كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما قال: لا يكون أهون عليك من فضيل ناقة صالح، أي انه قد دعا على القوم الذين رمى أحدهم عبد الله الرضيع عليه السلام بسهم، أما البقية فقد رضوا بفعله ولم ينكروه، فكان هذا الكلام من الإمام عليه السلام والذي فيه التضحية والايثار في سبيل الله والتسليم المطلق له عز وجل، فلم يكن بمعرض الاعتراض وإنما الشكوى على هؤلاء القوم.

ويقع في المجال نفسه الدال على التضحية قول الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الرضيع:

(هُوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ)^(٣)، وهو من باب التسليم لله تعالى، إذ كان ابنه الرضيع مذبحاً بين يديه وهو ينطق بهذا الكلام الإيماني، فأى تضحية وإيثار أفضل من هذه التضحية؟! وهو القائل عليه السلام لما أصيب بسهم:

(اللهم هذا فيك قليل)^(٤).

ليس هذا غريباً على الإمام عليه السلام إذ إنه المضحى في سبيل الله في كل مراحل القيام منذ بداية انطلاقه من الكعبة المقدسة، وحتى خروجه عليه السلام من مكة المكرمة فيه تضحية وإيثار في سبيل الله للمحافظة على قدسيتها، ولما لها من قدسية عند

(١) ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، ٣/٢٩٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ٦/٣٧٥.

(٢) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٢/٣١٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠/٢٦١؛ البحراني، مصباح السالكين، ص ٣٩٢؛ محمد عبده، نهج البلاغة، ٢/١٨١؛ البدري، نزهة النظر، ص ٢٥٢.

(٣) ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٩؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٤٦.

(٤) الشامي، الدر النظيم، ص ٥٥١.

الله وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك بقوله:

(ألا ترون ان الله سبحانه، اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه، إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها "بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً" ^(١) .

إن الله سبحانه امتحن الأولين من لدن النبي آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم أي أهل الأرض بأحجار وهي الكعبة المعظمة التي بنيت من الأحجار وأمر الناس - حتى آدم عليه السلام - بالحج إليها والطواف حولها، وهي لا تضر ولا تنفع بذاتها ولا تبصر ولا تسمع حسب الظاهر، وهذا لا ينافي ضررها ونفعها حسب أمر الله سبحانه، وبصرها وسمعها حسب الواقع، حيث ورد ان الحجر الأسود ملك يسمع ولذا نقول له (أمانتي أديتها) ^(٢)، فجعل الله تلك الأحجار بيته المحرم، قبة للأنام وللناس قياماً، وهذا فيه إشارة لقوله تعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ ^(٣)، أي هذا موجب لقيام أمورهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الأمور التي تخصهم ^(٤).

انعكس هذا في خروج الإمام الحسين عليه السلام من الكعبة المقدسة للمحافظة على تلك القدسية التي يتمتع بها بيت الله الحرام، وعندما طلب منه أن يبقى فيه قال عليه السلام:

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٢) ينظر: ابن بابويه، فقه الرضا، ص ٢١٨؛ الصدوق، الهداية، ص ٢٢٥؛ المفيد، المقنعة، ص ٤٠١؛ الطوسي، المبسوط، ١/٣٥٦.

(٣) المائة/ ٩٧.

(٤) المجلسي، مرآة العقول، ١٧/ ٢٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١٩٨.

(لا نستحلها، ولا تستحل بنا، ولأن أقتل على تل أعفر^(١) أحب الي من أن أقتل بها)^(٢).

هذه تضحية منه عليه السلام للمحافظة على قدسية بيت الله الحرام، وقد أشار عليه السلام في موقف آخر إلى الكعبة الشريفة وعدم رغبته في أن يقتل داخلها بالقول:

(والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إليّ من أن أقتل خارجاً منها بشبر)^(٣).

جسد الإمام عليه السلام في هذا الموقف الكثير من صور التضحية والإيثار وأهدافاً بعيدة المدى، منها:

إنه عليه السلام ترك بيت الله الحرام من أجل المحافظة على قدسية هذا البيت لأنه يعلم جيداً ان بني أمية يتتهكون الحرمات ويريقون الدماء في بيت الله الحرام.

انه عليه السلام جعل هذا الأمر من أهداف القيام وهو طلب الإصلاح في أمة جده عليه السلام فقد أوصل رسالة للناس بأنه يجب المحافظة على حرمة هذا البيت المقدس مهما كان الموقف ومتطلباته حتى وإن استلزم ذلك التضحية بالنفس.

(١) الأعفر: الرمل الأحمر، والأعفر الأبيض وليس بالشديد بالبياض، وقال ياقوت الحموي: تل أعفر اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيها نهر جارٍ وفيها نخل كثيف يجلب رطبه إلى الموصل، وهي على جبل منفرد حصينة محكمة، وتل أعفر أيضاً بليدة قرب حصن مسلمة بن عبد الملك بين حصن مسلمة والرقعة من نواحي الجزيرة. ينظر: معجم البلدان، ٢/٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤/٥٨٧؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٣٢.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ١٥١؛ المجلسي، البحار، ٤٥/٨٦.

(٣) النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٠٧. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٦٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٣٨؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٢/٧٩٨.

إن قتل الحسين عليه السلام داخل بيت الله الحرام ربما لا يأخذ ذلك الصدى الذي حصل بعد استشهاده وأسرته وأصحابه في كربلاء، لاسيما وأن بني أمية ضربوا الكعبة^(١)، وتعدوا على الحرمات في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) ولم يتحرك المسلمون، بل ولم تظهر الصرخة التي ظهرت بعد استشهاد الحسين عليه السلام إلى يومنا هذا.

هذه الصور وغيرها من التضحية والإيثار التي قدمها الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره والمتماثلة مع ما ذكره الإمام علي عليه السلام في هذا المجال، جعلت القيام يحقق كثيراً من أهدافه ومبادئه التي غيرت من حال الأمة الإسلامية، وعدلت العديد من الانحرافات داخلها، فضلاً عن تحرير الناس من الخوف والعبودية للبشر وتحريك مبدأ الثورة في نفوسهم ضد الطغاة والظلمة، بعد السبات والنوم العميق الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية، فكان الحسين بقيامه قبس النور في ظلماء سمائهم.

٣- حسن العاقبة:

غاية الانسان أن يرزق حسن العاقبة من أجل الوصول إلى جنات الخلد التي أعدها الله سبحانه لعباده المؤمنين، وهذا لا ينال إلا بتوفيق الله عز وجل وعمل دؤوب من الانسان للوصول إلى ذلك، وحتى الكافرون يطعمون برحمته سبحانه، وقد قال بحقهم:

(١) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/٧١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦/٢٢.

(٢) ينظر: اليعقوبي، التاريخ، ٢/٢٥٠؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١).

وهنا أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للكافرين أن ينتهوا عن كفرهم ليغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم إذا ما تابوا توبة خالصة وهذه حسن العاقبة^(٢).

وقد قال الرسول ﷺ:

(خير الأمور خيرها عاقبة)^(٣)، وقال الإمام علي عليه السلام:

(ان حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء)^(٤)، فعلى الإنسان أن يعمل من أجل تلك السعادة ونيل مرضاة الله تعالى وأن يتقي الله ويتعظ من الأعمال التي تؤدي إلى دخول النار ويعلن توبته منها.

على وفق هذا الفهم أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك المعنى بقوله:

(فاتقوا الله تقيه من سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فحذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع [رجع] فتاب، واقتدى فاحتذى، ورأى فرأى، فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمر معاداً واستظهر زاداً ليوم رحيله)^(٥).

ليصل الانسان إلى مرضاة الله عز وجل عليه أن يتقي الله تقوى من استجمع

(١) الأنفال / ٣٨.

(٢) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٥ / ١٢٠؛ مغنية، التفسير الكاشف، ٣ / ٤٧٧.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص ٥٧٦؛ المجلسي، البحار، ٦٨ / ٣٦٣.

(٤) الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٤٥. ينظر: الخصال، ص ٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٣٩.

جميع هذه الأوصاف، ومنها: تقية من استعد قلبه لسماح الموعدة فخشع عنها الله تعالى، وتقية من اقرت فاعترف أي اكتسب اثماً فندم عليه وتاب إلى الله، وتقية من خاف ربه فالتجأ إلى الأعمال الصالحة لينجو بها، وتقية من حاذر عقاب ربه فبادر إلى طاعته، وتقية من أيقن بالموت ولقاء ربه وتقية من عبر أي رمى بالعبر وذكر بها فاعتبر، وحذر من سخط الله وعقابه فازدجر أي فرجع عن معصيته وتقية من أجاب أي أجاب داعي الله، فأتاب أي رجع إليه بسره وامتل أمره فأقبل وتاب واقتدى، وتقية من راجع عقله وفكر فتاب أي فاستعان به على شياطينه وقهر نفسه الآمرة بالسوء، وتقية من رأى أي أرى الخلق فأظهرت بعين بصيرته طريق الله وسبيله وأسرع طالباً لما يسلك له ويتتهي إليه ونجا فيها هاربا من ظلمات جهله وثمراته وتزود بالعمل الصالح ليوم الفزع الأكبر^(١).

إذا عمل الإنسان ما ذكره الإمام علي عليه السلام سينال حسن العاقبة جزاء من الله تعالى لعمله الحسن، وهو الأمر الذي تجلّى بأبهى صورة في موقف الحر بن يزيد الرياحي من قيام الإمام الحسين عليه السلام، إذ إنه وبعد أن لقي الإمام عليه السلام في الطريق إلى الكوفة وضيق عليه حتى أتى به كربلاء، تغير حاله يوم العاشر من محرم وأعلن توبته وانضم إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام^(٢)، وقد اتخذ هذا التجلي والانطباق عدة صور وأشكال، من أبرزها:

انطباق ما ذكره الإمام علي عليه السلام بقوله:

(١) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/٤٤٧؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/٣٩٢.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/١٦٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٥؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/٣٣٥؛ ابن طاووس، اللهوف،

(اتقوا الله تقية من سمع فخشع) أي تقية من استعد قلبه للموعظة، على موقف الحر، إذ نجده قد سمع الموعظة من الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر، فقد أخذت تلك الموعظة طريقها إلى قلب الحر فخشع ورجع إلى طريق الحق وهو الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره لهذا انضم اليهم في معسكر جبهة الحق.

انطباق ما ذكره الإمام علي عليه السلام بقوله، اتقوا الله تقية من اكتسب الذنوب فاعترف بها وتاب إلى الله عنها على موقف الحر فنجده قد أعلن توبته بعد أن اقترف ذنباً كبيراً عندما جمع ^(١) بالإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء لذلك ذهب إلى الإمام عليه السلام واعترف بذنبه وقال له: جعلت فداك يا بن رسول الله، انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق وجعجت بك في هذا المكان، وإني تائب إلى الله مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟ فقال له الإمام الحسين عليه السلام: (نعم يتوب الله عليك) ^(٢).

معنى قول الإمام علي عليه السلام اتقوا الله تقية من أجاز داعي الله وتقية من راجع عقله وفكر فتاب، أيضاً يتناغم معه موقف الحر، فإنه قد أجاز دعوة الحسين عليه السلام أي راجع عقله وفكر فتاب فقال له أحدهم يوم العاشر بعد ما رأى أمره مضطرباً، إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك موقفاً قط مثل هذا ولو قيل

(١) جمع: وهو التصديق على الغريم وإزعاجه، وإلزامه في موضع سوء في أرض صلبة غليظة لا أحد فيها، وهذا ما فعله الحر بن يزيد مع الإمام الحسين عليه السلام عندما أنزله في موضع لا يرعى ولا فيه ماء يعني أزعج الإمام عليه السلام وضيق عليه المكان في أرض جلبة. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ٣/١١٩٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ٨/٥٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ١١/٦٧.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٥؛ المفيد، الإرشاد، ٢/١٠٠؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/٢٤٩؛ ابن نجا، مشير الأحران، ص ٤٤؛ الشامي، الدر النظيم، ص ٥٥٤؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٠/٤٤٥.

٢٤٦.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

لي من أشجع الكوفة ما عدوتك، فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بالإمام الحسين عليه السلام^(١).

نال حسن العاقبة باستشهاده بين يدي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد استشهاده وقف الإمام الحسين عليه السلام عنده وهو يمسح التراب عن وجهه، ويقول: (أنت الحر كما سمتك أمك في الدنيا والآخرة)^(٢)، فأبي عاقبة أفضل من تلك التي نالها الحر؟ وهي الشهادة والسعادة في الدنيا والآخرة.

هذا نتيجة سماعه داعي الله وهو الإمام الحسين عليه السلام والاتعاظ بكلامه ومن ثم تهيأ قلبه لتلك الموعظة والاعتبار بسنن الماضين فكانت النتيجة إعلان التوبة والشهادة بين يدي الحسين عليه السلام فأصبح من أصحاب جبهة الحق الذين نالوا من الرفعة عند الله ما لم ينلها غيرهم من الشهداء السعداء، مع قائدهم سيد الشهداء عليه السلام.

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/٣٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/١٩٥.

(٢) ابن طاووس، اللهوف، ص ٦٢. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ٥/١٠٢؛ المجلسي، البحار، ٤٥/١٤.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الرسالة هنا جملة نتائج هي:

إن للإمامة آثاراً ومصاديق يمكن الاستدلال عليها بما ظهر من ذلك التوافق الفكري والعقائدي في طروحات الأئمة عليهم السلام.

الاستدلال الفكري على خطأ التقسيم التقليدي لمناهج الأئمة عليهم السلام في التصدي للتحديات وإثبات وحدتها مع اختلاف الآلية حسب الظروف.

إن ما طرحه الإمام علي عليه السلام (بشكل متناغم مع الثورة الحسينية) يدل على صدقية ونسبة نهج البلاغة وأفكاره لنفس ومنهج الإمام عليه السلام وهو دليل آخر في الرد على المشككين فيه.

كان الإعداد النبوي وتربية الإمام علي عليه السلام قد تركا الأثر المنهج في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

أكد هذا التوافق على القصدية والفلسفة في طرح أمور كهذه وهي تمثل أهدافاً تثقيفية وإعدادية للمجتمعات في بناء نفسها.

دلت الجوانب الفنية واللغوية فيما طرحه الأئمة عليهم السلام على أنهم يمثلون أمراء اللغة العربية وساداتها وهم أساس العلوم.

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد، ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م.
١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).
 ٢. الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٦).
 ٣. اللباب في تهذيب الأنساب، تح/ د. إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د. ت).
 - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت ٦٠٦هـ-١٢٠٨م.
 ٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، تح/ طاهر الزاوي وآخرين، ط ٤، مؤسسة اسماعيليان، (قم، ١٣٦٤).
 - الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم، ت نحو ٨٨٠هـ-١٤٧٧م.
 ٥. عوالي اللئالي العزيفية في الأحاديث الدينية، تح/ الحاج آقا مجتبی العراقي، ط ١، سيد الشهداء، (قم، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
 - الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، ت ٦٩٣هـ-١٢٩٣م.
 ٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، دار الأضواء، (بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
 - الأردبيلي، محمد بن علي، ت ١١٠١هـ-١٦٩٢م.
 ٧. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المحمدي، قم، (د. ت).

- ٢٥٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، ت ٦٨٦هـ.
٨. شرح شافية ابن الحاجب، تح/ محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣١٥هـ).
- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، ت ٣١٤هـ-٩٢٤م.
٩. الفتوح، تح/ علي شيري، ط ١، دار الأضواء، (بيروت، ١٤١١هـ).
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، ت ٣٢٨هـ-٩٤٠م.
١٠. الزاهر في معاني كلمات الناس، تح/ د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
- ابن بابويه، أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٢٩هـ-٩٤١م.
١١. الإمامة والتبصرة من الحيرة، تح ونشر/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، (قم، ١٤٠٤هـ).
١٢. فقه الرضا- الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام، تح/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، المؤتمر العلمي للإمام الرضا عليه السلام، (مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ).
- الباخرزي، علي بن الحسين بن علي بن أبي الطيب، ت ٤٦٧هـ.
١٣. دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح/ د. محمد التونجي، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م).
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، ت ٤٠٣هـ.
١٤. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح/ عماد الدين أحمد حيدر، ط ٣، مؤسسة الكتب الثقافية، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- البحراني، الشيخ عبد الله بن نور الله، ت ١١٣٠هـ.
١٥. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، تح ونشر/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، (قم، ١٤٠٧هـ).
- البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، ت ٦٧٩هـ.

١٦. شرح نهج البلاغة، ط ١، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٣٦٢ ش).
١٧. اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط)، تح/ محمد هادي الأميني، ط ١، مجموعة البحوث الإسلامية، (مشهد، ١٤٠٨ هـ).
١٨. شرح مئة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام، تح/ مير جلال الدين الحسيني، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم، د. ت).
- البحراني، السيد هاشم، ت ١١٠٧ هـ.
١٩. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تح/ عز الله المولائي الهمداني، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم، ١٤١٣ هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، ت ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م.
٢٠. صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
٢١. التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية، (ديار بكر، د. ت).
٢٢. التاريخ الصغير، تح/ محمود إبراهيم زايد، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٦ هـ).
- ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي، ت ٤٨١ هـ - ١٠٨٨ م.
٢٣. المهذب، تح/ مؤسسة سيد الشهداء العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٦ هـ).
- ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي، ت ٦٠٠ هـ - ١٢٠٤ م.
٢٤. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٧ هـ).
- البعوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت ٥١٠ هـ - ١١١٦ م.
٢٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، (تفسير البعوي)، تح/ خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، (بيروت، د. ت).
- البكري، عبد الله بن عبد العزى الأندلسي، ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م.

- ٢٥٤..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٢٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح/ مصطفى السقا، ط٣، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).
- البلاذري، احمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م.
٢٧. أنساب الأشراف، تح/ محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٩م).
- البلخي، أحمد بن سهل، ت ٥٠٧هـ.
٢٨. البدء والتاريخ، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٨٩٩م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ-١٠٦٦م.
٢٩. شعب الإيمان، تح/ أبي هاجر محمد السعيد وبسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٣٠. السنن الكبرى، دار الفكر، (بيروت، د. ت).
- البيهقي، علي بن زيد، ت ٥٦٥هـ.
٣١. معارج نهج البلاغة، تح/ محمد تقي، ط١، مكتبة المرعشي، (قم، ١٤٠٩هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩هـ-٨٩٢م.
٣٢. سنن الترمذي، تح/ عبد الواهب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- التستري، سهل بن عبد الله، ت ٢٨٣هـ.
٣٣. تفسير التستري، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٣هـ).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت ٤٢٩هـ-١٠٣٨م.
٣٤. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح/ د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
٣٥. فقه اللغة وسر العربية، تح/ د. فائز محمد، ط٢، دار الكتب العربي، (بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

- الثقفي، ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الكوفي، ت ٢٨٣هـ-٨٩٦م.
٣٦. الغارات، تح/ السيد جلال الدين، (د. م، د. ت).
- الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ.
٣٧. البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح/ عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجبل، (بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٣٨. البيان والتبيين، تح/ فوزي مطوري، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى، (مصر، ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م).
- ابن جبير، زين الدين بن علي بن يوسف، ت ق ٧هـ-ق ١٣م.
٣٩. نهج الايمان، تح/ السيد أحمد الحسيني، ط ١، مجمع الإمام الهادي عليه السلام، (مشهد، ١٤٠٨هـ).
- الخصاص، أحمد بن علي الرازي، ت ٣٧٠هـ.
٤٠. أحكام القرآن، تح/ عبد السلام محمد شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ-١٢٠١م.
٤١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح/ محمد عبد القادر وآخرين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ-١٠٠٣م.
٤٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، ط ١، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧م).
- ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت ٣٥٤هـ-٩٦٥م.
٤٣. صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان، تح/ شعيب الأرنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢هـ-١٤٤٩م.

- ٢٥٦.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٤٤. الإصابة في تمييز الصحابة، تح/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٥هـ).
٤٥. تهذيب التهذيب، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، ت ٦٥٦هـ-١٢٥٧م.
٤٦. شرح نهج البلاغة، تح/ محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، (د.م، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م).
- الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، ت ق ٤هـ-ق ١٠م.
٤٧. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٤هـ).
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ت ٤٥٦هـ-١٠٦٤م.
٤٨. جمهرة أنساب العرب، تح/ لجنة من العلماء، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- الحسين، الإمام يحيى، ت ٢٩٨هـ.
٤٩. التحفة العسجدية فيما دار من اختلاف بين العدلية والجبرية، أبو أيمن للطباعة، (صنعاء، ١٣٤٧هـ).
- الخليبي، برهان الدين علي بن إبراهيم بن أحمد، ت ١٠٤٤هـ-١٦٣٥م.
٥٠. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعارف، (بيروت، د.ت).
- الخلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، ت ق ٥هـ.
٥١. نزهة الناظر وتبئيه خاطر- تح ونشر/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، (قم، ١٤٠٨).
- الخلي، الحسن بن يوسف المطهر، ت ٧٢٦هـ.
٥٢. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تح/ عبد الرحيم مبارك، ط ١، انتشارات تاسوعاء، (مشهد، ١٣٧٩ش).

الحلي، عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد، ت ٩٠٩هـ- ق ١٥٠٥م.
٥٣. المحتضر، تح/ سيد علي أشرف، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ).
٥٤. مختصر بصائر الدرجات، ط ١، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ-
١٩٥٠م).

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، ت ٥٦٢هـ.
٥٥. التذكرة الحمدونية، تح/ إحسان عباس وآخرين، ط ١، دار صادر، (بيروت،
١٩٩٦م).

ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد، ت ٢٤١هـ- ٨٥٥م.
٥٦. مسند أحمد، دار صادر، (بيروت، د. ت).
الخزار القمي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي، ت ٤٠٠هـ.
٥٧. كفاية الاثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تح/ السيد عبد اللطيف الحسيني،
انتشارات بيدار، (ايران، ١٤٠١هـ).

الخصيبي، أبو عبد الله الحسين بن حمدان، ت ٣٣٤هـ- ٩٤٤م.
٥٨. الهداية الكبرى، ط ١، مؤسسة البلاغة، (بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ت ٤٦٣هـ- ١٠٧١م.
٥٩. تاريخ بغداد، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت،
١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٦م
٦٠. تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط ٤، دار إحياء
التراث العربي، (بيروت، د. ت).

الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي، ت ٥٦٨هـ.
٦١. مقتل الحسين (عليه السلام)، تح/ الشيخ محمد السباوي، ط ١، أنوار الهدى، (قم، ١٤١٨هـ).

- ٢٥٨..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري، ت ٢٤٠هـ - ٨٥٤م.
٦٢. طبقات خليفة، تح/ سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ.
٦٣. سنن أبي داود، تح/ سعيد محمد اللحام، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)
- الدمشقي، شمس الدين أبو البركات، محمد بن أحمد، ت ٨٧١هـ.
٦٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تح/ محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٥هـ).
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى، ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م.
٦٥. حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ).
- الديلمي، أبو محمد الحسن بن محمد، ت ق ٨هـ - ق ١٤م.
٦٦. إرشاد القلوب، ط ٢، انتشارات الشريف الرضي، (قم، ١٤١٥هـ).
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م.
٦٧. الأخبار الطوال، تح/ عبد المنعم عامر، ط ١، دار إحياء الكتب العربي، (القاهرة، ١٩٦٠).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م.
٦٨. سير أعلام النبلاء، تح/ حسين الأسد، ط ٩، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
٦٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح/ عمر عبد السلام تدميري، ط ١، دار الكتب العربي، (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٧٠. العبر في خبر من غبر، تح/ فؤاد السيد، دائرة المطبوعات والنشر، (الكويت، ١٩٦١م)

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت ٥٧٢١هـ.
٧١. مختار الصحاح، تح/ أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت،
١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت ٤٢٥هـ.
٧٢. المفردات في غريب القرآن، ط ٢، دفتر نشر الكتاب، (إيران، ١٤٠٤هـ).
الراوندي، أبو الحسن سعيد بن هبة الله، ت ٥٧٣هـ-١١٦٧م
٧٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح/ السيد عبد اللطيف الكوهكمرى، مكتبة
المرعشي، (قم، ١٤٠٦هـ).

٧٤. الخرائج والجرائح، تح ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، (قم، ١٤٠٩هـ).
٧٥. الدعوات (سلوة الحزين)، تح ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، (قم،
١٤٠٩هـ).

الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن محمد، ت ٧٥٠هـ-١٣٥٠م
٧٦. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، ط ١، (د. م،
١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

٧٧. معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول، تح/ ماجد بن أحمد العطية، (د. م، د.
ت).

الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، ت ٥٣٨هـ-١١٤٤م
٧٨. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح/ عبد الأمير مهنا، ط ١، مؤسسة الأعلمي،
(بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٧٩. أساس البلاغة، دار ومطابع الشعب، (القاهرة، ١٩٦٠م).
٨٠. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابلي وآخرون، (مصر، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م).

الزيلعي، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي، ت

٢٦٠.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

٧٦٢هـ- ١٣٦٠م

٨١. تخريج الأحاديث والآثار، تح/ عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، (الرياض، ١٤١٤هـ).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت ٢٣٠هـ- ٨٤٥م

٨٢. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله (من طبقات ابن سعد)، تح/ السيد عبد العزيز الطباطبائي، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم، ١٤١٥هـ).

٨٣. الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت، د.ت).

ابن سلام، أبو عبد القاسم الهروي، ت ٢٢٤هـ- ٨٣٩م

٨٤. غريب الحديث، تح/ محمد عبد المعيد خان، ط١، دار الكتب العربية، (بيروت، ١٣٨٤هـ).

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، ت ٤٨٩هـ.

٨٥. تفسير السمعاني، تح/ ياسر بن إبراهيم وآخرون، ط١، دار الوطن، (الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت ٤٥٨هـ.

٨٦. المخصص، تح/ لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

الشافعي، كمال الدين محمد بن طلحة، ت ٦٥٢هـ.

٨٧. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، تح/ ماجد أحمد العطية، (د.م.، د.ت).

الشمالي، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند، ت ٦٦٤هـ- ١٢٦٦م.

٨٨. الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، د.ت).

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي، ت ٤٠٦هـ- ١٠١٥م.

٨٩. تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح/ محمد عبد الغني حسن، ط١، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م).

٩٠. خصائص الأئمة، تح/ محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية- الأستانة الرضوية المقدسة، (مشهد، ١٤٠٦هـ).

الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، ت ٤٣٦هـ- ١٠٤٤م.

٩١. الشافي في الإمامة، ط٢، مؤسسة اسماعيليان، (قم، ١٤١٠هـ).

٩٢. الانتصار، تح/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة البعثة، (قم، ١٤١٧هـ).

ابن شهر آشوب، أبو عبد الله محمد بن علي، ت ٥٨٨هـ- ١١٩٢م

٩٣. مناقب آل أبي طالب، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م).

٩٤. متشابه القرآن ومختلفه، شركة سهامية، (د. م، ١٣٢٨هـ).

الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني، ت ٧٨٦هـ- ١٣٨٤م

٩٥. ذكر الشيعة في أحكام الشريعة، تح ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط١، (قم، ١٤١٩هـ).

الصالح، محمد بن يوسف، ت ٩٤٢هـ.

٩٦. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي ت ٨٥٥هـ- ١٤٥١م

٩٧. الفصول المهمة لمعرفة الأئمة، تح/ سامي الغريبي، ط١، دار الحديث، (قم، ١٤٢٢هـ).

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن أبويهم القمي، ت ٣٨١هـ- ٩٩١م

٩٨. الأمالي، نشر: مؤسسة البعثة، ط١، (قم، ١٤١٧هـ).

- ٢٦٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٩٩. معاني الأخبار، تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٣٧٩هـ).
١٠٠. الخصال، تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٣هـ).
١٠١. علل الشرائع، تح/ السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م).
١٠٢. الاعتقاد في دين الإمامية، تح/ عصام عبد السيد، ط٢، دار المفيد، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
١٠٣. كمال الدين وتمام النعمة، تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٥).
١٠٤. عيون أخبار الرضا، تح/ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
١٠٥. الهداية في الفصول والفروع، تح ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ط١، (قم، ١٤١٨هـ).
- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، ت ٦٦٤هـ- ١٢٦٦م
١٠٦. اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، أنوار الهدى، (قم، ١٤١٧هـ).
١٠٧. إقبال الأعمال، تح/ جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم، ١٤١٤هـ).
١٠٨. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط١، الخيام، (قم، ١٣٩٩هـ).
١٠٩. اليقين باختصاص مولانا علي عليه السلام بأمرة المؤمنين، تح/ الأنصاري، ط١، دار الكتاب، (قم، ١٤١٣هـ).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، ت ٣٦٠هـ- ٩٧١م
١١٠. المعجم الكبير، تح/ عميد عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت).

- المصادر والمراجع ٢٦٣
- ١١١ . المعجم الأوسط، تح/ قسم التحقيق دار الحرمين، دار الحرمين، (د. م، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨هـ- ١١٣٥م
- ١١٢ . تفسير جوامع الجامع، تح ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، (قم، ١٤١٨هـ).
- ١١٣ . تفسير مجمع البيان، تح/ لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط ١، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- ١١٤ . اعلام الورى بأعلام الهدى، تح ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، (قم، ١٤١٧هـ).
- ١١٥ . الاحتجاج، تح/ السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، (النجف الأشرف، د. ت).
- الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله، ت ٦٩٤هـ- ١٢٩٥م.
- ١١٦ . ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي، (القاهرة، ١٣٥٦هـ).
- الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ- ٩٢٣م
- ١١٧ . تاريخ الرسل والملوك، ط ٤، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).
- ١١٨ . المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، د. ت).
- ١١٩ . جامع البيان عن تأويل القرآن، تح/ خليل الميس، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- الطبري، محمد بن جرير بن رستم الامامي، ت ق ٤هـ- ق ١٠م
- ١٢٠ . المسترشد، تح/ احمد المحمودي، ط ١، مؤسسة الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٥هـ).

٢٦٤.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الطريحي، فخر الدين، ت ١٠٨٥ هـ - ١٦٧٦ م

١٢١. مجمع البحرين، تح/ السيد أحمد الحسيني، ط ١، مرتضوي، (طهران، ١٣٦٢ ش).

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م

١٢٢. التبيان في تفسير القرآن، تح/ أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، مكتبة الإعلام الإسلامي، (د. م، ١٤٠٩ هـ).

١٢٣. الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤٠٧ م).

١٢٤. الأمالي، تح/ مؤسسة البعثة، ط ١، دار الثقافة، (قم، ١٤١٤ م).

١٢٥. رجال الطوسي، تح/ جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٥ هـ).

١٢٦. اختيار معرفة الرجال، (رجال الكشي)، تح/ مير داماد الاسترآبادي وآخرين، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، (قم، ١٤٠٤ هـ).

١٢٧. مصباح المتعجب، ط ١، مؤسسة فقه الشيعة، (بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

١٢٨. المبسوط في فقه الإمامية، تح، محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، (طهران، ١٣٨٧ هـ).

ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر، ت ٣٨٠ هـ.

١٢٩. بلاغات النساء، مكتبة بصيرتي، (قم، د. ت).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م

١٣٠. التمهيد، تح/ مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب، ١٣٨٧ هـ).

١٣١. الاستيعاب، في معرفة الأصحاب، تح/ علي محمد البجاوي، ط ١، دار الجليل، (بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

ابن العديم، كمال الدين عمرو بن أحمد بن جرادة، ت ٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م

١٣٢. بغية الطلب في تاريخ حلب، تح/ سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، (بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ت ٥٧١هـ-١١٧٥م

١٣٣. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، تح/ محمد باقر المحمودي، ط ٢، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٤هـ).

١٣٤. تاريخ مدينة دمشق، تح/ علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥هـ).

١٣٥. علي عليه السلام، الإمام، ت ٤٠هـ-٦٦٠م

١٣٦. نهج البلاغة، ضبط/ صبح الصالح، ط ٣، دار الحديث، (إيران، ١٤٢٦هـ).

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، ١٠٨٩هـ-١٦٧٩م

١٣٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د. ت).

ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، ت ٨٢٨هـ.

١٣٨. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تح/ محمد حسن آل الطالقاني، ط ٢، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م).

العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود، ٣٢٠هـ.

١٣٩. تفسير العياشي، تح/ السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، (طهران، د. ت).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، ت ٥٠٥هـ.

١٤٠. إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت).

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ-١٠٠٤م

١٤١. معجم مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامية، (قم، ١٤٠٤هـ).

- ٢٦٦..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- الفتال النيسابوري، محمد بن الحسن، ت ٥٠٨هـ
١٤٢. روضة الواعظين، تح/ السيد محمد مهدي وآخرين، منشورات الشريف الرضي، (قم، د. ت).
- أبو الفداء، عماد الدين بن علي بن محمود إسماعيل، ت ٧٣٢هـ - ١٣٣١م
١٤٣. المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، (بيروت، د. ت).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ت ١٧٥هـ - ٧٩١م
١٤٤. العين، تح/ د. مهدي المخزومي وآخرين، ط ٢، دار الهجرة، (قم، ١٤٠٩هـ).
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، ت ٣٥٦هـ - ٩٦٧م
١٤٥. مقاتل الطالبين، تح/ كاظم المظفر، ط ٢، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، ت ٨١٧هـ - ١٤١٤م
١٤٦. القاموس المحيط، (د. م، د. ت).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، ت ٣٦٣هـ - ٩٧٤م
١٤٧. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح/ السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، د. ت).
- ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم، ٢٧٦هـ - ٨٨٩م
١٤٨. الإمامة والسياسة، تح/ علي شيري، ط ١، الشريف الرضي، (قم، ١٤١٣هـ).
- القضاعي، محمد بن سلامة، ٤٥٤هـ.
١٤٩. مسند الشهاب، تح/ حمدي عبد المجيد السلفي، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- القلقشندي، احمد بن عبد الله، ت ٨٢١هـ - ١٤١٨م
١٥٠. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح/ عبد الستار احمد فرج، وزارة الإرشاد

والبناء، (الكويت، ١٩٦٤م).

القمي، علي بن إبراهيم، ت نحو ٣٢٩هـ.

١٥١. تفسير القمي، تح/ السيد طالب الموسوي الجزائري، ط٣، دار الكتاب، (قم، ١٤٠٤هـ).

ابن قولويه، جعفر بن محمد، ت ٣٦٧هـ- ٩٧٨م

١٥٢. كامل الزيارات، تح/ جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الثقافة، (د. م، ١٤١٧هـ).

الكاشاني، فتح الله بن شكر الله، ت ٩٨٨هـ.

١٥٣. زبدة التفاسير، تح ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، (قم، ١٤٢٣هـ).
الكاشاني، محمد حسن، ت ١٠٩١هـ.

١٥٤. الوافي، تح/ ضياء الدين الحسيني، ط١، مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة، (أصفهان، ١٤٠٦هـ).

١٥٥. المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تح/ علي أكبر الغفاري، مهر، (قم، د. ت).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، ت ٧٧٤هـ- ١٣٧٣م

١٥٦. البداية والنهاية في التاريخ، تح/ علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

الكراجكي، محمد بن علي، ت ٤٤٩هـ.

١٥٧. كنز الفوائد، ط٢، مكتبة المصطفوي، (قم، ١٣٦٩ ش)

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، ت ٣٢٩هـ- ٩٣٩م

١٥٨. الكافي، تح/ علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، (طهران، ١٣٦٣ ش).

- ٢٦٨..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- الليثي، كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد، ت ق ٦ هـ- ق ١٢ م
١٥٩. عيون الحكم والمواعظ، تح/ الحسيني البيرجندي، ط ١، دار الحديث، (قم،
١٣٧٦ ش).
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣ هـ.
١٦٠. سنن ابن ماجه، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت، د. ت).
المازندراني، محمد صالح، ت ١٠٨١ هـ.
١٦١. شرح أصول الكافي، تح/ الميرزا أبي الحسن الشعراني، ط ١، دار احياء التراث
العربي، (بيروت، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م)
المتقي الهندي، علاء الدين علي، ت ٩٧٥ هـ- ١٥٦٧ م
١٦٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح/ الشيخ بكرى حياني وآخرين،
مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م).
المجلسي، محمد باقر، ت ١١١١ هـ- ١٦٩٩ م
١٦٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء
(بيروت، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م).
١٦٤. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تح/ السيد مرتضى العسكري
وآخرين، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، (طهران، ١٤٠٤ هـ).
أبو مخنف، لوط بن يحيى الأزدي، ت ١٥٧ هـ.
١٦٥. مقتل الحسين عليه السلام، تح/ حسين الغفاري، المطبعة العلمية، (قم، د. ت).
١٦٦. مقتل الحسين عليه السلام، ط ١، دار الزهراء، (إيران، ١٤٢٨ هـ).
المدني الشيرازي، صدر الدين السيد علي خان، ت ١١٢٠ هـ- ١٧٠٨ م
١٦٧. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تح/ السيد محمد صادق بحر العلوم،
منشورات مكتبة بصيرتي، (قم، ١٣٩٧ ش).

١٦٨ . رياض السالكين، في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام)، ط ٤، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٥هـ).

ابن مردويه، احمد بن موسى، ت ٤١٠هـ.

١٦٩ . مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تح/ عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط ٢، دار الحديث، (قم، ١٤٢٤هـ).

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، ت ٧٤٢هـ- ١٣٤١م

١٧٠ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح/ بشار عواد معروف، ط ٤، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت ٣٤٦هـ- ٩٥٧م

١٧١ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، دار الهجرة، (قم، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).

ابن مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب الرازي، ت ٤٢١هـ- ١٠٢٩م

١٧٢ . تجارب الأمم، تح/ أبي القاسم إمامي، ط ٢، دار سروش، (طهران، ١٤٢٢هـ).
مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ت ٢٦١هـ.

١٧٣ . صحيح مسلم، دار الفكر، (بيروت، د. ت).

ابن المغازي، أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي، ت ٤٨٣هـ

١٧٤ . مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط ١، انتشارات سبط النبي (عليه السلام)، (د. م، ١٤٢٦هـ).

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ت ٤١٣هـ- ١٠٢٢م

١٧٥ . الأمالي، تح/ حسين الاستاد ولي وآخرين، ط ٢، دار المفيد، (بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

١٧٦ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، ط ٢، دار المفيد، (بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

١٧٧ . الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، تح/ مؤسسة البعثة، ط ٢، دار المفيد،

- ٢٧٠..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
١٧٨. الاختصاص، تح/ علي أكبر الغفاري وآخرين، ط٢، دار المفيد، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
١٧٩. المقنعة، تح ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، (قم، ١٤١٠هـ).
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، ت ٨٤٥هـ-١٤٤١م
١٨٠. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح/ محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- المنوي، محمد عبد الرؤوف، ١٠٣١هـ-١٦٢١م
١٨١. فيض التقدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، تح/ احمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ-١٣١١م
١٨٢. لسان العرب المحيط، أدب الحوزة، (قم، ١٤٠٥هـ).
- المتقري، نصر بن مزاحم، ت ٢١٢هـ-٨٢٧م.
١٨٣. وقعة صفين، تح/ عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية، (القاهرة، ١٣٨٢هـ).
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، ت ٥١٨هـ-١١٢٤م
١٨٤. مجمع الأمثال، المعاونة الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، (إيران، ١٣٦٦ ش).
- النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل، ت ٣٣٨هـ.
١٨٥. معاني القرآن الكريم، تح/ محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، (المملكة العربية السعودية، ١٤١٩م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب، ت ٣٠٣هـ-٩١٥م

١٨٦. سنن النسائي، ط ١، دار الفكر، (بيروت، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م).
١٨٧. فضائل الصحابة، دار الكتب العربية، (بيروت، د. ت).
- أبو نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان بن أيان بن عبد الله، ت ق ٤هـ.
١٨٨. سر السلسلة العلوية، تح/ السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، انتشارات الشريف الرضي، (د. م، ١٤١٣م).
- أبو نصر الكسي، عبد بن حميد، ت ٢٤٩هـ.
١٨٩. منتخب مسند عبد بن حميد، تح/ صبحي البدر السامرائي وآخرين، ط ١، مكتبة النهضة العربية، (بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- ابن نما الحلبي، نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله، ت ٦٤٥هـ.
١٩٠. مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م).
١٩١. ذوب النضار في شرح الثار، تح/ فارس حسون كريم، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٦هـ).
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ.
١٩٢. رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، ط ٢، دار الفكر المعاصر، (بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م).
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ-١٣٣٣م
١٩٣. نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد، (القاهرة، د. ت).
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، ت ٨٠٧هـ-١٤٠٥م
١٩٤. موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تح/ حسين سليم اسد الداراني، ط ١، دار الثقافة العربية، (دمشق، ١٤١١هـ-١٩٩٠م).
١٩٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٢٧٢.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الواقدي، محمد بن عمر، ت ٢٠٧هـ-٨٢٣م

١٩٦. المغازي، تح/ د. مارسدن جونز / نشر دانت إسلامي، (د. ت، ١٤٠٥هـ).

اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان، ت ٧٦٨هـ-١٣٦٧م

١٩٧. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح/ خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ٦٢٦هـ-١٢٢٩م

١٩٨. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت ٢٩٢هـ-٩٠٤م

١٩٩. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د. ت).

ثانياً: المراجع

الأمين، حسن، ت ١٣٩٩هـ.

١. مستدركات أعيان الشيعة، دار التعاون للمطبوعات، (بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).

البحراني، علي، ت ١٣٤٠هـ.

٢. منار الهدى في النص على إمامة الاثني عشر عليه السلام، تح/ السيد عبد الزهراء الخطيب، ط ١، دار المنتظر، (بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

البدر، عادل عبد الرحمن

٣. نزهة النظر في غريب النهج والأثر، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم، ١٤٢١هـ).

البراقبي، حسين بن السيد احمد، ت ١٣٣٢هـ.

٤. تاريخ الكوفة، تح/ ماجد احمد العطية، ط ١، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ).

- البروجردي، آقا حسين الطباطبائي، ت ١٣٨٣ هـ
٥. جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، (قم، ١٣٩٩ هـ).
- البهبهاني، محمد باقر بن عبد الكريم، ت ١٢٨٥ هـ.
٦. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة، مؤسسة الأعلمي، (بيروت، د. ت).
- بيضون، لبيب
٧. تصنيف نهج البلاغة، ط ٢، مكتب الإعلام الإسلامي، (طهران، ١٤٠٨ هـ).
- بيطار، زهير
٨. الإمامة تلك الحقيقة القرآنية، ط ١، دار السيرة، (بيروت، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م).
- جابر، د. حميد سراج
٩. الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول ﷺ، ط ١، تموز، (دمشق، ٢٠١٢ م).
- جرداق، جورج
١٠. روائع نهج البلاغة، تح / جورج جرداق، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (د. م، ١٤٠٧ هـ-١٩٩٧ م).
- الجعفري، عبد السلام
١١. زينب الكبرى عليها السلام ودورها في النهضة الحسينية، ط ١، دار الغدير، (قم المقدسة، ١٤٣٢ هـ).
- الجلالي، محمد رضا الحسيني
١٢. جهاد الإمام السجاد عليه السلام، ط ١، دار الحديث، (د. م، ١٤١٨ م).
- الحسن، عبد الله
١٣. ليلة عاشور في الحديث والأدب، ط ١، (د. م، ١٤١٨ م).
- الحسيني الشيرازي، محمد، ت ١٤٢٢ هـ.
١٤. توضيح نهج البلاغة، دار التراث الشيعية، (طهران، د. ت).
- الحسيني، عبد الزهراء

- ٢٧٤.....التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١٥. مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ط ١، دار الزهراء، (بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).
- الخرساني، محمد تقى النقوي القابني
١٦. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، (طهران، د. ت).
- الحوئي، مرزا حبيب الله الهاشمي، ت ١٣٢٤هـ.
١٧. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح/ سيد ابراهيم الميانجي، ط ٤، دار الهجرة، (قم، د. ت).
- الرضوي، السيد مرتضى
١٨. مع رجال الفكر، ط ٤، (بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، ت ١٢٠٥هـ-١٨٩١م
١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، تح/ علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- الزركلي، خير الدين، ت ١٤١٠هـ.
٢٠. الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٠م).
- السماوي، محمد بن طاهر، ت ١٣٧٠هـ.
٢١. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام تح/ محمد جعفر الطبسي، ط ١، حرس الثورة الإسلامية، (إيران، ١٤١٩هـ).
- السند، محمد
٢٢. الإمامة الإلهية، ط ١، منشورات الاجتهاد، (قم، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٢٣. الحدائث العולה الإرهاب في ميزان الثورة الحسينية، تح/ علي الأسدي، ط ١، باقيات، (قم، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦).
- الشاكري، حسين
٢٤. العقيلة والفواطم، ستارة، (قم، ب. ت).

شمس الدين، محمد مهدي

٢٥. أنصار الحسين عليه السلام، ط ٢، الدار الإسلامية، (د. م، ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م).

٢٦. دراسات في نهج البلاغة، ط ٢، دار الزهراء، (بيروت، ١٣٩٢ هـ-١٩٧٢ م).

الصابي، لطف الله الكبابكاني

٢٧. لمحات في الكتاب والحديث والمذهب، قسم الدراسات الإسلامية، (طهران،

د. ت).

الصدر، السيد محمد

٢٨. أضواء على ثورة الحسين، تح / الشيخ كاظم العبادي الناصري، (النجف

الأشرف، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م).

الصغير، جلال الدين.

٢٩. الإمامة ذلك الثابت الإسلامي المقدس، ط ١، دار الأعراف للدراسات،

(بيروت، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩).

العالمي، جعفر مرتضى

٣٠. مختصر مفيد، أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، ط ١، المركز الإسلامي

لِلدراسات، (بيروت، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م).

٣١. حقائق هامة حول القرآن الكريم، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم،

١٤١٠ هـ).

٣٢. المواسم والمراسم، (قم، ١٤٢٧ هـ).

٣٣. عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني، ط ١، المركز الإسلامي

لِلدراسات، (بيروت، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م).

عبده، محمد

٣٤. نهج البلاغة، ط ١، دار الذخائر، (قم، ١٤١٢ هـ).

علي، جواد

٣٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٤، دار الساقبي، (د. م، ١٤٢٢ هـ-

١٩٨٨ م).

- ٢٧٦..... التجليات الفكرية لمبادئ نهج البلاغة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام
- الغروي، محمد
٣٦. الأمثال والأحكام المستخرجة من نهج البلاغة، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٥هـ).
- القرشي، باقر شريف
٣٧. حياة الإمام الحسين عليه السلام، ط ١، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
- القمي، الشيخ عباس، ت ١٣٥٩هـ.
٣٨. الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، (طهران، د. ت).
- القندوزي، سليمان بن ابراهيم، ت ١٢٩٤هـ.
٣٩. ينابيع المودة لذوي القربى، تح/ سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، دار الاسوة، (د. م، ١٤١٦هـ).
- الكوراني، علي
٤٠. قبيلة بني أسد بن خزيمه، تح/ عبد الهادي الربيعي، ط ١، (د. م، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)
- المدرسي، محمد تقي
٤١. الصديقة زينب عليها السلام شقيقة الإمام الحسين عليه السلام، ط ١، منشورات البقيع، (طهران، ١٤١٦هـ).
- مغنية، محمد جواد، ١٤٠٠هـ.
٤٢. في ظلال نهج البلاغة، ط ١، مطبعة ستار، (د. م، ١٤٢٧هـ).
٤٣. التفسير الكاشف، ط ٣، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨١م).
٤٤. نظرات في التصوف والكرامات، المكتبة الأهلية، (بيروت، د. ت).
- المقرم، عبد الرزاق الموسوي، ت ١٣٩١هـ.
٤٥. موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ط ١، دار المرتضى، (بيروت، ١٤٢٩هـ).
- المنتظري، الشيخ

٤٦. نظام الحكم في الاسلام، تح/ لجنة من الأبحاث الاسلامية، ط١، هاشميون، (ايران، ١٣٨٠ش).

منفرد، علي نظري

٤٧. قصة كربلاء، ط١، نصايح، (ايران، ١٤٢٦).

المهتدي البحراني، عبد العظيم

من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)، ط١، انتشارات الشريف الرضي، (قم، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

الموسوي، السيد تحسين آل شبيب

٤٨. مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ، ط١، دار الفقه، (قم، ١٤٢١هـ).

الميرجهاني، حسن، ت ١٣٨٨هـ.

٤٩. مصباح البلاغة في مشكاة البلاغة (مستدركات نهج البلاغة)، (د. م، ١٣٨٨هـ).

الميلاني، علي الحسيني

٥٠. أهل البيت في نهج البلاغة، ط١، مركز الحقائق الإسلامية، (قم، ١٤٣٠هـ).

٥١. نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، ط١، مهر، (د. م، ١٤١٤هـ).

النهازي، الشيخ علي، ت ١٤٠٥هـ.

٥٢. مستدركات سفينة البحار، تح/ حسن بن علي النهازي، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، ١٤١٩هـ).

البوهللة، حسين نعمة إبراهيم

٥٣. موسوعة أنصار الإمام الحسين (عليه السلام) أنصار الإمام غير الهاشميين، ط١، انتشارات محبين، (د. م، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

شلال، فاطمة عبد سعيد

١. الطلقاء، دراسة في المعنى وإشكالية القراءة التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م.

أبو الهيل، علي رحيم

٢. السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام (دراسة في سياسة السب)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية التربية، ٢٠٠٩م.

المحتويات

٧ الاهداء
٩ مقدمة المؤسسة
١١ المقدمة
١٧ التمهيد/ استحقاق الإمامة والمطالبة بالحق
١٩ استحقاق الإمامة
٢٤ المطالبة بالحق
٢٩ الفصل الأول/ فلسفة القيام ومقدماته وشروطه
٣١ المبحث الأول / فلسفة القيام وأهدافه
٣١ أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٠ ثانياً: احقاق الحق وطلب الإصلاح
٤٠ احقاق الحق
٤٨ طلب الإصلاح
٥٣ المبحث الثاني/ مقدمات القيام وشروطه
٥٣ أولاً: مقدمات القيام
٥٣ تولي معاوية الخلافة
٥٩ توريث الحكم
٦٣ ثانياً: الشروط
٦٣ قيام الحجّة
٧١ عنصر الزمن
٧٥ الفصل الثاني/ المعادلة التشخيصية لأنصار الحق وأنصار الباطل
٧٧ المبحث الأول/ تشخيص صفات أنصار جبهة الحق
٧٧ أولاً: نكران الذات

٨٧ ثانياً: الأُنس بالموت
٩٢ ثالثاً: موقعهم من قلب الإمام <small>عليه السلام</small>
١٠٩ المبحث الثاني/ تشخيص صفات أنصار جبهة الباطل
١٠٩ أولاً: التبعية للشيطان
١١٨ ثانياً: عصيان الله تعالى
١٢٣ ثالثاً: الانتساب السلبي
١٢٩ رابعاً: الغدر
١٣٩ الفصل الثالث / المرحلة في القيام
١٤١ المبحث الأول/ تجذير ثقافة الثورة
١٥٥ المبحث الثاني/ القاء الحجّة بمراسلة الناس
١٦١ المبحث الثالث/ التضحية والدفاع المقدس
١٦١ خيار المواجهة
١٦٧ الإعداد للمواجهة
١٨٦ الفكر العسكري
١٩٧ الفصل الرابع / آثار القيام ودروسه
١٩٩ المبحث الأول / آثار القيام
١٩٩ الخلود
٢٠٧ النفس الثوري ضد الطغاة والظلمة وفضحهم
٢١٦ الثواب
٢٢٢ الإعداد المستقبلي
٢٢٩ المبحث الثاني/ دروس القيام الأخلاقية والوعظية
٢٢٩ التعاطي مع صفة الغدر
٢٣٤ التضحية والإيثار
٢٤٢ حسن العاقبة
٢٤٧ الخاتمة
٢٤٩ المصادر والمراجع